ميقات الحج

مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية

والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

١٨



■ الرسول الرحمة والحج نموذجاً ■ إيمان أجداد الرسول (ص) ■

■ قراءة في حجة الوداع... ■ حجية الفعل النبوي ■

■ معجزة النبي (ص) في كونه قارئاً أو أمياً ■

■ سيرة المصطفى (ص) ■

■ عمرة القضاء ■

■ مشاهد البعثة النبوية الشريفة من خلال نهج البلاغة ■

بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعهٔ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

ميقات الحج-المجلد الثامن عشر

اشارة

نام كتاب: دو فصلنامه« ميقات الحج»

نويسنده: مركز تحقيقات حج

ص: ۱

مراسلات علمیهٔ بین الشیخ محمّدجواد البلاغی والسیّد محسن الأمین

ص: ۲

الحجّ فی أحادیث الإمام الخامنئی مدّظلّه

مرّهٔ أخری حلّ موسم الحجّ... مهوی قلوب المتدیّنین، ونعیم الذاکرین، وفرصهٔ الصالحین، وفی هذه الضیافهٔ العامّهٔ یشارک جمعٌ قَدِموا من کلّ فجّ عمیق...

... الأمّهٔ الإسلامیّهٔ الیوم هدف لأنواع التهدید والإهانهٔ. الاستکبار الهائج بقیادهٔ النظام الأمریکی وبسمسره واستثارهٔ النظام الصهیونی، یستغلّ کلّ الاستغلال تفکّک العالم الإسلامی، وتفرّق الشعوب الإسلامیّهٔ.

الثورهٔ الدامیهٔ، التی ینهض بها الشعب الفلسطینی، ورایهٔ الافتخار، التی یرفعها هذا الشعب بانتفاضهٍ قد أثارت سخط الدوائر السیاسیهٔ الاستکباریهٔ، وبعثت فیهم الهلع والفزع، ودفعتهم إلی أن تسوّل لهم أنفسهم ارتکابَ أعمال وقحهٔ، وإلی استعراض جنونی لقوّتهم.

حوادث سبتمبر فی نیویورک، قد أصبحت ذریعهً لتزاید غطرسهٔ البیت الأبیض، ولترتکب دولهٔ الصهاینهٔ جرائم فی فلسطین لم یسبق لها نظیر.

بعد العملیات المأساویّهٔ، التی ارتکبتها أمریکا فی أفغانستان، فإن الطبیعهٔ العسکریّهٔ الفظّهٔ لحکومهٔ أمریکا تعمد باستمرار إلی رفع وتیرهٔ دفع الساحهٔ العالمیّهٔ إلی حالهٔ من اللاأمن، وإلی المجازر والحروب. مکافحهٔ الإرهاب والدفاع عن السلام فی الشرق الأوسط تبدّل إلی ذریعهٔ للبطش والعربدهٔ الأمریکیهٔ، وغطاء للتوسّع والهیمنهٔ علی المصالح والمصادر الحیاتیّهٔ للشعوب.

إنّها لسُخریهٔ ما بعدها سخریهٔ أن یدّعی مکافحهٔ الإرهاب فی العالم مَنْ کان له السهمُ الأوفی فی ارتکاب الاغتیالات وتدبیر المؤامرات، وانتاج أفتک أسلحهٔ الدمار، وحمایهٔ أخطر الارهابیین. وإنّها لطعنهٔ فی قلب الحقیقهٔ حین یُطلق اسم الدفاع عن السلام علی قتل النساء والرجال والأطفال الفلسطینین، وهدم بیوتهم علی رؤوسهم، وإخراجهم من وطن آبائهم وأجدادهم.

ص: ۳

نداء الإمام

فقد قرّر اللَّه سبحانه أن سرّ الحجّ وبواعثه والغایة من الکعبة والبیت الحرام هی نهوض المسلمین وقیامهم فی سبیل مصالح الناس والجماهیر المستضعفة فی العالم.

فی هذا التجمّع الإلهی العظیم، الذی لا تستطیع أیّة قدرة سوی قدرة اللَّه تعالی علی أن تعقده، یتوجّب علی المسلمین أن یباشروا فی دراسة مشاکل المسلمین العامّة، ویبذلوا جهودهم علی طریق حلّها بالتشاور الشامل.

إحدی أکبر هذه المشاکل وأکثرها أهمیّة عدم الوحدة بین المسلمین. ولم یتّخذ حتّی الآن مع الأسف اجراء ملموس لتغلّب علیها؛ بل أن الجناة الطامعین الذین یستغلون الخلافات بین الشعوب والحکومات لصالحهم، یشدّدون هذه الخلافات عن طریق عملائهم الضالّین. وکلّما وضع أساس للوحدة بین المسلمین هبّوا لمحاربته بکلّ قواهم، وعملوا علی نثر بذور الخلاف.

ص: ۴

ص: ۵

إعداد: هادى القبيسى

قال السيّد الأمين:

لمّا اطّلع الشيخ على كتابنا مناسك الحجّ أرسل إلينا ينتقد فيه اموراً:

أقرب المواقيت فى الإحرام

الأوّل:

قولنا: إنّ قرن المنازل أقرب المواقيت.

فقال: إنّ يلملم مساوٍ له فى القرب.

فأجبناه بتاريخ ۴ جمادى الثانية سنة ۱۳۴۱ ه: بأنّ صاحب معجم البلدان حكى عن القاضى عياض أنّ قرن المنازل وهو قرن الثعالب بسكون الراء، ميقات أهل نجد، تلقاء مكّة على يوم وليلة، وهو قرن أيضاً غير مضاف.

وحكى عن الحسن بن محمّد المهلبى أنّه قال: (قَرن) قرية بينها وبين مكّة واحد وخمسون ميلًا، وهى ميقات أهل اليمن، بينها وبين الطائف ذات اليمين ستّة

ص: ۶

وثلاثون ميلًا (۱).

وقال: إنّ يلملم موضع على ليلتين من مكّة، وهو ميقات أهل اليمن. وقال المرزوقى: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث «انتهى» (۲).

فأجابنا بتاريخ ۲۱ جمادى الثانية سنة ۱۳۴۱ ه بقوله: إنّ الذى كتبتُه لحضرتك فيما يتعلّق ببعض المسائل من منسكك الشريف، لا أسمح بأن تسمّيه- لطفاً منك- بالانتقاد، وإنّما كان ذلك حرصاً على الاستيضاح فى التحقيق من أمثالك، لا من يجعل المذاكرة فى العلم مجلسية تنقضى بما لا يحمد، ولأجل اطمئنانى بلطفك فى حسن الظنّ بالداعى المخلص، بادرت إلى تكرار المراجعة استيثاقاً من التحقيق بالاستفادة، فأذكر كلامك الشريف، ثمّ أعرض ما عندى راجياً من لطفك الإفادة ببيان ما فيه، وقد أقنعنى الزمان عن خطوة المكالمة بحضرتك بإطالة الكلام فى المكاتبة، وأسأل اللّه أن لا تكون مضايقة لوقتك الشريف، وأن يجعلها سبباً لاستفادتنا بها من فوائدك.

مولاى أمّا اعتمادك على معجم البلدان فى كون قرن المنازل أقرب المواقيت، فكان على مثل تحقيقك أن تصرّح فى المنسك بالبناء على قوله.

والمصرّح بالمساواة ليلملم فيما حضرنى من الكتب فى ساعتى: المبسوط (۳) واللمعة (۴)، وكشف اللثام (۵)، والجواهر (۶). والمنقول من الاعتبار شاهد على ذلك، والتفاوت المذكور فى معجم البلدان غلط فاحش «انتهى».

۱- معجم البلدان ۴: ۳۳۲.

۲- معجم البلدان ۵: ۴۴۱.

۳- المبسوط ۱: ۳۱۳.

۴- اللمعة، كتاب الحج.

۵- كشف اللثام ۱: ۳۰۶.

۶- الجواهر، وكذا العلّامة فى المنتهى كما عنه فى مستند الشيعة ۱۱: ۱۸۵.

ص: ۷

[قال السيّد] فلذلك أصلحناه، فقلنا: إنّ يلملم لأهل اليمن، وقرن المنازل لأهل الطائف على مسافة واحدة، أو متقاربان فى المسافة، بينهما وبين مكّة ليلتان بالسير المتوسّط، وكذلك ذات عرق التى هى آخر العقيق، ميقات أهل العراق.

البريد

الثانى:

قولنا: فى كتاب المناسك فى تحديد الحرم: إنّ البريد نحو من مسير ستّ ساعات.

فأورد علينا: إنّ البريد أقلّ من ذلك.

فأجبناه بالتاريخ المتقدّم: بأنّ ذلك مبنى على ما ورد فى تحديد المسافة إنّما بياض يوم، وهو تقريبى لا تحقيقى.

فأجابنا بالتاريخ المتقدّم أيضاً بقوله: مولاى كان على مثل كتابتك وهى من مثلك أن تقول: مسير نصف بياض يوم للأثقال والقطار، فإنّ اليوم فى الحجاز مختلف كغيره، فأطول الأيّام بمكّة نحو ۱۳ ساعة و ۲۰ دقيقة. وفى المدينة نحو ۱۳ ساعة و ۳۳ دقيقة و ۲۸ ثانية، وأقصرها بمكّة نحو عشر ساعات و ۴۰ دقيقة. وفى المدينة نحو عشر ساعات و ۲۶ دقيقة. وتختلف أيضاً فى سائر الفصول بحسبها وبحسب عرض البلد، مع أنّه لابدّ فى العادة فى مسير بياض اليوم من النزول لقضاء المهمّات فى ضياء النهار، وأنّ التحديد بالأربعة فراسخ أقرب إلى التحقيق والتقدير المأنوس للأذهان «انتهى».

فأجبناه: بأنّ التحقيق هنا غير ممكن، وكفى برهاناً على عدم إمكانه ما ذكرتموه من اختلاف اليوم فى الحجاز وغيره، ومنه يُعلم أنّ التقدير- بنحو مسير ستّ ساعات- أقرب إلى التحقيق. والتقدير المأنوس للأذهان، لأنس الأذهان بالساعات أكثر من انسها بالفراسخ، التى لا يعرفها إلّاالخواص.

ص: ۸

محاذاة المیقات

الثالث:

قولنا: إنّ من یحجّ بطریق البحر من أهل الشام وغیرهم، فإحرامه من محاذاة الجحفة لا یخلو من إشکال؛ لأنّه یحاذی مسجد الشجرة قبل محاذاة الجحفة، وکما أنّه لا ـ یجوز التعدّی عن محاذاة میقات قبل الإحرام منها إلی محاذاة میقات آخر، نعم لو فعل أثم وصحّ حجّه.

فقال: إنّ الأدلّة (۱) أطلقت أنّ الجحفة میقات أهل مصر والشام، مع أنّ هؤلاء فی مسیرهم إلی الجحفة یحاذون مسجد الشجرة قبل الوصول إلی الجحفة «انتهی».

فأجبناه بالتاریخ المتقدّم: بأنّه قد فاتک أنّ مسألة المحاذاة فی النصّ والفتوی خاصّة بمن لم یمرّ علی میقات، ولا تتناول من مرَّ علی أحد المواقیت، وقد اختلفت فیها الأنظار، هل یحرم من محاذاة أقرب المواقیت إلی مکّة، أو من محاذاة أبعدها عنها، أو من محاذاة أقربها إلیه؟ والذی استقرّ علیه رأی أکثر المحقّقین (۲)، ودلّت علیه صحیحة ابن سنان (۳)، أنّه یحرم من محاذاة أبعد المواقیت عن مکّة «انتهی».

فأجابنا بالتاریخ المتقدّم أیضاً یقول: قلت دام فضلک «وقد فاتک الخ».

فأعرض لحضرتک أنّ النصّ الملحوظ لهم فی مسألة المحاذاة هی: الصحیحة المذکورة، وهی مختصّة بمن یخرج من المدینة وبمحاذاة الشجرة، وإنّما تسیروا إلی محاذاة سائر المواقیت من سائر الحجّاج بالمناط، وإلغاء خصوصیّة الشجرة، وها هی الصحیحة بحسب روایة الکافی: «من أقام بالمدینة شهراً وهو یرید الحجّ، ثمّ بدا له أن یخرج فی غیر طریق أهل المدینة الذی یأخذونه، فلیکن إحرامه من

۱- انظر الوسائل ۱۱: ۳۰۹ باب ۱ من أبواب تعیین المواقیت حدیث ۵.

۲- انظر مستند الشیعة ۱۱: ۱۸۸.

۳- الوسائل ۱۱: ۳۱۸ باب ۷ من أبواب المواقیت حدیث ۳.

ص: ۹

مسيرة ستّة أميال، فيكون حذاء الشجرة من البيداء» (۱). وبحسب رواية الفقيه:

«ثمّ بدا له أن يخرج فى غير طريق المدينة، فإذا كان حذاء الشجرة والبيداء مسيرة ستّة أميال، فليحرم منها» (۲).

ويعلم‌من‌نحو عشرروايات فى تلبية الإحرام و غيرها أنّ «مسجد الشجرة ليس من البيداء»، فيكون قوله فى رواية الكافى: «من البيداء» بياناً للمحلّ الذى يحاذى الشجرة منه، فيكون «الخروج» المشار إليه فى رواية الكافى على التياسر عن طريق المدينة إلى الشجرة ذاهباً إلى البيداء، وبمسيرة ستّة أميال، يحاذى الشجرة منها.

ولا يخفى أنّه يلزم عليه أن يكون التياسر قليلًا؛ لكى تحصل المحاذاة بمسير الستّة الأميال.

وأمّا على رواية الفقيه: فيقتضى أن يكون الخروج من المدينة على التيامن، فيحاذى الشجرة والبيداء، ولا يتأتّى على التياسر؛ لأنّ مسير الستّة الأميال الذى لايدخل البيداء، بل يفضى إلى شرقيها، لا يبلغ محاذاة الشجرة والبيداء.

فاعتمادك على هذه الصحيحة فى اختصاص مسألة المحاذاة بمن لم يمرّ أو لا يمرّ على ميقاتٍ، مبنىّ على دلالتها على أنّ المراد من غير طريق أهل المدينة هو ما يغاير طرقها منها إلى مكّة مغايرة كلّية، بحيث لا يفضى إلى طريق الجحفة أو طريق العقيق، ولو بعد ثلثى المسافة، وأنّ المنشأ فى الإحرام من المحاذاة هو عدم المرور بالميقات فيما بعد، ولكن الاعتبار وظهور سَوْق الرواية يأبيان ذلك، بل وإطلاق المغايرة، لو أنّ الرواية ظاهرة بمغايرة الطريق إلى مكّة، وإطلاق حكم المحاذاة من التقيّد بالمنشا المذكور.

۱- الكافى ۴: ۳۲۱ باب مواقيت الإحرام حديث ۹، الوسائل ۱۱: ۳۱۸ باب ۷ من أبواب المواقيت حديث ۲.

۲- الفقيه ۲: ۲۰۰/ ۹۱۳، الوسائل ۱۱: ۳۱۸ باب ۷ من أبواب المواقيت حديث ۳.

ص: ۱۰

أمّا الاعتبار: فإنّ الطرق المألوفة المأهولة المأمونة، والأبعد عن الوعورة، والتى يمكن التبلغ فيها من الماء وغيره بسبب المرور على المياه والقُرى. ووضع الأميال والمسالح إنّما هو طريقا الجحفة والعقيق. وأمّا التقحم فى غيرها فلا يتيسّر إلّا لنادر من البدور وفى نادر من الأيّام، فيبعد حمل الرواية عليها لو اقتضاه لفظها.

وأمّا سَوْقها: فلأنّ الغير المذكور هو ما يخرج فيه من المدينة، ويؤخذ فى السير فيه ممّا لا يفضى إلى الشجرة، فالمغايرة ظاهرة فى كونها فى الخروج، والأخذ فى السير المعتاد المفضى إلى الشجرة، وأنّه طريق واحد، ولا دلالة فيها على أنّ المراد من الطريق المدينة ما كان إلى مكّة، بل إفراد لفظه وتعدّد طرق المدينة المعتادة إلى مكّة ينافى ذلك، ويقتضى أيضاً الظهور فى طريقها إلى الشجرة.

وأمّا الإطلاق: فلأنّ الغيرية تصدق على وجه الحقيقة، لو سار نصف الطريق المألوفة إلى مكّة أو ثلثيها على غير طريق الجحفة، أو طريق العقيق، ثمّ عدل على أحدهما.

سلّمنا دلالة الصحيحة على أنّ الخارج من المدينة حكمه الإحرام من محاذاة الشجرة إذا لم يمرّ بالجحفة أو العقيق، ولكن من أين لها الدلالة على أنّ كلّ من لا يمرّ بميقات يحرم من محاذاة الشجرة، وإن كان على طريق الشام أو نجد؟ وأين دلالة الصحيحة على أنّهما يحرمان من أبعد المواقيت عن مكّة؟ وقصارى دلالتها على أنّ من كان ميقاته الشجرة يحرم من محاذاتها، لا لأنّها أبعد المواقيت، بل لأنّ الشجرة ميقات المدنىّ، وإن اتّفق كونها من حيث الوضع أبعدها.

وغاية مايستفاد من مناطها، أنّ من لم يمرّ فى طريقه على ميقاته الموظّف لجهته، فإنّه يحرم من محاذاة ذلك الميقات. وقد دلّت الروايات (۱) على أنّ ميقات أهل الشام ومصر والمغرب هى الجحفة، ولا أقلّ من اقتضائها أنّهم يسيرون محلّين فى طرقهم المعروفة إليها إلى أن يبلغوها. و من أين يجىء تقييد إحلالهم بأن يكون إحرامهم منها؟

۱- الوسائل ۱۱: ۳۰۷- ۳۱۱، باب ۱ من أبواب المواقيت حديث ۱- ۱۲.

ص: ۱۱

وغاية المناط من الصحيحة، أنّ محاذاة الجحفة مثلها لا يجوز أن يتعدّوها محلّين.

هذا، فضلًا عن أنّ محصّل تحديد المواقيت لأهل الأصقاع، واختلافها بحسب الطرق يفيد الجزم بأنّها حدّ لحلّهم وإحرامهم، وغاية مفاد الصحيحة ومناطها هو أنّ محاذاة الميقات مثله في كونها حدّاً لما هو له في صقعه.

وأمّا اعتمادك فيما ذكرت على الفتوى، فلو كانت هنا شهرة محقّقة، وأتى [دليل] على تقييد حكم المحاذاة بمن لا يمرّ بميقات أصلًا؛ لطالبنا بالدليل ولم نكتف بالشهرة مقيّداً.

وكلمات الفقهاء فى المحاذاة على اختلافها، ليس فيها ظهور يُعتدّ به، فى أنّ الشامى والبحرى الذى لا يمرّ بالجحفة يُحرم من محاذاة الشجرة.

أمّا مثل كلام المبسوط (۱) والسرائر والدروس (۲) فى المحاذاة، فالأقرب أنّه ناظر إلى محاذاة الميقات، الذى هو حدّ لصقع ذلك الطريق، فإنّ السرائر تقول: «إنّ ميقات أهل مصر ومن صعد البحر من جدّة» (۳). مع أنّ البحرى لابدّ له من أن يحاذى الشجرة حتّى إذا كان مسيره فى الساحل الأفريقى، فإنّه يحاذيها فى مقابل رابغ، وإذا كان فى الساحل الحجازى حاذاها فى جنوبى ينبع مقابل بئر عبّاس، وفيما بين هذين الساحلين ما بين المكانين حسب سير الدائرة «انتهى».

فأجبناه بأنّ صحيحة ابن سنان، التى هى المستند فى المحاذاة هى واحدة، سواء برواية الكافى أم برواية الفقيه، والاختلاف الجزئى فى رواية الفقيه عن الكافى بقوله: «والبيداء» بدل من «البيداء» لا يجعلها روايتين مختلفتى المفاد. فالظاهر أنّ صاحب الفقيه رواها بالمعنى؛ لأنّ ملحوظه حذف الأسانيد والاختصار، فوقعت

۱- المبسوط ۱: ۳۱۳.

۲- الدروس ۱: ۳۴۱.

۳- السرائر ۱: ۵۲۹.

ص: ۱۲

«الواو» بدل «من» سهواً من قلم الصدوق، أو من النسّاخ، وتصلح حينئذٍ رواية الكافى أن تكون مفسّرة لها، على أنّه يمكن أن يريد من محاذاة الشجرة والبيداء كونه بين الشجرة والبيداء، فإن ذا الحليفة، وإن كان ملاصقاً للبيداء، إلّاأنّ مسجد الشجرة الذى يجب الإحرام منه على الأقوى ليس متّصلًا بالبيداء، فالمرور بين البيداء والشجرة ممكن بأن يمرّ بآخر ذى الحليفة والبيداء، والمرور شرقى البيداء.

وزَعْمُ أنّ مسير ستّة أميال إذا كان شرقى البيداء لا يبلغ محاذاة الشجرة والبيداء، ممّا لم يقم عليه دليل، فإنّ البيداء أرض بعينها ملساء بين الحرمين معروفة، ولم يعلم أنّها واسعة كثيراً بحيث إذا سار السائر ستّة أميال من المدينة إلى شرقى البيداء لا يحاذى الشجرة.

وكيف كان، فالخبر صريح على روايتى الكافى والفقيه فى أنّه يحرم إذا بعُد عن المدينة ستّة أميال سائراً من ناحية البيداء، سواء أسار فى نفس البيداء أم شرقيها أم غربيها، وأنّه إذا سار تلك المسافة يكون بحذاء الشجرة، وأنّ إحرامه من ذلك المكان؛ لكونه بحذاء الميقات الذى كان عليه أن يحرم منه لو مرّ به، فلمّا لم يمرّ به كان عليه أن يحرم منه من محاذاته، فتدلّ بمفهوم العلّة أنّ كلّ من لم يمرّ بميقات عليه أن يحرم من محاذاته كما هو فتوى الأصحاب، ولا دلالة لها على التقييد بكون التياسر قليلًا؛ لصراحتها فى أنّ من سار ستّة أميال من المدينة فوصل البيداء إلى أىّ موضع كان منها حاذى الشجرة، بدون تكلّف تأويل ولا تقييد، وأنّ ذلك ليس مبتيّاً على التدقيق، بل على المحاذاة العرفية التى أمرها أوسع من التدقيق، وبعد كون الروايتين رواية واحدة، لا مجال للقول بأنّه على رواية الفقيه يلزم أن يكون الخروج من المدينة على التيامن كما عرفت، ومرادنا من أنّ الفتوى فى مسألة المحاذاة خاصّة بمن لم يمرّ على ميقات، هو قول الفقهاء جميعاً بعد ذكر المواقيت أنّ من لم يمرّ بميقات أحرم من المحاذاة.

والحاصل أنّه لا يبعد أن يفهم من النصّ والفتوى أنّه يجب الإحرام من

ص: ۱۳

المیقات عند المرور به، ومن محاذاته عند عدم المرور به. فالمحاذاة بمنزلة المیقات الاضطراری.

وکما أنّه لا ـ یجوز تجاوز المیقات بدون إحرام ولو إلی میقات آخر، لا ـ یجوز تجاوز محاذاة میقات إلی محاذاة آخر، إعطاءً للبدل حکم المبدل، وإن کان لو تعدّی أثم وصحّ إحرامه.

نعم یجوز بل یجب تجاوز محاذاة میقات إلی میقات آخر، والإحرام منه؛ لکون المحاذاة بمنزلة المیقات الاضطراری، ومع إرادة المرور من الاختیاری یلزم ترک الاضطراری.

توضیح ذلک: أنّ الشارع جعل هذه المواقیت لأهل الأصقاع، فالعقیق لأهل العراق، والشجرة لأهل المدینة، والجحفة لأهل مصر والشام. ویلملم لأهل الیمن.

وقرن المنازل لأهل الطائف.

وجعلها مواقیت لمن مرّ علیها من غیر أهل هذه الأصقاع أیضاً. بل ظاهر صحیحة ابن سنان المشار إلیها آنفاً أنّه یشترط لعدّ المارّ علیها من أهل ذلک الصقع إقامته فیه شهراً فأکثر. وإن لم نجد عاملًا بذلک فهی مواقیت لأهلها ولمن مرّ علیها من غیر أهلها، کما دلّ علیه النصّ والفتوی، فمن مرّ علیها من أهل صقعها أو من جاء إلی صقعهم وإن لم یکن من أهلها، أحرم منها، ومن لم یمرّ علیها من أهلها ومن جاء إلی صقعهم، أحرم من محاذاتها، ومن لم یمرّ بها ولا من محاذاتها من أهل صقعها فعلیه أن یحرم من محاذاة أوّل میقات یمرّ بحذائه ولیس له أن یؤخّر الإحرام إلی محاذاة میقات آخر، کما لا یجوز له أن یؤخّر الإحرام من میقات إلی آخر.

ومن مرّ بالمدینة من غیر أهلها میقاته الشجرة، فإن مرّ بها أحرم منها، وإن لم یمرّ بها، بل کان مشرقاً عنها أو مغرباً أحرم من محاذاتها، وذلک إذا بلغ فی مسیره ستّة أمیال متوجّهاً إلی مکّة. ولیس لمن مرّ بالشجرة أن یؤخّر الإحرام إلی میقات آخر، إذا کان یمرّ به بعد ذلک.

ص: ۱۴

وأمّا خبر إبراهيم بن عبد الحميد، أنّه سأل الكاظم عليه السلام عن قوم قدموا المدينة فخاف أكثرهم البرد وكثرة الأيّام وأرادوا أن يأخذوا منها إلى ذات عرق، فيحرموا منها؟ فقال: «لا- وهو مغضب- من دخل المدينة فليس له أن يحرم إلّامن المدينة» (۱)، فمع ضعف السند محمول على الاستحباب، ويكون الغضب لإرادتهم اتباع الأسهل الأقلّ ثواباً، وتجنّب الأشقّ الأكثر ثواباً.

والعراقى إذا لم يمرّ بالعقيق بل سافر بحراً من طريق البصرة، فعليه أن يحرم من محاذاة أوّل ميقات يمرّ بحذائه، وقد كانوا يُحرمون بين جدّة وقمران عند محاذاة يلملم بحسب قول القبطان.

ثمّ لمّا لاحظ العلماء فى هذا العصر الخارطة، رأوا أنّ هذه المحاذاة ليست هى المحاذاة المطلوبة؛ لأنّ المطلوبة أن يكون الميقات على اليمين أو اليسار متوجّهاً إلى مكّة، وهنا الميقات مقابل وجهه لا عن يمينه ولا عن يساره. وإنّ المحاذاة المطلوبة تحصل فى «جدّة» بالجيم أو «حدّه» بالحاء. فالعراقيّون الحاجّون بحراً لا- يمرّون بميقات بلادهم ولا- بما يحاذيه، بل بما يحاذى ميقات بلاد اخرى، فيحرمون منه.

وبهذا التقرير لا يبقى محلّ للخلاف فى أنّ من فرضه الإحرام من المحاذاة، هل يحرم من محاذاة أقرب المواقيت إلى مكّة، أو أبعدها عنها، أو أقربها إليه؟ فإن فرضه أن يحرم من محاذاة أوّل ميقات يمرّ به.

فالمدنى يحرم من محاذاة الشجرة لا- من محاذاة الجحفة، ولا العقيق، لكن لأنّه أوّل ميقات يحاذيه، وصادف أنّه أبعد المواقيت عن مكّة.

والشامى والمصرى والمغربى يحرمون من محاذاة الجحفة فى وجه، وصادف أنّها أقرب إلى مكّة من الشجرة، أو من محاذاة الشجرة كما مرّ.

۱- الوسائل ۱۱: ۳۱۸، باب ۸ من أبواب المواقيت، حديث ۱.

ص: ۱۵

واليمانى والعراقى يحرمان من محاذاة يلملم؛ لأنّه أوّل ميقات يحاذيانه.

وصادف أنّه أقرب إلى مكّة من الجحفة والشجرة.

وقال أيضاً فيما كتبه إلينا بالتاريخ المتقدّم ما نصّه: وقلت دام فضلك وذكرت للمحاذاة معنيين استظهرت ثانيهما.

الأوّل: الوقوع على دائرة عرض الشجرة، ولم يتّضح لى معناه.

الثانى: الوقوع على دائرة تمرُّ بالشجرة مركزها مكّة. مع أنّ المحاذاة المفهومة من صحيحة ابن سنان أن يكون بينه وبين مكّة بقدر ما بين الميقات ومكّة حال كون الميقات عن يمينه أو شماله، لا ـ ما إذا كان مقابل وجهه مثلًا. فيخرج الواقع على بعض خطوط تلك الدائرة عن المحاذاة.

فأعرض لحضرتك: أمّا قولى:- الوقوع على دائرة عرض الشجرة- فمرادى منه الدائرة التى يكون بُعدها عن خط الاستواء ما يقرب من ۲۵ درجة، كبُعد الشجرة، وهو الذى يُسمّى عرض البلد، وعلى هذا يوجبون الإحرام عند مقابلة يلملم فى البحر، وإن كان بينه وبين الثانية التى سأذكرها نحو ۱۵۰ ميلًا.

وأمّا قولى:- على دائرة تمرُّ بالشجرة ومركزها مكّة- فهو عين ما تقوله وتختاره فى معنى المحاذاة مفهوماً ومصداقاً، ولم أدرِ ما هو المنشأ فى قولك: «لا ما إذا كان الخ»؟ «انتهى».

ونقول: المحاذاة أمر عُرفى، يكفى فيها صدق المحاذاة العرفية، التى أمرها واسع جدّاً بملاحظة جعلها على ستّة أميال من المدينة لمن دخل البيداء من غير تقييد بمكان منها، ممّا يشمل طرفها الغربى والشرقى ووسطها.

وبناء الأميال على التقريب لا التحقيق الذى لايتيسّر للحاج غالباً؛ فبناؤها على خطّ الاستواء والدرجات وعرض البلد والدائرة هو إن صحّ، تكلّف لما لا يلزم.

وأمّا قولنا: «لا ما إذا كان مقابل وجهه» فقد علم معناه، ممّا مرّ فى كلامنا.

ص: ۱۶

تحديد الميل

وأرسل إلينا بالتاريخ المتقدّم معترضاً على تحديد الميل فى الدرّ الثمين، بأربعة آلاف ذراع بعد ترداد المراسلة يقول: (وقلت دام فضلك: واستشكلت فى قدر الميل أنّه ۴۰۰۰ ذراع مع اشتهاره، ودعوى الإجماع عليه، وعدم المعارض سوى مرسلة الخزّاز (۱)القاصرة سنداً ومتناً؛ لعدم التصريح فيها بأنّه ۳۵۰۰، بل قال: إنّ بنى أُميّة لمّا ذرعوا ما بين ظل (عير) إلى فىء (وعير) وزّعوه على ۱۲ ميلًا، وكان الميل ۳۵۰۰ ذراع، ولعلّهم أخطأوا فى بعض ذلك.

والمشهور، وإن لم يظهر مستنده، لكنّه كافٍ فى إثبات هذا الموضوع اللغوى العرفى.

أمّا قول السمهودى أنّه اعتبر ما بين عتبة المسجد النبوى ومسجد الشجرة فكان ۱۹۷۳۲ ذراعاً، فهذا لا ينطبق على ۴۰۰۰، ولا على المرسلة.

فأعرض لحضرتك أوّلًا: أنّ الروايات تقول: إنّ ما بين الشجرة والمدينة ستّة أميال، ويصحّ هذا الإطلاق فى مثل مقامه، باعتبار الدخول فى الميل السادس.

وتقدير السمهودى بحسب مدلول المرسلة يبلغ نحو ثلثى الميل السادس، وإنّى لم

۱- ما رواه الكلينى بسنده إلى يحيى الخزّاز عن بعض أصحابنا، عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: بينا نحن جلوس وأبىعند والٍ لبنى أُمية على المدينة إذ جاء أبى فجلس فقال: كنت عند هذا قُبيل فساءلهم عن التقصير، فقال قائل منهم: فى ثلاث، وقال قائل منهم: يوم وليلة، وقال قائل منهم: روحة، فسألنى فقلت له: إنّ رسولاللَّه صلى الله عليه و آله لمّا نزل عليه جبرئيل بالتقصير قال له النبىّ صلى الله عليه و آله: فى كم ذاك؟ فقال: فى بريد؟ وقال: وأىّ شىء البريد؟ فقال: ما بين ظلّ عير إلى فى وعير، قال: ثمّ عبرنا زماناً ثمّ رأى بنو أُميّة يعملون أعلاماً على الطريق، وأنّهم ذكروا ما تكلّم به أبو جعفر عليه السلام فذرعوا ما بين ظلّ عير إلى فى وعير ثمّ جزأوه على اثنى عشر ميلًا فكانت ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع كلّ ميل، فوضعوا الأعلام، فلمّا ظهر بنو هاشم غيّروا أمر بنى أُميّة غيرة، لأنّ الحديث هاشمى، فوضعوا إلى جنب كلّ علم علماً.

الكافى ۳: ۴۳۲ باب حدّ المسير الذى تقصر فيه الصلاة حديث ۳، الوسائل ۸: ۴۶۰ باب ۲ من أبواب صلاة المسافر، حديث ۱۳.

ص: ۱۷

أحتجّ بمرسلة الخزّاز، ولكن مرسلة ابن أبى عمير (۱)، ومرسلة الخزّاز ومرسلة الصدوق (۲) عن الصادق عليه السلام متّفقة على أنّ البريد فى القصر هو ما بين ظل (عير) إلى فىء (وعير) حسب قول جبرائيل عليه السلام للرسول صلى الله عليه و آله.

ومرسلة الخزاز تقول: إنّ الإمام أخبر عن الميل الذى هو جزء من ۱۲ جزءاً ممّا بين (عيرو وعير) الذى هو البريد، وميزان القصر بأنّه كان كلّ ميل ۳۵۰۰ ذراع.

فاحتمال الخطإ إن كانَ فى تجزئة بنى أُميّة لما بين (عير ووعير) إلى ۱۲ ميلًا. فهو مدفوع بالتسالم على أنّ البريد ۱۲ ميلًا، وأنّ الاعتبارات الكثيرة تساعد المرسلة، منها اعتبار السمهودى، ومنها اعتبار يلملم، فإنّه لاينطبق على بعدها عن مكّة ۴۸ ميلًا، كما هو المحصّل من أخبار حاضرى المسجد الحرام، إلّاعلى تقدير المرسلة.

وقد رأيت كتابين لبحر العلوم وصاحب كشف الغطاء فى تحديد الحرم، وذكر الأقوال الكثيرة فى تحديده بالأميال والأذرع، والكلّ متّفقة على اعتبار الميل ۳۵۰۰ ذراع، فإذا اعتبرنا قول الروايات الناصّة على أنّ ما بين عير إلى وعير هو الميزان الحقيقى الموحى للقصر، ومرسلة الخزّاز تقول قولها، والاعتبارات المنقولة تساعدها، فهل يسوغ أن لا نلتفت إلى المرسلة والاعتبارات، ولا نحقّق موضوع الحكم باعتبارنا نستريح إلى مشهور لا مستند له، إلّاشيوع تقدير الميل من زمان اليونان إلى زماننا تبعاً لهم بأربعة آلاف ذراع؟ وقد كانت كتابة استشكالى لحضرتك استنهاضاً لمساعدتك على اعتبار ما بين (عير ووعير) «انتهى».

ونقول: إرادة الدخول فى الميل السادس من الستّة الأميال مجاز، يحتاج إلى القرينة، وهى مفقودة.

۱- الكافى المصدر السابق ص ۴۳۳ حديث ۴؛ الوسائل، المصدر السابق حديث ۱۲.

۲- الفقيه ۱: ۲۸۶ باب الصلاة فى السفر حديث ۳۸، الوسائل المصدر السابق ص ۴۶۱ حديث ۱۶.

ص: ۱۸

مع أدعية الحج

مع أدعية الحج

إعداد وتقديم: محمّدعلى المقدادى

آداب الدعاء

حينما يبتلى الانسان بأمواج من المشاكل والبلايا، ولايجد ناصراً إلّا اللَّه عزّوجلّ، يرفع يديه بالدعاء والثناء عليه؛ لأنّه يعتقد أنّ اللَّه تعالى هو المنجى الوحيد، ولا يمكن لأحد أن يرفع المشاكل إلّا هو.

إنّ الدعاء من الأسباب المهمة، التى يسوق الفرد والمجتمع الى المعنويات، ويبعده عن آثام الدنيا وقذاراتها.

يقول اللَّه تعالى: أُدْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ (۱).

ولا شك أنّ الأنبياء والأولياء قد عنوا عناية تامة بهذا المعنى، فإنّهم قد علّمونا شكل هذا البناء المرتفع؛ لنجد طريق الأنس مع اللَّه عزّوجل، وبهذا نرى قسماً واسعاً من الأدعية قد رويت عنهم؛ لنتعلّم كيفية الدعاء والثناء على اللَّه تعالى.

ولا شك أننا لا نصبر على ضغط البلايا والمشاكل، ولا قدرة لدينا أن ندفع

۱- سورة غافر، آية ۶۰

ص: ۱۹

كيد الشياطين وآثام النفس الأمارة بالسوء، أضف إلى كلّ ذلك أنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام كانوا عالمين بضعفنا النفسانى، ولذا أرادوا أن يوقظونا من نوم الغفلة، فهيّئوا لنا أدعية طيبة ذات معانٍ كبيرة، فعلينا أن نحفظ هذه الوديعة الثمينة حفظاً تامّاً، ونسعى للارتباط الدائم معها.

ولكن هنا نكتة يجب مراعاتها، وهى أن لا ندع الأدعية على حالها وننساها حتى إذا هجمت المصيبة والأحزان علينا، لذنا بها، بل علينا أن نداوم قراءتها والأنس بها، وإلّا إذا تركناها فى أماكنها، ولا نعود إليها إلّا إذا حلّت بنا مصيبة أو بليّة، فإنّ هذا عمل غير جيّد وطلب لايفيد، فلابدّ لنا من أن نبقى على علاقة وثيقة بها، نستمدّ منها الثبات و الخير فكلّها دروس نافعة فى دنيانا وآخرتنا...

والآن لنجلس فى محضر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ونستمع الى فضائل الأدعية وأهميتها، وكيفيةالدعاء من خلال كلماتهم الطيبة و أدعيتهم العظيمة، ثمّ ننقل‌لكم‌ما ورد من الأدعية فى الحج والعمرة، التى اقتبسناها من الكتب المعتبرة.

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«ما مِنْ شَيْ‌ءٍ أَكْرَمُ عَلَى اللَّه تَعالى مِنَ الدُّعاءِ».

: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى سِلاحٍ يُنْجيكُمْ مِنْ أَعْدائِكُمْ، ويَدُرُّ أَرْزاقَكُمْ؟. قالُوا: بَلى يا رَسُولَ اللَّهِ. قالَ: تَدْعُونَ رَبَّكُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ، فَإِنَّ سِلاحَ الْمُؤْمِنِ الدُّعاءُ».

: «ما مِنْ مُسْلِمٍ دَعَا اللَّهَ تَعالى بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فيها قَطيعَةُ رَحِمٍ ولَا اسْتِجْلابُ إِثْمٍ، إِلَّا أَعْطاهُ اللَّهُ تَعالى بِها إِحْدى خِصالٍ ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ الدَّعْوَةُ، وإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَها لَهُ فِي الْاخِرَةِ، وإِمَّا أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ مِثْلَها مِنَ السُّوءِ».

قال الإمام الحسين بن على عليه السلام: «كانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِذَا ابْتَهَلَ، ودَعا كَما يَسْتَطْعِمُ الْمِسْكينُ».

قال أبو عبداللَّه الصادق عليه السلام: «الدُّعاءُ كَهْفُ الْإِجابَةِ، كَما أَنَّ السَّحابَ كَهْفُ الْمَطَرِ».

ص: ۲۰

عن أبی عبداللَّه الصادق وأبی جعفر الباقر علیهما السلام قالا: «وَاللَّهِ ما یُلِحُّ عَبْدٌ عَلی اللَّهِ، إِلَّا اسْتَجابَ لَهُ» (۱).

قال أبو عبد اللَّه الصادق علیه السلام: إذا طلب أحدکم الحاجة فلیثن علی ربّه ولیمدحه، فإنَّ الرجل إذا طلب الحاجة من السُّلطان، هیَّأ له من الکلام أحسن ما یقدر علیه، فإذا طلبتم الحاجة، فمجِّدوا اللَّه العزیز الجبّار، وامدحوه وأثنوا علیه، تقول: «یَا أَجْوَدَ مَنْ أَعْطی، ویَا خَیْرَ مَنْ سُئِلَ، یَا أَرْحَمَ مَنِ اسْتُرْحِمَ، یَا أَحَدُ، یَا صَمَدُ، یَا مَنْ لَمْ یَلِدْ ولَمْ یُولَدْ ولَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ، یَا مَنْ لَمْ یَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولا وَلَداً، یَا مَنْ یَفْعَلُ مَا یَشَاءُ ویَحْکُمُ مَا یُرِیدُ، وَیَقْضِی مَا أَحبَّ، یَا مَنْ یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وقَلْبِهِ، یَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَی، یَا مَنْ لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْ ءٌ یَا سَمِیعُ یَا بَصِیرُ». وأکثر من أسماء اللَّه عزَّ وجلَّ، فإنَّ أسماء اللَّه کثیرةٌ، وصلِّ علی محمَّدٍ وآله، وقل: «أللَّهُمَّ أَوْسِعْ عَلَیَّ مِنْ رِزْقِکَ الْحَلَالِ مَا أَکُفُّ بِهِ وَجْهِی، وأُؤَدِّی بِهِ عَنْ أَمَانَتِی، وأَصِلُ بِهِ رَحِمِی، ویَکُونُ عَوْناً لِی فِی الْحَجِّ والْعُمْرَةِ» وقال: «إِنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّی رَکْعَتَیْنِ، ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّوجَلَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله: عَجَّلَ الْعَبْدُ رَبَّهُ. وجَاءَ آخَرُ فَصَلَّی رَکْعَتَیْنِ ثُمَّ أَثْنَی عَلَی اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وصَلَّی عَلَی النَّبِیِّ وآلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ‌اللَّهِ صلی الله علیه و آله: سَلْ تُعْطَ» (۲).

عن أبی‌عبداللَّه علیه السلام: قال: «سَمِعَ أَبِی رَجُلًا مُتَعَلِّقاً بِالْبَیْتِ وهُوَ یَقُولُ: أللّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ، فَقَالَ لَهُ أَبِی: یَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَبْتُرْهَا لا تَظْلِمْنَا حَقَّنَا قُلْ: أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ وأَهْلِ بَیْتِهِ» (۳).

عن أبی‌عبداللَّه علیه السلام قال: «کُلُّ دُعَاءٍ لا یَکُونُ قَبْلَهُ تَحْمِیدٌ فَهُوَ أَبْتَرُ، إِنَّمَا التَّحْمِیدُ، ثُمَّ الثَّنَاءُ، قُلْتُ: مَا أَدْرِی مَا یُجْزِی مِنَ التَّحْمِیدِ والتَّمْجِیدِ؟ قَالَ: یَقُولُ: أللّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ

۱- مکارم الأخلاق: ۲۶۸.

۲- الکافی ۲: ۴۸۵ وسائل الشیعة ۷: ۷۹.

۳- الکافی ۲: ۴۹۵، وسائل الشیعة ۷: ۲۰۲.

ص: ۲۱

فَلَیْسَ قَبْلَکَ شَیْءٌ، وأَنْتَ الآخِرُ فَلَیْسَ بَعْدَکَ شَیْءٌ، و أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَیْسَ فَوْقَکَ شَیْءٌ، وأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَیْسَ دُونَکَ شَیْءٌ، وأَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ» (۱).

عن الولید بن صبیح عن أبیعبداللّه علیه السلام قال: صَحِبْتُهُ بَیْنَ مَکَّةَ والْمَدِینَةِ فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَمَرَ أَنْ یُعْطَی، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَأَمَرَ أَنْ یُعْطَی، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَأَمَرَ أَنْ یُعْطَی، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِاللّهِ علیه السلام: یُشْبِعُکَ اللّهُ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَیْنَا فَقَالَ: أَمَا إِنَّ عِنْدَنَا مَا نُعْطِیهِ، ولَکِنْ أَخْشَی أَنْ نَکُونَ کَأَحَدِ الثَّلَاثَةِ الَّذِینَ لا یُسْتَجَابُ لَهُمْ: دَعْوَةُ رَجُلٍ أَعْطَاهُ اللّهُ مَالًا فَأَنْفَقَهُ فِی غَیْرِ حَقِّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَللَّهُمَّ ارْزُقْنِی فَلَا یُسْتَجَابُ لَهُ، ورَجُلٌ یَدْعُو عَلَی امْرَأَتِهِ أَنْ یُرِیحَهُ مِنْهَا، و قَدْ جَعَلَ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ أَمْرَهَا إِلَیْهِ، ورَجُلٌ یَدْعُو عَلَی جَارِهِ وقَدْ جَعَلَ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ السَّبِیلَ إِلَی أَنْ یَتَحَوَّلَ عَنْ جِوَارِهِ ویَبِیعَ دَارَهُ» (۲).

*** إنّ الدعاء وسیلة جلیلة للتقرب إلی اللّه تعالی، ویظهر مکانته العظیمة فی موسم الحج والعمرة.

وبما أنّ الحج والعمرة عبادتان جلیلتان؛ یکون فیهما أنواع التذلل والخشوع، فکذلک یکون للدعاء فی الحج والعمرة درجة عالیة من تلک الأنواع، فیوجد فیه الکثیر من التواضع والخشوع والتذلل، من أجل الحصول علی المنافع الدنیویة والأخرویة للفرد والمجتمع.

قال تعالی:

وَ أَذِّنْ فِی الناسِ بِالْحَجّ یَأْتُوکَ رِجالًا وعَلَی کُلّ ضامِرٍ یَأْتینَ مِنْ کُلّ فَجٍّ عَمیقٍ لِیَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ...

إنّ المؤمنین فی موسم الحج والعمرة یتفرغون للعبادة والتفکر وذکر اللّه تعالی،

۱- الکافی ۲: ۵۰۳

۲- وسائل الشیعة ۷: ۱۲۳.

ص: ۲۲

ولا تشغلهم هموم الحياة أبداً، إذا قاموا لأداء الحج والعمرة بمثل ما قام ابراهيم الخليل ورسول‌اللّه محمد صلی الله علیه و آله، ولايمكن إحرازهم لهذا المقام الشامخ إلّا إذا تشرّفوا الى قراءة هذه الأدعية الخاصّة بالديار المقدسة؛ التی صدرت عن المعصومين عليهم السلام.

و إليك هذه الكلمات العطرة الطاهرة؛ الصادرة من تلك الأنوار المطهّرة عليهم السلام، والآن ندعك أيها القارئ الكريم مع هذه الأدعية، وقد بوّبتها لتسهيل الوصول إليها فقط.

*** الدعاء عند الإحرام وعقده

۱- عن أبی عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: لا يكون إحرامٌ إلّا فی دبر صلاةٍ مكتوبةٍ أحرمت فی دبرها بعد التّسليم، وإن‌كانت نافلةً صلّيت ركعتين وأحرمت فی دبرهما، فإذا انفتلت من صلاتک فاحمد اللّه وأثن عليه وصلّ علی النّبیّ صلی الله علیه و آله وقل:

«أَللَّهُمَّ إِنِّی أَسْأَلُکَ أنْ تَجْعَلَنی مِمَّنِ اسْتَجَابَ لَکَ، وآمَنَ بِوَعْدِکَ، واتَّبَعَ أَمْرَکَ، فَإِنِّی عَبْدُکَ وفِی قَبْضَتِکَ، لا أُوقَى إلّا مَا وَقَيْتَ، ولا آخُذُ إلّا مَا أَعْطَيْتَ، وقَدْ ذَكَرْتَ الْحَجَّ فَأَسْأَلُکَ أنْ تَعْزِمَ لِی عَلَيْهِ عَلَى كِتَابِکَ وسُنَّةِ نَبِيِّکَ، وتُقَوِّيَنِی عَلَى مَا ضَعُفْتُ عَنْهُ، وتَسَلَّمَ مِنِّی مَنَاسِكِی فِی يُسْرٍ مِنْکَ وعَافِيَةٍ، واجْعَلْنِی مِنْ وَفْدِکَ، الَّذِينَ رَضِيتَ وارْتَضَيْتَ وسَمَّيْتَ وكَتَبْتَ، أللَّهُمَّ فَتَمِّمْ لِی حَجِّی وعُمْرَتِی، أللَّهُمَّ إنِّی أُرِيدُ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ عَلَى كِتَابِکَ وسُنَّةِ نَبِيِّکَ صلی الله علیه و آله، فَإِنْ عَرَضَ لِی شَیْءٌ يَحْبِسُنِی، فَحُلَّنِی حَيْثُ حَبَسْتَنِی لِقَدَرِکَ، الَّذِی قَدَّرْتَ عَلَیَّ، أللَّهُمَّ إنْ لَمْ تَكُنْ حَجَّةً فَعُمْرَةً، أَحْرَمَ لَکَ شَعْرِی وبَشَرِی ولَحْمِی ودَمِی وعِظَامِی ومُخِّی وَعَصَبِی مِنَ النِّسَاءِ والثِّيَابِ والطِّيبِ، أَبْتَغِی بِذَلِکَ وَجْهَکَ والدَّارَ الْآخِرَةَ» قال: ويجزئک أن تقول هذا مرّةً واحدةً حين‌تحرم، ثمَّ قم فامش هنيئةً، فإذا استوت‌بک الْأرْض‌ماشياً كنتَ، أوْراكباً فلبِّ (۱).

۱- التهذيب ۵: ۷۷.

ص: ۲۳

۲- عن أبی‌عبداللَّه علیه السلام قال: قلت له: إنّی أرید أن أتمتَّع بالعمرهٔ إلی الحجّ، فکیف أقول؟ قال: تقول: «أللَّهُمَّ إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أَتَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَی الْحَجِّ عَلَی کِتَابِکَ وسُنَّةِ نَبِیِّکَ صلی الله علیه و آله، وإِنْ شِئْتَ أَضْمَرْتَ الَّذِی تُرِیدُ» (۱).

التلبیهٔ

عن أبی‌عبداللَّه علیه السلام قال: التَّلبیهٔ «لَبَّیْکَ أَللَّهُمَّ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ لا شَرِیکَ لَکَ لَبَّیْکَ، إِنَّ الْحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَکَ والْمُلْکَ، لا شَرِیکَ لَکَ. لَبَّیْکَ ذَا الْمَعَارِجِ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ دَاعِیاً إِلَی دَارِ السَّلَامِ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ غَفَّارَ الذُّنُوبِ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ أَهْلَ التَّلْبِیَةِ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ ذَا الْجَلَالِ والْإِکْرَامِ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ مَرْهُوباً ومَرْغُوباً إِلَیْکَ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ تُبْدِئُ والْمَعَادُ إِلَیْکَ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ کَشَّافَ الْکُرَبِ الْعِظَامِ، لَبَّیْکَ لَبَّیْکَ عَبْدُکَ وابْنُ عَبْدَیْکَ لَبَّیْکَ، لَبَّیْکَ یَا کَرِیمُ لَبَّیْکَ»

تقول ذلک فی دبر کلِّ صلاةٍ مکتوبةٍ أو نافلةٍ، وحین ینهض بک بعیرک، وإذا علوت شرفاً، أو هبطت وادیاً، أو لقیت راکباً، أو استیقظت من منامک وبالأسحار، وأکثر ما استطعت منها وأجهر بها، وإن ترکت بعض التَّلبیهٔ فلا یضرُّک، غیر أنَّ تمامها أفضل، واعلم أنَّه لا بدَّ من التَّلبیات الأربع فی أوَّل الکلام، وهی الفریضهٔ، وهی التَّوحید، وبها لبَّی المرسلون، وأکثر من ذی المعارج، فإنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کان یکثر منها، وأوَّل من لبَّی إبراهیم علیه السلام قال: إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ یدعوکم إلی أن تحجُّوا بیته، فأجابوه بالتَّلبیهٔ، فلم یبقَ أحدٌ أخذ میثاقه بالموافاهٔ فی ظهر رجلٍ ولا بطن امرأةٍ، إلّاأجاب بالتَّلبیهٔ (۲).

الدعاء عند دخول المسجد الحرام

عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام، فادخله حافیاً علی السَّکینهٔ والوقار والخشوع، وقال: ومن دخله بخشوعٍ، غفر اللَّه له إن شاء اللَّه،

۱- الاستبصار ۲: ۱۶۷، الکافی ۴: ۳۳۲.

۲- الکافی ۴: ۳۳۵

ص: ۲۴

قلت: ما الخشوع؟ قال: السَّكينة، لا تدخله بتكبُّرٍ، فإذا انتهيت إلى باب المسجد، فقم وقل: السَّلام عليك أيُّها النَّبيُّ ورحمة اللَّه وبركاته بسم اللَّه وباللَّه، ومن اللَّه وما شاء اللَّه، والسَّلا م على أنبياء اللَّه ورسله، والسَّلام على رسول اللَّه، والسَّلام على إبراهيم، والحمد للَّهربِّ العالمين، فإذا دخلت المسجد، فارفع يديك، واستقبل البيت، وقل: «أَللَّهُمَّ إنِّی أسْأَلُکَ فِی مَقَامِی هَذَا فِی أَوَّلِ مَنَاسِکِی أنْ تَقْبَلَ تَوْبَتِی، وأنْ تَجَاوَزَ عَنْ خَطِیئَتِی، وتَضَعَ عَنِّی وِزْرِی، الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِی بَلَّغَنِی بَیْتَهُ الْحَرَامَ، أَللَّهُمَّ إنِّی أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا بَیْتُکَ الْحَرَامُ، الَّذِی جَعَلْتَهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وأَمْناً مُبَارَکاً وهُدًی لِلْعَالَمِینَ، أَللَّهُمَّ إنِّی عَبْدُکَ، و الْبَلَدُ بَلَدُکَ، والْبَیْتُ بَیْتُکَ، جِئْتُ أَطْلُبُ رَحْمَتَکَ، وأَؤُمُّ طَاعَتَکَ، مُطِیعاً لِأَمْرِکَ، رَاضِیاً بِقَدَرِکَ، أَسْأَلُکَ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ إلَیْکَ، الْخَائِفِ لِعُقُوبَتِکَ، أَللَّهُمَّ افْتَحْ لِی أَبْوَابَ رَحْمَتِکَ، واسْتَعْمِلْنِی بِطَاعَتِکَ ومَرْضَاتِکَ» (۱).

دعاء آخر

عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: تقول وأنت علی باب المسجد: «بِسْمِ اللَّهِ وبِاللَّهِ ومِنَ اللَّهِ، ومَا شَاءَ اللَّهُ، وعَلَی مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه و آله، وخَیْرُ الْأَسْمَاءِ لِلَّهِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ، والسَّلَامُ عَلَی رَسُولِ‌اللَّهِ صلی الله علیه و آله السَّلَامُ عَلَی مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، السَّلَامُ عَلَیْکَ أَیُّهَا النَّبِیُّ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَکَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَی أَنْبِیَاءِ اللَّهِ ورُسُلِهِ، السَّلَامُ عَلَی إبْرَاهِیمَ خَلِیلِ الرَّحْمَنِ، السَّلَامُ عَلَی الْمُرْسَلِینَ، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِینَ، السَّلَامُ عَلَیْنَا وعَلَی عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِینَ، أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وبَارِکْ عَلَی مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وارْحَمْ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ، کَمَا صَلَّیْتَ وبَارَکْتَ وتَرَحَّمْتَ عَلَی إبْرَاهِیمَ وآلِ إبْرَاهِیمَ إنَّکَ حَمِیدٌ مَجِیدٌ، أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ عَبْدِکَ ورَسُولِکَ، وعَلَی إبْرَاهِیمَ خَلِیلِکَ، وعَلَی أَنْبِیَائِکَ ورُسُلِکَ، وسَلِّمْ عَلَیْهِمْ، وسَلَامٌ عَلَی الْمُرْسَلِینَ، والْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِینَ، أَللَّهُمَّ افْتَحْ لِی أَبْوَابَ رَحْمَتِکَ، واسْتَعْمِلْنِی فِی طَاعَتِکَ ومَرْضَاتِکَ،

۱- التهذیب ۵: ۹۹، الکافی ۴: ۴۰۱.

ص: ۲۵

واحْفَظْنِی بِحِفْظِ الْإِیمَانِ أَبَداً مَا أَبْقَیْتَنِی جَلَّ ثَنَاءُ وَجْهِک، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی جَعَلَنِی مِنْ وَفْدِهِ وزُوَّارِهِ، وجَعَلَنِی مِمَّنْ یَعْمُرُ مَسَاجِدَهُ، وجَعَلَنِی مِمَّنْ یُنَاجِیهِ، أَللَّهُمَّ إِنِّی عَبْدُک وزَائِرُک فِی بَیْتِک وعَلَی کُلِّ مَأْتِیٍّ حَقٌّ لِمَنْ أَتَاهُ وزَارَهُ، وأَنْتَ خَیْرُ مَأْتِیٍّ وأَکْرَمُ مَزُورٍ، فَأَسْأَلُک یَا اللَّهُ یَا رَحْمَنُ بِأَنَّک أَنْتَ اللَّهُ، الَّذِی لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ وَحْدَک لا شَرِیک لَک، وبِأَنَّک وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ تَلِدْ ولَمْ تُولَدْ، ولَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُک ورَسُولُک صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ و عَلَی أَهْلِ بَیْتِهِ، یَا جَوَادُ یَا کَرِیمُ، یَا مَاجِدُ یَا جَبَّارُ یَا کَرِیمُ، أَسْأَلُک أَنْ تَجْعَلَ تُحْفَتَک إِیَّایَ بِزِیَارَتِی إِیَّاک أَوَّلَ شَیْءٍ تُعْطِینِی فَکَاک رَقَبَتِی مِنَ النَّارِ، أَللَّهُمَّ فُک رَقَبَتِی مِنَ النَّارِ، تقولها ثلاثاً، و أَوْسِعْ عَلَیَّ مِنْ رِزْقِک الْحَلَالِ الطَّیِّبِ، و ادْرَأْ عَنِّی شَرَّ شَیَاطِینِ الْإِنْسِ و الْجِنِّ، و شَرَّ فَسَقَةِ الْعَرَبِ و الْعَجَمِ» (۱).

الدعاء بعد دخول المسجد

عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام، فامش حتَّی تدنو من الحجر الْأسْود فتستقبله، وتقول: «أَلْحَمْدُ للَّهِ الَّذِی هَدَانَا لِهَذَا و مَا کُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لا أنْ هَدَانَا اللَّهُ، سُبْحَانَ اللَّهِ والْحَمْدُ للَّهِ ولا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ، و اللَّهُ أَکْبَرُ، أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِهِ، و أَکْبَرُ مِمَّنْ أَخْشَی و أَحْذَرُ، ولا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِیک لَهُ، لَهُ الْمُلْک و لَهُ الْحَمْدُ، یُحْیِی و یُمِیتُ و یُمِیتُ و یُحْیِی بِیَدِهِ الْخَیْرُ، و هُوَ عَلَی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ»، و تُصَلِّی عَلَی النَّبِیِّ و آلِ النَّبِیِّ صَلَّی اللَّهُ عَلَیْهِ و عَلَیْهِمْ. وتسلِّم علی المرسلین، کما فعلت حین دخلت المسجد، ثمَّ تقول: «أللَّهُمَّ إِنِّی أُومِنُ بِوَعْدِک و أُوفِی بِعَهْدِک» (۲).

الدعاء عند استقبال الحجر

عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: إذا دنوت من الحجر الأسود، فارفع یدیک، واحمد اللَّه وأثن علیه، وصلِّ علی النَّبیِّ صلی الله علیه و آله، واسأل اللَّه أن یتقبَّل منک، ثمَّ استلم

۱- التهذیب ۵: ۶۰۰، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۰۵.

۲- الکافی ۴: ۴۰۳

ص: ۲۶

الحجر وقبّله، فإن لم تستطع أن تقبّله فاستلمه بیدک، فإن لم تستطع أن تستلمه بیدک فأشر إلیه وقل: «أَللَّهُمَّ أَمَانَتِی أَدَّیْتُهَا، و مِیثَاقِی تَعَاهَدْتُهُ؛ لِتَشْهَدَ لِی بِالْمُوَافَاةِ، أَللَّهُمَّ تَصْدِیقاً بِکِتَابِکَ و عَلَی سُنَّةِ نَبِیِّکَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِیکَ لَهُ، و أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ و رَسُولُهُ، آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَ کَفَرْتُ بِالْجِبْتِ و الطَّاغُوتِ و بِاللَّاتِ و الْعُزَّی و عِبَادَةِ الشَّیْطَانِ، و عِبَادَةِ کُلِّ نِدٍّ یُدْعَی مِنْ دُونِ اللَّهِ» فإن لم تستطع أن تقول هذا کلَّه فبعضه، وقل: «أللَّهُمَّ إِلَیْکَ بَسَطْتُ یَدِی، و فِیما عِنْدَکَ عَظُمَتْ رَغْبَتِی، فَاقْبَلْ سَیْحَتِی، و اغْفِرْ لِی و ارْحَمْنِی، أَللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ مِنَ الْکُفْرِ و الْفَقْرِ، و مَوَاقِفِ الْخِزْیِ فِی الدُّنْیَا و الْآخِرَةِ» (۱).

دعاء آخر

علیُّ بن إبراهیم عن أبیه، عن حمَّاد بن عیسی، عن حریزٍ عمَّن ذکره عن أبی جعفرٍ علیه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام وحاذیت الحجر الأسود فقلْ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِیکَ لَهُ و أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ و رَسُولُهُ، آمَنْتُ بِاللَّهِ و کَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ و بِاللَّاتِ و الْعُزَّی و بِعِبَادَةِ الشَّیْطَانِ، و بِعِبَادَةِ کُلِّ نِدٍّ یُدْعَی مِنْ دُونِ اللَّهِ» ثمَّ ادن من الحجر واستلمه بیمینک، ثمَّ تقول: «بِسْمِ اللَّهِ و اللَّهُ أَکْبَرُ أَللَّهُمَّ أَمَانَتِی أَدَّیْتُهَا و مِیثَاقِی تَعَاهَدْتُهُ لِتَشْهَدَ عِنْدَکَ لِی بِالْمُوَافَاةِ» (۲).

أدعیة الطواف وما ورد حول الکعبة

۱- علیُّ بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن أبی عمیرٍ ومحمَّد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبی عمیرٍ، و صفوان بن یحیی، عن معاویة بن عمَّارٍ، عن أبی عبداللَّه علیه السلام قال: طف بالبیت سبعة أشواطٍ، وتقول فی الطَّواف: «أَللَّهُمَّ إِنِّی

۱- التهذیب ۵: ۱۰۲، الکافی ۴: ۴۰۲.

۲- وسائل الشیعة ۱۳: ۳۱۵.

ص: ۲۷

أَسْأَلُکَ بِاسْمِکَ الَّذِی یُمْشَی بِهِ عَلَی طَلَلِ الْمَاءِ، کَمَا یُمْشَی بِهِ عَلَی جَدَدِ الْأَرْضِ، و أَسْأَلُکَ بِاسْمِکَ الَّذِی یَهْتَزُّ لَهُ عَرْشُکَ، و أَسْأَلُکَ بِاسْمِکَ الَّذِی تَهْتَزُّ لَهُ أَقْدَامُ مَلَائِکَتِکَ، و أَسْأَلُکَ بِاسْمِکَ الَّذِی دَعَاکَ بِهِ مُوسَی مِنْ جَانِبِ الطُّورِ فَاسْتَجَبْتَ لَهُ و أَلْقَیْتَ عَلَیْهِ مَحَبَّةً مِنْکَ، و أَسْأَلُکَ بِاسْمِکَ الَّذِی غَفَرْتَ بِهِ لُمحَمَّدٍ صلی الله علیه و آله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ و مَا تَأَخَّرَ و أَتْمَمْتَ عَلَیْهِ نِعْمَتَکَ أَنْ تَفْعَلَ بِی کَذَا و کَذَا» ما أحببت من الدُّعاء وکلَّما انتهیت إلی بابالکعبة فصلِّ علی النَّبیِّ صلی الله علیه و آله وتقول فیما بین الرکن الیمانی والحجر الأسْود: «رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا حَسَنَةً و فِی الْآخِرَةِ حَسَنَةً و قِنا عَذابَ النَّارِ» وقل فی الطواف: «أَللَّهُمَّ إِنِّی إِلَیْکَ فَقِیرٌ، و إِنِّی خَائِفٌ مُسْتَجِیرٌ، فَلَا تُغَیِّرْ جِسْمِی وَ لا تُبَدِّلِ اسْمِی» (۱).

۲- علیُّ بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن أبی عمیرٍ، عن عمر بن عاصم، عن أبی عبداللَّه علیه السلام قال: کان علیُبنالحسین علیه السلام إذا بلغ الحجر قبل أن یبلغ المیزاب یرفع رأسه ثمَّ یقول: «أَللَّهُمَّ أَدْخِلْنِی الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِکَ، وهو ینظر إلی المیزاب، و أَجِرْنِی بِرَحْمَتِکَ مِنَ النَّارِ، و عَافِنِی مِنَ السُّقْمِ، و أَوْسِعْ عَلَیَّ مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، و ادْرَأْ عَنِّی شَرَّ فَسَقَةِ الْجِنِّ و الْإِنْسِ و شَرَّ فَسَقَةِ الْعَرَبِ و الْعَجَمِ» (۲).

۳- عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: یستحبُّ أن تقول بین الرُّکن والحجر: «أَللَّهُمَّ آتِنَا فِی الدُّنْیا حَسَنَةً و فِی الْآخِرَةِ حَسَنَةً و قِنَا عَذَابَ النَّارِ» وقال: إنَّ ملکاً موکَّلًا یقول آمین (۳).

۴- عن أبیمریم قال: کنت مع أبیجعفرٍ علیه السلام أطوف، فکان لا- یمرُّ فی طوافٍ من طوافه بالرُّکن الیمانیِّ إلّا استلمه ثمَّ یقول: «أَللَّهُمَّ تُبْ عَلَیَّ حَتَّی أَتُوبَ، و اعْصِمْنِی

۱- الکافی ۴: ۴۰۶

۲- التهذیب ۵: ۱۰۵، الکافی ۴: ۴۰۷.

۳- الکافی ۴: ۴۰۸

ص: ۲۸

حَتَّى لا أَعُودَ» (۱).

۵- عن أبى الحسن عليه السلام أنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله طاف بالكعبة حتَّى إذا بلغ الرُّكن اليمانىَّ رفع رأسه إلى الكعبة ثمَّ قال: «الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى شَرَّفَكِ و عَظَّمَكِ، و الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى بَعَثَنِى نَبِيّاً و جَعَلَ عَلِيّاً إِمَاماً، أَللَّهُمَّ اهْدِ لَهُ خِيَارَ خَلْقِكَ و جَنِّبْهُ شِرَارَ خَلْقِكَ» (۲).

۶- عن عبد اللَّه بن سنانٍ قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: إذا كنت فى الطَّواف السَّابع فائت المتعوَّذ، وهو إذا قمت فى دبر الكعبة حذاء الباب فقل: «أَللَّهُمَّ الْبَيْتُ بَيْتُكَ و الْعَبْدُ عَبْدُكَ، و هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَللَّهُمَّ مِنْ قِبَلِكَ الرَّوْحُ و الْفَرَجُ» ثمَّ استلم الرُّكن اليمانىَّ، ثمَّ ائت الحجر فاختم به (۳).

۷- عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبى عميرٍ، وصفوان بن يحيى، عن معاوية ابن عمَّارٍ قال: قال أبو عبداللَّه عليه السلام: إذا فرغت من طوافك، وبلغت مؤخَّر الكعبة وهو بحذاء المستجار دون الرُّكن اليمانىِّ بقليلٍ، فابسط يديك على البيت، وألصق بطنك وخدَّك بالبيت وقل: «أَللَّهُمَّ الْبَيْتُ بَيْتُكَ و الْعَبْدُ عَبْدُكَ، و هَذَا مَكَانُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ النَّارِ» ثمَّ أقرَّ لربِّك بما عملت، فإنَّه ليس من عبدٍ مؤمنٍ يقرُّ لربِّه بذنوبه فى هذا المكان إلّا غفر اللَّه له إن شاء اللَّه، وتقول: «أَللَّهُمَّ مِنْ قِبَلِكَ الرَّوْحُ و الْفَرَجُ و الْعَافِيَةُ، أَللَّهُمَّ إِنَّ عَمَلِى ضَعِيفٌ فَضَاعِفْهُ لِى، و اغْفِرْ لِى مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّى و خَفِىَ عَلَى خَلْقِكَ» ثمَّ تستجير باللَّه من النَّار، وتخيَّر لنفسك من الدُّعاء، ثمَّ استلم الرُّكن اليمانىَّ، ثمَّ ائت الحجر الأسود (۴).

۱- وسائل الشيعة ۱۳: ۳۳۴.

۲- الكافى ۴: ۴۱۰

۳- وسائل الشيعة ۱۳: ۳۴۵.

۴- الكافى ۴: ۴۱۱.

ص: ۲۹

الدعاء بعد صلاة الطواف

عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى وابن أبى عمير، عن معاوية بن عمَّارٍ، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: إذا فرغت من الرَّكعتين، فائت الحجر الأسْود وقبِّلْه واسْتلمْه أوْ أشرْ إليْه، فإنَّه لا بدَّ منْ ذلك، وقال: إنْ قدرْت أنْ تشرب من ماء زمزم قبل أن تخرج إلى الصَّفا فافعل، وتقول حين تشرب: «أَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عِلْماً نَافِعاً، و رِزْقاً وَاسِعاً، وَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ و سُقْمٍ» قال: وبلغنا أنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال حين نظر إلى زمزم: لو لا أنِّى أشقُّ على أمَّتى، لأخذت منه ذنوباً أو ذنوبين (۱).

الدعاء بعد شرب ماء زمزم

علىُّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن حمَّادٍ عن الحلبىِّ، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: إذا فرغ الرَّجل من طوافه وصلَّى ركعتين، فليأت زمزم وليستق منه ذنوباً أو ذنوبين، وليشرب منه، وليصبَّ على رأسه وظهره وباطنه، ويقول:

«أَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عِلْماً نَافِعاً و رِزْقاً وَاسِعاً و شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ و سُقْمٍ» ثمَّ يعود إلى الحجرالأسْود (۲).

الدعاء عند الوقوف على الصفا

۱- علىُّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبى عميرٍ، ومحمَّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن ابن أبى عميرٍ، عن معاوية بن عمَّارٍ، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام أنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين فرغ من طوافه وركعتيه قال: أبدأ بما بدأ اللَّه عزَّ وجلَّ به من إتيان الصَّفا، إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يقول: إِنَّ الصَّفا و الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ قالأبو عبد اللَّه عليه السلام: ثمَّ اخرج إلى الصَّفا من الباب الَّذى خرج منه رسول

۱- الكافى ۴: ۴۳۰

۲- الكافى ۴: ۴۳۰

ص: ۳۰

اللَّه صلى الله عليه و آله وهو الباب الَّذى يقابل الحجر الْأسْود حتَّى تقْطع الْوادى وعليْك السَّكينة والْوقار، فاصعد على الصَّفا حتَّى تنْظر إلى البيت، وتستقبل الرُّكن الَّذى فيه الحجر الْأسْود، واحْمد اللَّه وأثْن عليْه، ثمَّ اذكر من آلائه وبلائه وحسن ما صنع إليك ما قدرت على ذكره، ثمَّ كبِّر اللَّه سبعاً واحمده سبعاً وهلِّله سبعاً، وقل: «لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيکَ لَهُ لَهُ الْمُلْکُ و لَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي و يُمِيتُ و هُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ و هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثلاث مرَّاتٍ ثمَّ صلِّ على النَّبيِّ صلى الله عليه و آله وقل: «اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا، و الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلانَا، و الْحَمْدُ للَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ و الْحَمْدُ للَّهِ الْحَيِّ الدَّائِمِ» ثلاثمرَّاتٍ وقل: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ و أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ و رَسُولُهُ، لا نَعْبُدُ إِلّا إِيَّاهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، ثلاث مرَّاتٍ أَللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُکَ الْعَفْوَ و الْعَافِيَةَ و الْيَقِينَ فِى الدُّنْيَا و الْآخِرَةِ ثلاث مرَّاتٍ أَللَّهُمَّ آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً و فِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً و قِنَا عَذَابَ النَّارِ» ثلاث مرَّاتٍ، ثمَّ كبِّر اللَّه مائة مرَّةٍ، وهلِّل مائة مرَّةٍ، واحمد مائة مرَّةٍ، وسبِّح مائة مرَّةٍ، وتقول: «لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ و نَصَرَ عَبْدَهُ و غَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلَهُ الْمُلْکُ و لَهُ الْحَمْدُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ، أَللَّهُمَّ بَارِکْ لِى فِى الْمَوْتِ و فِى مَا بَعْدَ الْمَوْتِ، أَللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِکَ مِنْ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ و وَحْشَتِهِ، أَللَّهُمَّ أَظِلَّنِى فِى ظِلِّ عَرْشِکَ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلّا ظِلُّکَ» وأكثر من أن تستودع ربَّك دينك ونفسك وأهلك ثمَّ تقول: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ الَّذِى لا يَضِيعُ وَدَائِعُهُ نَفْسِى ودِينِى و أَهْلِى، أَللَّهُمَّ اسْتَعْمِلْنِى عَلَى كِتَابِکَ و سُنَّةِ نَبِيِّکَ و تَوَفَّنِى عَلَى مِلَّتِهِ وأَعِذْنِى مِنَ الْفِتْنَةِ» ثمَّ تكبِّر ثلاثاً ثمَّ تعيدها، مرَّتين ثمَّ تكبِّر واحدةً ثمَّ تعيدها فإن لم تستطع هذا فبعضه. وقال أبوعبداللَّه عليه السلام: إنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يقف على الصَّفا بقدر ما يقرأ سورة البقرة مترتِّلًا (۱).

۲- كان أميرالمؤمنين عليه السلام إذا صعد الصَّفا استقبل الكعبة ثمَّ رفع يديه ثمَّ يقول:

«أَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ قَطُّ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، فَإِنَّکَ أَنْتَ الْغَفُورُ

۱- الكافى ۴: ۴۳۱

ص: ۳۱

الرَّحِيمُ، أَللَّهُمَّ افْعَلْ بِی مَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّکَ إِنْ تَفْعَلْ بِی مَا أَنْتَ أَهْلُهُ تَرْحَمْنِی، و إِنْ تُعَذِّبْنِی فَأَنْتَ غَنِیٌّ عَنْ عَذَابِی و أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَی رَحْمَتِکَ، فَیَا مَنْ أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَی رَحْمَتِهِ ارْحَمْنِی، أَللَّهُمَّ لا تَفْعَلْ بِی مَا أَنَا أَهْلُهُ، فَإِنَّکَ إِنْ تَفْعَلْ بِی مَا أَنَا أَهْلُهُ تُعَذِّبْنِی و لَمْ تَظْلِمْنِی، أَصْبَحْتُ أَتَّقِی عَدْلَکَ، و لا أَخَافُ جَوْرَکَ، فَیَا مَنْ هُوَ عَدْلٌ لا یَجُورُ ارْحَمْنِی» (۱).

الدعاء بین الصفا والمروة

۱- عن محمَّد بن عمر بن یزید، عن بعض أصحابه قال: کنت وراء أبی الحسن موسی علیه السلام علی الصَّفا أو علی المروة، وهو لا یزید علی حرفین «أَللَّهُمَّ إِنِّی أَسْأَلُکَ حُسْنَ الظَّنِّ بِکَ فِی کُلِّ حَالٍ، و صِدْقَ النِّیَّةِ فِی التَّوَکُّلِ عَلَیْکَ» (۲).

۲- علیٌّ بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن أبی عمیرٍ عن معاویة بن عمَّارٍ، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: انحدر من الصَّفا ماشیاً إلی المروة وعلیک السَّکینة والوقار حتَّی تأتی المنارة وهی علی طرف المسعی، فاسع ملأ فروجک وقل، «بِسْمِ اللَّهِ و اللَّهُ أَکْبَرُ و صَلَّی اللَّهُ عَلَی مُحَمَّدٍ و عَلَی أَهْلِ بَیْتِهِ، أَللَّهُمَّ اغْفِرْ و ارْحَمْ و تَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ و أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَکْرَمُ» حتَّی تبلغ المنارة الأخری فإذا جاوزتها فقل: «یَا ذَا الْمَنِّ و الْفَضْلِ و الْکَرَمِ و النَّعْمَاءِ و الْجُودِ اغْفِرْ لِی ذُنُوبِی، إِنَّهُ لا یَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» ثمَّ امش وعلیک السَّکینة والوقار حتَّی تأتی المروة فاصعد علیها حتَّی یبدو لک البیت، واصنع علیها کما صنعت علی الصَّفا، وطف بینهما سبعة أشواطٍ تبدأ بالصَّفا وتختم بالمروة (۳).

۱- الکافی ۴: ۴۳۲

۲- الکافی ۴: ۴۳۳

۳- الکافی ۴: ۴۳۴

ص: ۳۲

دعاء الاحرام للحج يوم التروية

وفى رواية أبى بصيرٍ عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: إذا أردت أن تحرم يوم التَّرويهٔ، فاصنع كما صنعت حين أردت أن تحرم، وخذ من شاربك ومن أظفارك واطل عانتك إن كان لك شعرٌ وانتف إبطيك، واغتسل والبس ثوبيك، ثمَّ ائت المسجد الحرام فصلِّ فيه ستَّ ركعاتٍ قبل أن تحرم، وتدعو اللّه وتسأله العون، وتقول:

«أَللَّهُمَّ إِنِّى أُرِيدُ الْحَجَّ فَيَسِّرْهُ لِى، و حُلَّنِى حَيْثُ حَبَسْتَنِى لِقَدَرِكَ الَّذِى قَدَّرْتَ عَلَىَّ» وتقول: «أَحْرَمَ لَكَ شَعْرِى و بَشَرِى و لَحْمِى و دَمِى مِنَ النِّسَاءِ و الطِّيبِ و الثِّيابِ، أُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَكَ و الدَّارَ الْآخِرَةَ، و حُلَّنِى حَيْثُ حَبَسْتَنِى لِقَدَرِكَ الَّذِى قَدَّرْتَ عَلَىَّ» ثمَّ تلبِّ من المسجد الحرام كما لبَّيت حين أحرمت، وتقول: «لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ تَمَامُهَا و بَلَاغُهَا عَلَيْكَ» وإن قدرت أن يكون فى رواحك إلى منًى زوال الشَّمس، وإلّا فمتى ما تيسَّر لك من يوم التَّروية (۱).

دعاء الخروج إلى منى

علىُّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمَّارٍ، عن أبىعبداللّه عليه السلام قال: إذا توجَّهت إلى منًى فقل: «أَللَّهُمَّ إِيَّاكَ أَرْجُو و إِيَّاكَ أَدْعُو، فَبَلِّغْنِى أَمَلِى، و أَصْلِحْ لِى عَمَلِى» (۲)

الدعاء عند نزول منى وحدودها

علىُّ بن إبراهيم عن أبيه، ومحمَّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، وابن أبى عميرٍ عن معاوية بن عمَّارٍ قال: قال أبوعبداللّه عليه السلام: إذا انتهيت إلى منًى فقل: «أَللَّهُمَّ هَذِهِ مِنًى و هِىَ مِمَّا مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْنَا مِنَ الْمَنَاسِكِ،

۱- الكافى ۴: ۴۵۴

۲- التهذيب ۵: ۱۷۷، وسائل الشيعهٔ ۱۳: ۵۲۶.

ص: ۳۳

فَأَسْأَلُکَ أنْ تَمُنَّ عَلَیْنَا بِمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَی أَنْبِیَائِکَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُکَ و فِی قَبْضَتِکَ» ثمَّ تصلِّی بها الظُّهرو العصر والمغرب والعشاء الْآخرة والْفجْر، والْإمام یصلِّی بها الظُّهْر لا یسعه إلّا ذلک، وموسَّعٌ علیْک أنْ تصلِّی بغیرها إن لم تقدر، ثمَّ تدرکهم بعرفاتٍ.

قال: وحدُّ منًی من العقبهٔ إلی وادی محسِّرٍ (۱).

الدعاء عند الغدو إلی عرفات وحدودها

علیُّ بن إبراهیم عن أبیه، ومحمَّد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبی عمیرٍ، وصفوان بن یحیی، عن معاویهٔ بن عمَّارٍ، عن أبیعبداللَّه علیه السلام قال: إذا غدوت إلی عرفهٔ، فقل وأنت متوجِّهٌ إلیها: «أَللَّهُمَّ إِلَیْکَ صَمَدْتُ، وإِیَّاکَ اعْتَمَدْتُ، و وَجْهَکَ أَرَدْتُ، فَأَسْأَلُکَ أنْ تُبَارِکَ لِی فِی رِحْلَتِی و أنْ تَقْضِیَ لِی حَاجَتِی، و أنْ تَجْعَلَنِی الْیَوْمَ مِمَّنْ تُبَاهِی بِهِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّی» ثمَّ تلبِّ وأنت غادٍ إلی عرفاتٍ، فإذا انتهیت إلی عرفاتٍ، فاضرب خباءک بنمرهٔ ونمرهٔ هی بطن عرنهٔ دون الموقف ودون عرفهٔ، فإذا زالت الشَّمس یوم عرفهٔ، فاغتسل، وصلِّ الظُّهر والعصر بأذانٍ واحدٍ وإقامتین، وإنَّما تعجِّل العصر وتجمع بینهما، لتفرِّغ نفسک للدُّعاء فإنَّه یوم دعاءٍ ومسألهٍ. قال: وحدُّ عرفهٔ من بطن عرنهٔ وثویَّهٔ ونمرهٔ إلی ذی المجاز وخلف الجبل موقفٌ (۲).

الدعاء عند الوقوف بعرفهٔ وحدّ الموقف

علیُّ بن إبراهیم عن أبیه، ومحمَّد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبی عمیرٍ، وصفوان بن یحیی، عن معاویهٔ بن عمَّارٍ، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام قال: قف فی میسرهٔ الجبل فإنَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وقف بعرفاتٍ فی میسرهٔالجبل، فلمَّا وقف جعل

۱- الکافی ۴: ۴۶۱

۲- التهذیب ۵: ۱۷۹، الکافی ۴: ۴۶۱.

ص: ۳۴

النَّاس يبتدرون أخفاف ناقته فيقفون إلى جانبه فنحّاها، ففعلوا مثل ذلک، فقال:

أيُّها النَّاس إنَّه ليس موضع أخفاف ناقتی الموقف، ولکن هذا کلُّه موقفٌ، وأشار بيده إلى الموقف، وفعل مثل ذلک فی المزدلفة، فإذا رأيت خللًا فسدَّه بنفسک وراحلتک، فإنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يحبُّ أن تسدَّ تلک الخلال، وانتقل عن الهضاب واتَّق الْأراک، فإذا وقفْت بعرفاتٍ فاحْمد اللَّه وهلِّله ومجِّدْه وأثْن عليْه وکبِّرْه مائة تکْبيرةٍ، واقْرأْ قلْ هو اللَّهأحدٌ مائة مرَّةٍ، وتخيَّر لنفسک من الدُّعاء ما أحببت، واجتهد فإنَّه يوم دعاءٍ ومسألةٍ، وتعوَّذ باللَّه من الشَّيطان، فإنَّ الشَّيطان لن يذهلک فی موضع أحبَّ إليه من أن يذهلک فی ذلک الموضع، وإيَّاک أن تشتغل بالنَّظر إلى النَّاس، وأقبل قبل نفسک، وليکن فيما تقول: «أَللَّهُمَّ رَبَّ الْمَشَاعِرِ کُلِّهَا، فُکَّ رَقَبَتِی مِنَ النَّارِ، و أَوْسِعْ عَلَیَّ مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، و ادْرَأْ عَنِّی شَرَّ فَسَقَةِ الْجِنِّ و الْإِنْسِ، أَللَّهُمَّ لا تَمْکُرْ بِی، و لا تَخْدَعْنِی، و لا تَسْتَدْرِجْنِی یَا أَسْمَعَ السَّامِعِینَ، و یَا أَبْصَرَ النَّاظِرِینَ، و یَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِینَ، و یَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِینَ، أَسْأَلُکَ أَنْ تُصَلِّیَ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، و أَنْ تَفْعَلَ بِی کَذَا و کَذَا» وليکن فيما تقول وأنت رافعٌ يديک إلى السَّماء: «أَللَّهُمَّ حَاجَتِی الَّتِی إِنْ أَعْطَیْتَهَا لَمْ یَضُرَّنِی مَا مَنَعْتَنِی، و إِنْ مَنَعْتَنِیهَا لَمْ یَنْفَعْنِی مَا أَعْطَیْتَنِی، أَسْأَلُکَ خَلَاصَ رَقَبَتِی مِنَ النَّارِ، أَللَّهُمَّ إِنِّی عَبْدُکَ و مِلْکُ یَدِکَ و نَاصِیَتِی بِیَدِکَ و أَجَلِی بِعِلْمِکَ، أَسْأَلُکَ أَنْ تُوَفِّقَنِی لِمَا یُرْضِیکَ عَنِّی، وأَنْ تُسَلِّمَ مِنِّی مَنَاسِکِیَ الَّتِی أَرَیْتَهَا إِبْرَاهِیمَ خَلِیلَکَ، و دَلَلْتَ عَلَیْهَا حَبِیبَکَ مُحَمَّداً صلی الله علیه و آله وليکن فيما تقول: «أَللَّهُمَّ اجْعَلْنِی مِمَّنْ رَضِیتَ عَمَلَهُ وأَطَلْتَعُمُرَهُ، وأَحْیَیْتَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَیَاةً طَیِّبَةً» (۱).

الدعاء فی عرفات قبل غروب الشمس

عن عبد اللَّه بن ميمونٍ قال: سمعت أباعبداللَّه عليه السلام يقول: إنَّ رسولاللَّه صلی الله علیه و آله وقف بعرفاتٍ، فلمَّا همَّت الشَّمسأن تغيب قبل أن تندفع قال: «أَللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ

۱- الکافی ۴: ۴۶۱

ص: ۳۵

مِنَ الْفَقْرِ و مِنْ تَشَتُّتِ الْأَمْرِ، و مِنْ شَرِّ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ و النَّهَارِ، أَمْسَى ظُلْمِى مُسْتَجِيراً بِعَفْوِكَ، و أَمْسَى خَوْفِى مُسْتَجِيراً بِأَمَانِكَ، و أَمْسَى ذُلِّى مُسْتَجِيراً بِعِزِّكَ، وَ أَمْسَى وَجْهِىَ الْفَانِى مُسْتَجِيراً بِوَجْهِكَ الْبَاقِى، يَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ، و يَا أَجْوَدَ مَنْ أَعْطَى، جَلِّلْنِى بِرَحْمَتِكَ، و أَلْبِسْنِى عَافِيَتَكَ، و اصْرِفْ عَنِّى شَرَّ جَمِيعِ خَلْقِكَ».

قال عليه السلام: وسمعت أبى يقول: «يَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ و يَا أَوْسَعَ مَنْ أَعْطَى، وَيَا أَرْحَمَ مَنِ اسْتُرْحِمَ» ثمَّ سل حاجتك (۱).

الدعاء عند الإفاضة من عرفات

۱- علىُّ بن إبراهيم عن أبيه، ومحمَّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن‌عمَّارٍ قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: إنَّ المشركين كانوا يفيضون من قبل أن تغيب الشَّمس، فخالفهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأفاض بعد غروب الشَّمس، قال وقال أبو عبد اللَّه عليه السلام: إذا غربت الشَّمس، فأفض مع النَّاس، وعليك السَّكينة والوقار، وأفض بالاستغفار، فإنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يقول: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ و اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فإذا انتهيت إلى الكثيب الْأحمر عنْ يمين الطَّريق، فقل: «أَللَّهُمَّ ارْحَمْ مَوْقِفِى، و زِدْ فِى عِلْمِى، و سَلِّمْ لِى دِينِى، و تَقَبَّلْ مَنَاسِكِى» وإيَّاك والوجيف الَّذى يصنعه النَّاس، فإنَّ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

أيُّها النَّاس إنَّ الحجَّ ليس بوجيف الخيل ولا- إيضاع الْإبل، ولكن اتَّقوا اللَّه وسيروا سيْراً جميلًا لا توطئوا ضعيفاً ولاتوطئوا مسلماً، وتوأَّدوا واقتصدوا فى السَّير، فإنَّ رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله كان يكفُّ ناقته حتَّى يصيب رأسها مقدَّم الرَّحل، ويقول: أيُّها النَّاس عليكم بالدَّعة، فسنَّة رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله تتَّبع، قال معاوية: وسمعت أباعبداللَّه عليه السلام يقول: «أَللَّهُمَّ أَعْتِقْنِى مِنَ النَّارِ» وكرَّرها حتَّى أفاض، فقلت: أ لا تفيض فقد أفاض النَّاس؟ فقال: إنِّى أخاف الزِّحام، وأخاف

۱- وسائل الشيعة ۱۳: ۵۵۹.

ص: ۳۶

أن أشرك فی عنت إنسانٍ (۱).

۲- عن هارون بن خارجة قال: سمعت أباعبداللَّه علیه السلام یقول فی آخر کلامه حین أفاض: «أَللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أنْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَقْطَعَ رَحِماً، أَوْ أُوذِیَ جَاراً» (۲).

الدعاء فی لیلة المزدلفة

علیُّ بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن أبی عمیرٍ، عن معاویة وحمّادٍ، عن الحلبیِّ، عن أبی‌عبداللَّه علیه السلام قال: لاـ تصلِّ المغرب حتَّی تأتی جمعاً، فتصلِّی بها المغرب والعشاء الْآخرة بأذانٍ واحدٍ وإقامتیْن، وانْزلْ ببطْن الْوادی عنْ یمین الطَّریق قریباً من المشعر، ویستحبُّ للصَّرورة أن یقف علی المشعر الحرام، ویطأه برجله، ولا یجاوز الحیاض لیلة المزدلفة، ویقول: «أَللَّهُمَّ هَذِهِ جَمْعٌ، أَللَّهُمَّ إِنِّی أَسْأَلُکَ أَنْ تَجْمَعَ لِی فِیهَا جَوَامِعَ الْخَیْرِ، أَللَّهُمَّ لاـ تُؤْیِسْنِی مِنَ الْخَیْرِ الَّذِی سَأَلْتُکَ أَنْ تَجْمَعَهُ لِی فِی قَلْبِی، و أَطْلُبُ إِلَیْکَ أَنْ تُعَرِّفَنِی مَا عَرَّفْتَ أَوْلِیَاءَکَ فِی مَنْزِلِی هَذَا، و أَنْ تَقِیَنِی جَوَامِعَ الشَّرِّ» وإن استطعت أن تحیی تلک اللَّیلة فافعل، فإنَّه بلغنا أنَّ أبواب السَّماء لا تغلق تلک اللَّیلة لأصوات المؤمنین لهم دویٌّ کدویِّ النَّحل، یقول اللَّه جلَّ ثناؤه أنا ربُّکم وأنتم عبادی، أدَّیتم حقِّی، وحقٌّ علیَّ أن أستجیب لکم، فیحطُّ اللَّه تلک اللَّیلة عمَّن أراد أن یحطَّ عنه ذنوبه، ویغفر لمن أراد أن یغفر له (۳).

الدعاء بعد صلاة الفجر بالمشعرالحرام

علیُّ بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن أبی عمیرٍ، ومحمَّد بن إسماعیل، عن الفضل

۱- الکافی ۴: ۴۶۷، التهذیب ۵: ۱۸۷.

۲- وسائل الشیعة ۱۳: ۳۸۳.

۳- الکافی ۴: ۴۶۸

ص: ۳۷

ابن شاذان، عن صفوان بن‌یحیی، وابن أبی عمیرٍ، عن معاویهٔ بن عمّارٍ، عن أبی‌عبداللّه علیه السلام قال: أصبح علی طهرٍ بعد ما تصلّی الفجر، فقف إن شئت قریباً من الجبل، وإن شئت حیث شئت، فإذا وقفت، فاحمد اللّه، وأثن علیه، واذکر من آلائه وبلائه ما قدرت علیه، وصلّ علی النّبیّ صلی الله علیه و آله، ولیکن من قولک: «أَللَّهُمَّ رَبَّ الْمَشْعَرِ الْحَرَام، فُکَّ رَقَبَتِی مِنَ النَّارِ، و أَوْسِعْ عَلَیَّ مِنْ رِزْقِکَ الْحَلَالِ، و ادْرَأْ عَنِّی شَرَّ فَسَقَهِٔ الْجِنِّ والْإِنْسِ، أَللَّهُمَّ أَنْتَ خَیْرُ مَطْلُوبٍ إِلَیْهِ، و خَیْرُ مَدْعُوٍّ، و خَیْرُ مَسْئُولٍ، و لِکُلِّ وَافِدٍ جَائِزَهٌٔ، فَاجْعَلْ جَائِزَتِی فِی مَوْطِنِی هَذَا أَنْ تُقِیلَنِی عَثْرَتِی، و تَقْبَلَ مَعْذِرَتِی، و أَنْ تَجَاوَزَ عَنْ خَطِیئَتِی، ثُمَّ اجْعَلِ التَّقْوَی مِنَ الدُّنْیَا زَادِی» ثمّ أفض حین یشرق لک ثبیرٌ، وتری الإبل موضع أخفافها (۱).

الدعاء حین المرور بوادی محسّر

علی بن إبراهیم عن أبیه، ومحمّد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبی عمیرٍ، وصفوان بن یحیی، عن معاویهٔ بن عمّارٍ، عن أبی عبد اللّه علیه السلام، قال: إذا مررت بوادی محسّرٍ، وهو وادٍ عظیمٌ بین جمعٍ ومنًی، وهو إلی منًی أقرب، فاسع فیه حتّی تجاوزه، فإنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله حرّک ناقته، وقال: «أَللَّهُمَّ سَلِّمْ لِی عَهْدِی، و اقْبَلْ تَوْبَتِی، و أَجِبْ دَعْوَتِی، و اخْلُفْنِی فِیمَنْ تَرَکْتُ بَعْدِی» (۲).

الدعاء عند رمی الجمرة وبعده

علی بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن أبی عمیرٍ، عن معاویهٔ بن عمّارٍ، عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: خذ حصی الجمار، ثمّ ائت الجمرة القصوی الّتی عند العقبهٔ، فارمها من قبل وجهها، ولا ترمها من أعلاها، وتقول والحصی فی یدک: «أَللَّهُمَّ هَؤُلاءِ

۱- التهذیب ۵: ۱۹۱.

۲- الکافی ۴: ۴۷۰

ص: ۳۸

حَصَيَاتِی، فَأَحْصِهِنَّ لِی، و ارْفَعْهُنَّ فِی عَمَلِی» ثمَّ ترمی وتقول مع كلِّ حصاة: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَللَّهُمَّ ادْحَرْ عَنِّی الشَّيْطَانَ، أَللَّهُمَّ تَصْدِيقاً بِكِتَابِكَ، و عَلَی سُنَّةِ نَبِيِّكَ صلی الله عليه و آله، أَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجّاً مَبْرُوراً، و عَمَلًا مَقْبُولًا، و سَعْياً مَشْكُوراً، و ذَنْباً مَغْفُوراً» وليكن فيما بينك وبين الجمرة قدر عشرة أذرعٍ أو خمسة عشر ذراعاً، فإذا أتيت رحلك ورجعت من الرَّمی، فقل: «أَللَّهُمَّ بِكَ وَثِقْتُ، و عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ، و نِعْمَ الْمَوْلَی، و نِعْمَ النَّصِيرُ» قال: ويستحبُّ أن يرمی الجمار علی طهرٍ (۱).

الدعاء عند الذبح

۱- علیُّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبی عميرٍ، عن حمَّادٍ، عن الحلبیِّ قال:

لا يذبح لك اليهودیُّ ولا النَّصرانیُّ أضحيَّتك، فإن كانت امرأةً فلتذبح لنفسها، وتستقبل القبلة، وتقول: «وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّمَاوَاتِ و الْأَرْضَ حَنِيفاً، أَللَّهُمَّ مِنْكَ و لَكَ» (۲).

۲- علیُّ بن إبراهيم عن أبيه، ومحمَّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان وابن أبی عميرٍ قال: قال أبوعبداللَّه عليه السلام: إذا اشتريت هديك، فاستقبل به القبلة، وانحره أو اذبحه، وقل: «وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّمَاوَاتِ و الْأَرْضَ حَنِيفاً و مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إنَّ صَلَاتِی و نُسُكِی و مَحْيَایَ و مَمَاتِی لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ، و بِذَلِكَ أُمِرْتُ، و أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَللَّهُمَّ مِنْكَ و لَكَ بِسْمِ اللَّهِ و اللَّهُ أَكْبَرُ، أَللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّی» ثمَّ أمرَّ السِّكين ولا تنخعها حتَّی تموت (۳).

۳- محمَّد بن يحيی، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرَّحمن بن أبی هاشمٍ

۱- التهذيب ۵: ۱۹۸.

۲- الكافی ۴: ۴۹۷.

۳- التهذيب ۵: ۲۲۱.

ص: ۳۹

البجلیّ، عن أبی خدیجة، قال: رأیت أبا عبداللَّه علیه السلام وهو ینحر بدنته معقولةً یدها الیسری، ثمَّ یقوم من جانب یدها الیمنی، ویقول: «بِسْمِ اللَّهِ و اللَّهُ أَکْبَرُ، أَللَّهُمَّ هَذَا مِنْکَ و لَکَ أَللَّهُمَّ تَقَبَّلْهُ مِنِّی» ثمَّ یطعن فی لبَّتها، ثمَّ یخرج السِّکّین بیده، فإذا وجبت قطع موضع الذَّبح بیده (۱).

الدعاء عند دخول المسجد الحرام بعد أعمال منی

علی بن إبراهیم، عن أبیه، ومحمد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبی عمیر، وصفوان بن یحیی، عن معاویة بن عمّار، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام فی زیارة البیت یوم النَّحر قال: زره، فإن شغلت فلا یضرُّک أن تزور البیت من الغد ولا تؤخِّره أن تزور من یومک، فإنَّه یکره للمتمتّع أن یؤخِّره، وموسَّعٌ للمفرد أن یؤخِّره، فإذا أتیت البیت یوم النَّحر، فقمت علی باب المسجد، قلت: «أَللَّهُمَّ أَعِنِّی عَلَی نُسُکِکَ و سَلِّمْنِی لَهُ و سَلِّمْهُ لِی، أَسْأَلُکَ مَسْأَلَةَ الْعَلِیلِ الذَّلِیلِ الْمُعْتَرِفِ بِذَنْبِهِ أَنْ تَغْفِرَ لِی ذُنُوبِی و أَنْ تَرْجِعَنِی بِحَاجَتِی، أَللَّهُمَّ إِنِّی عَبْدُکَ و الْبَلَدُ بَلَدُکَ و الْبَیْتُ بَیْتُکَ، جِئْتُ أَطْلُبُ رَحْمَتَکَ، و أَؤُمُّ طَاعَتَکَ مُتَّبِعاً لِأَمْرِکَ رَاضِیاً بِقَدَرِکَ، أَسْأَلُکَ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ إِلَیْکَ، الْمُطِیعِ لِأَمْرِکَ، الْمُشْفِقِ مِنْ عَذَابِکَ، الْخَائِفِ لِعُقُوبَتِکَ أَنْ تُبَلِّغَنِی عَفْوَکَ، و تُجِیرَنِی مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِکَ» ثمَّ تأتی الحجر الْأسْود فتسْتلمه وتقبّله، فإنْ لمْ تسْتطعْ فاسْتلمْه بیدک، وقبّلْ یدک فإنْ لمْ تسْتطعْ فاسْتقْبلْه وکبّرْ، وقلْ کما قلْت حین طفت بالبیت یوم قدمت مکَّة، ثمَّ طف بالبیت سبعة أشواطٍ کما وصفت لک یوم قدمت مکَّة، ثمَّ صلِّ عند مقام إبراهیم علیه السلام رکعتین تقرأ فیهما بقل هو اللَّه أحدٌ وقل یا أیُّها الکافرون، ثمَّ ارجع إلی الحجر الْأسْود فقبّله إن استطعت واستقبله وکبّر، ثمَّ اخرج إلی الصَّفا فاصعد علیه واصنع کما صنعت یوم دخلت مکَّة، ثمَّ ائت المروة فاصعد علیها، وطف بینهما سبعة أشواطٍ تبدأ بالصَّفا وتختم بالمروة، فإذا فعلت ذلک

۱- الکافی ۴: ۴۹۸

ص: ۴۰

فقد أحللت من كلّ شيءٍ أحرمت منه إلّا النّساء، ثمَّ ارجع إلى البيت وطف به أسبوعاً آخر، ثمَّ صلّ ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام، ثمَّ أحللت من كلّ شيءٍ، وفرغت من حجّك كلّه وكلّ شيءٍ أحرمت منه (۱).

الدعاء عند دخول الكعبة

۱- عليُّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبى عميرٍ، ومحمَّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان، وابن أبى عميرٍ، عن معاوية بن عمّارٍ، عن أبى‌عبداللَّه عليه السلام قال: إذا أردت دخول الكعبة، فاغتسل قبل أن تدخلها و لا تدخلها بحذاءٍ، وتقول إذا دخلت: «أَللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: و مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً، فَآمِنِّى مِنْ عَذَابِ النَّارِ» ثمَّ تصلّى ركعتين بين الأسطوانتين على الرُّخامة الحمراء تقرأ فى الرَّكعة الأولى حم السَّجدة، وفى الثَّانية عدد آياتها من القرآن‌و تصلّى فى زواياه وتقول: «أَللَّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأَ، أَوْ تَعَبَّأَ، أَوْ أَعَدَّ، أَو اسْتَعَدَّ لِوِفَادَةٍ إِلَى مَخْلُوقٍ رَجَاءَ رِفْدِهِ و جَائِزَتِهِ و نَوَافِلِهِ و فَوَاضِلِهِ، فَإِلَيْكَ يَا سَيِّدِى تَهْيِئَتِى و تَعْبِئَتِى و إِعْدَادِى و اسْتِعْدَادِى رَجَاءَ رِفْدِكَ و نَوَافِلِكَ و جَائِزَتِكَ، فَلَا تُخَيِّبِ الْيَوْمَ رَجَائِى، يَا مَنْ لا يَخِيبُ عَلَيْهِ سَائِلٌ، و لا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، فَإِنِّى لَمْ آتِكَ الْيَوْمَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ، و لا شَفَاعَةِ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ، و لَكِنِّى أَتَيْتُكَ مُقِرّاً بِالظُّلْمِ و الْإِسَاءَةِ عَلَى نَفْسِى فَإِنَّهُ لا حُجَّةَ لِى و لا عُذْرَ، فَأَسْأَلُكَ يَا مَنْ هُوَ كَذَلِكَ أَنْ تُعْطِيَنِى مَسْأَلَتِى، و تُقِيلَنِى عَثْرَتِى، و تَقْبَلَنِى بِرَغْبَتِى، و لا تَرُدَّنِى مَجْبُوهاً مَمْنُوعاً و لا خَائِباً، يَا عَظِيمُ يَا عَظِيمُ يَا عَظِيمُ أَرْجُوكَ لِلْعَظِيمِ، أَسْأَلُكَ يَا عَظِيمُ أَنْ تَغْفِرَ لِىَ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ» قال: ولا تدخلها بحذاءٍ ولا تبزق فيها ولا تمتخط فيها، ولم يدخلها رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله إلّا يوم فتح مكّة (۲).

۲- عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: لا بدَّ للصَّرورة أن يدخل البيت قبل أن يرجع،

۱- التهذيب ۵: ۲۵۱.

۲- الكافى ۴: ۵۲۸

ص: ۴۱

فإذا دخلته فادخله بسكينةٍ ووقارٍ، ثمَّ ائت كلَّ زاويةٍ من زواياه ثمَّ قل: «أَللَّهُمَّ إِنَّکَ قُلْتَ: وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً فَآمِنِّی مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» و صلِّ بين العمودين اللَّذين يليان الباب على الرُّخامة الحمراء، فإن كثر النَّاس فاستقبل كلَّ زاويةٍ فی مقامک حيث صلَّيت، وادع اللَّه عزّوجلّ واسأله (۱).

۳- عن عبد اللَّه بن سنانٍ قال: سمعت أباعبداللَّه عليه السلام وهو خارجٌ من الكعبة، وهو يقول: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ» حتَّى قالها ثلاثاً ثمَّ قال: «أَللَّهُمَّ لا تُجْهِدْ بَلَاءَنَا رَبَّنَا، و لا تُشْمِتْ بِنَا أَعْدَاءَنَا، فَإِنَّکَ أَنْتَ الضَّارُّ النَّافِعُ» ثمَّ هبط فصلَّى إلی جانب الدَّرجة، جعل الدَّرجة عن يساره مستقبل الكعبة، ليس بينها وبينه أحدٌ، ثمَّ خرج إلی منزله (۲).

الدعاء عند وداع الكعبة

۱- علیُّ بن إبراهيم عن أبيه، ومحمَّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، وابن أبی عميرٍ، عن معاوية بن عمَّارٍ، عن أبیعبداللَّه عليه السلام قال: إذا أردت أن تخرج من مكَّة فتأتی أهلک، فودِّع البيت، وطف أسبوعاً، وإن استطعت أن تستلم الحجر الأسود والرُّكن اليمانیَّ فی كلِّ شوطٍ فافعل، وإلّا فافتح به واختم، وإن لم تستطع ذلک فموسَّعٌ عليک، ثمَّ تأتی المستجار، فتصنع عنده مثل ما صنعت يوم قدمت مكَّة، ثمّ تخيّر لنفسک من الدُّعاء، ثمَّ استلم الحجر الأسود، ثمَّ ألصق بطنک بالبيت، واحمد اللَّه وأثن عليه، وصلِّ على محمّد وآله، ثمَّ قل: «أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِکَ و رَسُولِکَ و نَبِيِّکَ و أَمِينِکَ وَحَبِيبِکَ وَنَجِيِّکَ و خِيَرَتِکَ مِنْ خَلْقِکَ، أَللَّهُمَّ كَمَا بَلَغَ رِسَالاتِکَ، و جَاهَدَ

۱- التهذيب ۵: ۲۷۷.

۲- الكافی ۴: ۵۲۹

ص: ۴۲

فِی سَبِیلِکَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِکَ، و أُوذِیَ فِی جَنْبِکَ، و عَبَدَکَ حَتَّی أَتَاهُ الْیَقِینُ، أَللّٰهُمَّ اقْلِبْنِی مُفْلِحاً مُنْجِحاً مُسْتَجَاباً لِی بِأَفْضَلِ مَا یَرْجِعُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ وَفْدِکَ مِنَ الْمَغْفِرَةِ و الْبَرَکَةِ و الرَّحْمَةِ و الرِّضْوَانِ و الْعَافِیَةِ، أَللّٰهُمَّ إنْ أَمَتَّنِی فَاغْفِرْ لِی، و إنْ أَحْیَیْتَنِی فَارْزُقْنِیهِ مِنْ قَابِلٍ، أَللّٰهُمَّ لا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ بَیْتِکَ، أَللّٰهُمَّ إنِّی عَبْدُکَ و ابْنُ عَبْدِکَ و ابْنُ أَمَتِکَ، حَمَلْتَنِی عَلَی دَوَابِّکَ، و سَیَّرْتَنِی فِی بِلَادِکَ حَتَّی أَقْدَمْتَنِی حَرَمَکَ و أَمْنَکَ، و قَدْ کَانَ فِی حُسْنِ ظَنِّی بِکَ أَنْ تَغْفِرَ لِی ذُنُوبِی، فَإنْ کُنْتَ قَدْ غَفَرْتَ لِی ذُنُوبِی، فَازْدَدْ عَنِّی رِضًا، و قَرِّبْنِی إلَیْکَ زُلْفَی، و لا تُبَاعِدْنِی، و إنْ کُنْتَ لَمْ تَغْفِرْ لِی، فَمِنَ الْآنَ فَاغْفِرْ لِی قَبْلَ أَنْ تَنْأَی عَنْ بَیْتِکَ دَارِی، فَهَذَا أَوَانُ انْصِرَافِی، إنْ کُنْتَ أَذِنْتَ لِی غَیْرَ رَاغِبٍ عَنْکَ، و لا عَنْ بَیْتِکَ، و لا مُسْتَبْدِلٍ بِکَ و لا بِهِ، أَللّٰهُمَّ احْفَظْنِی مِنْ بَیْنِ یَدَیَّ، و مِنْ خَلْفِی، و عَنْ یَمِینِی، و عَنْ شِمَالِی حَتَّی تُبَلِّغَنِی أَهْلِی، فَإذَا بَلَّغْتَنِی أَهْلِی، فَاکْفِنِی مَؤُونَةَ عِبَادِکَ و عِیَالِی، فَإنَّکَ وَلِیُّ ذَلِکَ مِنْ خَلْقِکَ و مِنِّی» ثمَّ ائت زمزم فاشرب من مائها، ثمَّ اخرج وقل: «آئِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ إلَی رَبِّنَا رَاغِبُونَ إلَی اللّٰهِ رَاجِعُونَ إنْ شَاءَ اللّٰهُ» قال: وإنَّ أباعبداللّٰه علیه السلام لمَّا ودَّعها وأراد أن یخرج من المسجد الحرام، خرَّ ساجداً عند باب المسجد طویلًا، ثمَّ قام فخرج (۱).

۲- محمَّد بن یحیی، عن أحمد بن محمَّدٍ، عن إبراهیم بن أبی محمودٍ قال: رأیت أباالحسن علیه السلام ودَّع البیت، فلمَّا أراد أن یخرج من باب المسجد، خرَّ ساجداً، ثمَّ قام فاستقبل الکعبة، فقال: «أَللّٰهُمَّ إنِّی أَنْقَلِبُ عَلَی أنْ لا إلَهَ إلّا أَنْتَ» (۲).

*** و فی الختام وتتمیماً للفائدة، ننقل ما ذکره المرحوم آیة اللّٰه السید الروحانی حول أدب الدعاء:

۱- وسائل الشیعة ۱۴: ۲۸۷.

۲- الکافی ۴: ۵۳۱

ص: ۴۳

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

المستفاد ممّا ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّه ينبغى للداعى أن يبتدأ دعاءه بالبسملة، ثمّ يحمد اللَّه على نعمه وآلائه، ويشكره تعالى عليها، ثمّ يصلّى على النبىّ وآله صلّى اللَّه عليهم، ويستغفر لذنوبه ويستعيذ باللَّه منها.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ المدحة قبل المسألة» (۱)، وكيفيّتها على ما سنذكره.

وعن الصادق عليه السلام: من قال (الدعاء الآتى) ثلاث مرّات استجيب له، ثمّ يختم الدّعاء بقوله: ما شاء اللَّه (على ما سنذكره)، وليكن آخر دعائه الصلاة على محمّد وآل محمّد صلوات اللَّه عليه وعليهم أجمعين.

ولعلّ الصورة الآتية جامعة لما أمروا عليهم السلام به:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم. الحمد للَّهعلى نعمائه وآلائه كما هو أهله، ونشكره معترفين بالعجز عن شكره. اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد كأفضل ما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد. ربّنا إنّنا ظلمنا أنفسنا، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين. ربّنا إنّا نستغفرك لذنوبنا فاغفر لنا، ونستعيذك من سيّئاتنا فأعذنا. يا من هو أقرب إلىّ من حبل الوريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يامن هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شىء- ويقول ثلاث مرّات: يامن يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء أحد غيره- ثمّ يدعو اللَّه تعالى ويذكر حوائجه. وبعدها يقول: ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، وصلّى اللَّه على محمّد وآله الطاهرين.

۱- بقيّة الحديث: «فإذا دعوت اللَّه عزّوجلّ فمجّده». قال السائل: كيف أمجّده؟ قال عليه السلام: «تقول: يا من هوأقرب إلىّ...» الخ.

ص: ۴۴

آراء وأفكار

مع سماحة آية اللّه الشيخ السبحانى

حاوره: محسن الأسدى

فى موسم الحجّ، وبالذات عند أداء مناسك هذه الفريضة المُباركة، التى وصل عدد الحضور فيها ثلاثة ملايين أو يزيدون، يتعرّض كثيرٌ من الحجّاج الكِرام إلى مشاكل كثيرة، ومتاعب خطيرة، دفعتنا إلى التماس حلٍّ لها فى فتاوى الفقهاء وآرائهم، فلعلّها تساهم فى تخفيف معاناة الحجّاج، وتدرأ عنهم المخاطر...

وها هو سماحة آية اللّه الشيخ جعفر السبحانى، فقيه من فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، يتفضّل مشكوراً بالإجابة عن الأسئلة، التى وجّهها له الأُستاذ محسن الأسدى عضو الهيئة العلمية لمجلة «ميقات الحج».

*** حدود الطواف، وما يسبّبه ضيق المطاف من حرج، هلّا تفضل سماحتكم بالحديث عن هذه المسألة بشكلها الفقهى؟ علماً بأنّ هذه

ص: ۴۵

المسألـة (الطواف بين البيت والمقـام) ليس لها أثر مهمّ فى دائرة الفقه السـنّى لسـعة دائرة المطاف عنـدهم، وإنّما هى مسألـة يبـدو أنّها مختصّة بالفقه الشيعىّ.

إنّ المطـاف هو الحـدّ الفاصـل بين الكعبـة ومقـام إبراهيم وهو يقرب من نحو ۱۲ متراً، فعلى الطـائف أن لاـ يخرج عن هـذا الحـدّ فى الجوانب الأربعة للكعبة.

غير أنّ مبدأ هذا الحدّ فى الأضلاع الثلاثة هو جدار الكعبة. وأمّا الضلع الذى يتّصل به حجر إسماعيل، فالحدّ الفاصل يُحسب من جدار الحجر إلى نهاية ۱۲ متراً، لا من جدار الكعبة، وبذلك تعالج المشكلة فى كثير من الفصول وقسط كبير من أشهر الحجّ.

وهـذا القول هو خيرة الشـهيد الثانى فى الروضـة (۱) ومـال إليه فى المسالـك (۲) واختاره فى المـدارك (۳) ونفى الإشـكال عنه فى الجواهر (۴)، وإن عدل عنه أخيراً كما اختاره لفيف من المعاصرين.

ويمكن استظهاره من رواية محمّد بن مسلم (۵) لكن بشرط الإمعان فيها، ومع ملاحظة ما ورد فى البابين ۳۰ و ۳۱ من أبواب الطواف.

نعم هنا مشـكلة أُخرى وهى عدم كفاية هذا الحدّ الفاصل (حتّى مع حساب المسافة من جهة الحِجر) عند وفود الحجاج فى أوائل شـهر ذى الحجة الحرام، فإنّ الالتزام بالطواف فى هذا الحدّ يسبب الحرج الشديد الذى لا يطاق، فلا محيص من

۱- الروضة: ۲/ ۲۴۹.

۲- المسالك: ۲/ ۳۳۳.

۳- المدارك: ۸/ ۱۳۱.

۴- الجواهر: ۱۹/ ۲۹۸.

۵- الوسائل: الجزء ۹، الباب ۲۸ من أبواب الطواف، الحديث ۱.

ص: ۴۶

القول بأنّ المطاف أوسع من هذا الحدّ الفاصل بالبيان التالى:

إنّه سبحانه يأمر جموع الحجيج الحاضرين فى المسجد بالطواف بقوله ولْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (۱)

هذا من جانب.

ومن جانب آخر يقول سبحانه: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (۲)

.

فمقتضى دعوة الحاضرين فى المسجد إلى الطواف مع رعاية عدم تسبّب الحرج، هو كون المطاف فى هذه الظروف أوسع من الحدّ المذكور مع ملاحظة الأقرب فالأقرب.

وقد روى الصدوق فى الفقيه بسند صحيح، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن على الحلبى قال: قال: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن الطواف خلف المقام، قال: ما أحب ذلك وما أرى به بأساً، فلا تفعله إلّاأن لا تجد منه بداً (۳).

وقوله: «ما أحب ذلك» ظاهر فى الكراهة وهى تزول مع الضرورة.

على أنّ لفيفاً من الفقهاء كالصدوق فى الفقيه (۴) والمحقّق الأردبيلى فى مجمع الفائدة (۵) ذهبا إلى جواز الطواف خارج المقام اختياراً، وخصّه ابن الجنيد (۶) بصورة الضرورة.

تكرّرت الحوادث المفجعة حين رمى الجمرات خاصّة فى السنوات الأخيرة... لأسباب منها سوء الإدارة والتنظيم، أو جهل الناس بأحكامهم،

۱- الحج: ۲۹.

۲- الحج: ۷۸.

۳- الوسائل: ۹، الباب ۲۸ من أبواب الطواف، الحديث ۲ وأبان بن عثمان من أصحاب الإجماع.

۴- الفقيه: ۲/ ۳۹۹.

۵- مجمع الفائدة: ۷/ ۸۷.

۶- مختلف الشيعة: ۴/ ۱۸۳.

ص: ۴۷

أو لعجلتهم في أداء هذا المنسك. إلّاأنّ هناك من يلقى باللوم على الفقهاء في أنّهم عسّروا على الناس الشريعة وهي السهلة السمحاء، بل ولم يعلّموا الناس أحكامهم.

فهلّا يبيّن سماحتكم الموقف الفقهي بشكل جليّ لهذه المسألة؟ وهل هناك مجال أو حلّ شرعيّ يساهم في درء مثل هذه الحوادث أو تخفيفها على الأقل؟

إنّ لتكرر الحوادث المفجعة حين رمي الجمرات سبباً آخر غير مذكور في السؤال وهو ظاهرة «الافتراش» فانّ كثيراً من البدويين يسدّون طريق الحجيج من خلال افتراشهم. الأمر الذي يفرض على الحكومة السعودية أن تُجليهم عن المكان وتتخذ لهم أماكن سكن مناسبة.

وهناك أُسلوب آخر لحلّ الأزمة وهو استغلال اختلاف الفتاوى بالنحو التالي:

إنّ أصحاب المذاهب الأربعة يخصّون جواز الرمي في اليوم العاشر من ذي الحجة بما قبل الظهر، كما أنّهم يخصونه في الحادي عشر والثاني عشر بما بعد الظهر، فعلى الشيعة لا سيّما غير الأقوياء أن يستغلّوا هذا الظرف المُناسب من خلال الرمي في اليوم العاشر بعد الظهر وفي اليومين الأخيرين قبله.

على أنّ الأقوى هو جواز الرمي من فوق الجمرات عبر الجسر الجديد الذي يمتد فوقها.

هذا هو الحلّ العاجل، غير أنّه لابدّ من حلّ الأزمة جذرياً دون أن تمس أصل الحكم الشرعي.

غالباً ما يكون الذبح خاصّة في السنوات الأخيرة خارج منى، فما هي حدود منى؟ وهل تتّسع بكثرة الحجيج؟ وهل يصحّ الذبح خارج منى كأن

ص: ۴۸

يكون فى بلد الحاج، إذا لم تتوفر شروط الذبح الشرعية بشكل كامل؟

منى بلـدة قريبة من مكّة، وهى أقرب المواقع الرئيسـية إلى مكّة، ثمّ المزدلفة، ثمّ عرفة، فإذا دخلت منى من مكّة كانت أول جمرة، هى جمرة العقبـة، وحـدّ منى هو مـا بين جمرة العقبـة ووادى محسِّر طولًا، وأمّا عرضاً فهو ما بين الجبلين أو الجبال الشاهقـة، فوادى محسِّر أبعد من مكّة من منى، وإنّما يقع بينها وبين المزدلفة.

وأمّا مسألة الذبح، فيجوز تأخير الذبح إلى اليوم الثانى عشـر من ذى الحجة، فإذا أمكن الذبح فى هذه المدّة بمنى فيقدم ذلك، فإذا لم يتمكن كما هو السائد عند كثرة الحجيج، فيجب الذبح خارج منى فى وادى محسِّر مع الأخذ بنظر الاعتبار الأقرب فالأقرب، ولا يجزى الذبح فى بلد الحاج وكالةً. وقد قال سبحانه:

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ (۱)

وهو لا يتحقّق إلّاأن يكون الذبح فى الأرض المقدّسة.

كيف ترون مناسك الحـجّ وأداءها مسـتقبلًا مع عظمـة القادمين لأداء هذه الشـعيرة المقدّسة وكثرتهم، واحتمال إجراء تغييرات عمرانيّة تتناسب وكثرة الحجيج، فهل يكون للفقه الزمكانى أثر يذكر فى هذه المسألة؟

قد ذكرنا فى رسالة مستقلة (۲) دور الزمان والمكان فى الاسـتنباط، وأشرنا إلى بعض الروايات الواردة فى هذا الموضوع عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والتى تناهز العشرين رواية، كما ذكرنا كلمات الفقهاء من عصر الصدوق إلى يومنا هذا من

۱- الحج: ۳۶.

۲- لاحظ رسائل و مقالات: ۲/ ۴۱- ۱۱۳.

ص: ۴۹

الفريقين، وذكرنا أنّ الظروف الطارئة لا ـ تمسّ كرامة الأحكام الواقعية، ولا ـ تحدث أيّة خدشة فيها، ولكن يؤثر في أساليب تنفيذ الأحكام، فالأحكام ثابتة وأساليب تنفيذهامتغيرة، ومنهاالحج، ولابدّ أن يكون كل تغيير عمراني تقتضيه كثرة الحجيج خاضعاً لهذا الإطار، أي أن يكون الحكم الواقعي ثابتاً وأُسلوب إجرائه متغيراً.

وإليك نموذجاً من هذا النوع:

لا شكّ أنّ هناك أُموراً وقعت موضوعاً لأحكام شرعية نظير:

۱. الاستطاعة: قال سبحانه: وَللَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (۱)

.

۲. الفقر: قال سبحانه: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ والْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ (۲)

.

۳. الغنى: قال سبحانه: وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ومَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَاكُلْ بِالْمَعْرُوفِ (۳)

.

۴. بذل النفقة للزوجة: قال سبحانه: أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ (۴)

.

۵. إمساك الزوجة بالمعروف: قال سبحانه: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ (۵)

.

ومن الواضح أنّ مصاديق هذه الموضوعات تتغير حسب تغير أساليب الحياة، فالإنسان المستطيع بالأمس للحجّ، لا يعدّ مستطيعاً اليوم، لكثرة حاجات

۱- آل عمران: ۹۷.

۲- التوبة: ۶۰.

۳- النساء: ۶.

۴- الطلاق: ۶.

۵- البقرة: ۲۳۱.

ص: ۵۰

الإنسان فى الزمان الثانى دون الأوّل، وبذلك يتّضح حال الفقر والغنى، فربّ غنى بالأمس فقير اليوم.

- كما أنّ نفقة الزوجة فى السابق كانت منحصرة فى الملبس والمأكل والمسكن، وأمّا اليوم فقد ازدادت حاجاتها على نحو لو لم يقم الرجل ببعض تلك الحاجات يعدّ عمله بخساً لحقها، وامتناعاً من بذل نفقتها.

وختاماً- ومع شكرنا الجزيل لسماحة الشيخ- لابدّ لنا من العروج إلى ثمرات هذه الفريضة، فمنافع الحجّ، الثقافية والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة... كثيرة، هذا إضافة إلى منافعه العباديّة وهى الرئيسية فيه والأهم، فالحج يلتقى فيه البعدان الروحى والمادى، الاخروى والدنيوى...، فهلّا يتفضّل سماحتكم بالحديث عن هذه المنافع ولو بشكل مختصر؟

الإمعان والدقّة فى الآيات الواردة حول الحجّ ومناسكه، وما رويت حوله من النبى الأكرم والعترة الطاهرة من الروايات، وما استقرت عليه سيرة المسلمين فى القرون الأُولى الإسلاميّة، يعرب عن أمرين مهمين، يُعرّفان ماهية الحجّ وحقيقته وأهدافه وهما:

إنّ الحجّ عمل عبادى وفى الوقت نفسه ملتقى سياسى للمسلمين، ويطيب لى أن أذكر كلا الأمرين بعبارات موجزة مستشهداً بآيات الذكر الحكيم، وما أثر فى ذلك المجال.

الحج عمل عبادىّ

والذى يدل على أنّ الحجّ عمل عبادى هو:

۱- إنّ الحجّ عمل يقصد به الإنسان كسب رضاه سبحانه تلبيةً لنداء الخليل عليه السلام حيث قام بدعوة الناس إلى الحجّ الذى أقامه بعد انهيار، وعمّره بعد

ص: ۵۱

خراب، كما قال سبحانه: وَأَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجالًا وعَلَی کُلِّ ضَامِرٍ یَأْتِینَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ... (۱)

.

۲- الحجّ تذكار وذكر للّهسبحانه فی كافهٔ مراحله ومواقفه ومراسمه ومشاهده، وقد أمر سبحانه فی غير واحد من الآيات حجّاج بيته أن يـذكروه فی جميع المواقف، قال سبحانه: فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْکُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْکُرُوهُ کَمَا هَدَاکُمْ وَإِنْ کُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّینَ* ثُمَّ أَفِیضُوا مِنْ حَیْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ* فَإِذَا قَضَیْتُمْ مَنَاسِکَکُمْ فَاذْکُرُوا اللَّهَ کَذِکْرِکُمْ آبَاءَکُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِکْراً (۲)

.

ويقول سبحانه: وَاذْکُرُوا اللَّهَ فِی أَیَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِی یَوْمَیْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَیْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَیْهِ لِمَنِ اتَّقَی وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّکُمْ إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (۳).

۳- الحجّ تطهير للنفس عن دنس الأقذار الخلقيهٔ، وتوجيهها إلی المثل العليا، وكبح للنفس عن اللذائذ الدانيهٔ النفسانيهٔ. قال سبحانه: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِیهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِی الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ یَعْلَمْهُ اللَّهُ (۴)

.

ولأجل أنّ الحجّ تطهير للنفوس سميت أعماله مناسكاً وهو من نسك ثوبه أو غسله، فكأنّ تلك الأعمال تغسل ما عليها من صدأ الذنوب ودرن الآثام، قال سبحانه: فَإِذَا قَضَیْتُمْ مَنَاسِکَکُمْ فَاذْکُرُوا اللَّهَ (۵)

.

۱- الحج: ۲۷.

۲- البقرهٔ: ۱۹۸- ۲۰۰.

۳- البقرهٔ: ۲۰۳.

۴- البقرهٔ: ۱۹۷.

۵- البقرهٔ: ۲۰۰.

ص: ۵۲

۴- الحجّ تدريب وتربية للنفس للغلبة على الهوى وتحصيل التقوى، الذى هو خير الزاد للإنسان، قال سبحانه فى ثنايا آيات الحجّ: فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ (۱)

.

۵- قد كان الهدف الأسمى من تجديد بناء البيت بيد بطل التوحيد، دعوة الناس إلى عبادة اللَّه وحده ورفض عبادة الأنداد والشرك بألوانه، قال سبحانه:

وعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (۲)

، وقال سبحانه: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (۳)

ولأجل ذلك كان شعار الخليل عليه السلام عند بناء البيت ورفع قواعده هو الطلب من اللَّه سبحانه أن يجعل ذرّيته أُمّة مسلمة ويريهم مناسكهم ويتوب عليهم بالرحمة. قال سبحانه حاكياً عنه عليه السلام وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۴)

.

۶- إنّ الخليل أنزل أُسرته بأرض قاحلة عند البيت المحرم لغاية إقامة الصلاة، وفى الوقت نفسه طلب من اللَّه سبحانه أن يوجّه أفئدة الناس إلى هذا البيت لتلك الغاية السامية، قال سبحانه حاكياً عن الخليل: رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ (۵)

.

۷- الحجّ تزهيد عن الدنيا واكتفاء من زخرفها وزبرجها بثوبين يرتدى بأحدهما ويتزر بالآخر، ويردّد فى جميع الحالات الشكر والثناء امتثالًا لأمره

۱- البقرة: ۱۹۷.

۲- البقرة: ۱۲۵.

۳- آل عمران: ۹۶.

۴- البقرة: ۱۲۷.

۵- إبراهيم: ۳۷.

ص: ۵۳

سبحانه: لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (۱)

.

۸- الحجّ عمل رمزى لكثير من العبادات والطقوس الواردة فى الشريعة المفروضة فى ظروف خاصة، فصار الحجّ بمفرده مظهراً لها ومجسداً لكثير منها، حيث نجد فيه الأعمال التالية المعربة عن جانبه العبادى، أعنى: النيّة، الطهارة من الحدث والخبث، الصلاة، الصوم، الطواف بالبيت، الذبح للّه، إطعام القانع والمعترّ من اللحوم، الاعتكاف الذى يجسده الوقوف فى المشاعر، ورجم الشيطان العدو الوحيد للإنسان الذى يوسوس فى صدور الناس.

كلّ ذلک يعرب عن أنّ الحجّ عبادة للّهوتقرب إليه، يصل به الإنسان إلى مدارج الكمال.

الحجّ ملتقى سياسىّ

إنّ كون الحجّ أمراً عبادياً أو مجسداً لأكثر العبادات لا ينافى أن يشتمل على بعد آخر فيه حياة للمسلمين وقوام لعيشهم، وإقامة لشؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والحكومية، وهذا ما نعبّر عنه بكون الحجّ ملتقى سياسياً تجتمع فيه هذه الآثار الحيوية، وهذا ما يدعمه أيضاً الذكر الحكيم، وتؤيده السنّة النبويّة وعمل المسلمين فى القرون الإسلاميّة الأُولى.

أمّا الآيات التى ترمز إلى تلك الأبعاد، فنكتفى منها بما يلى:

الف: قال سبحانه: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (۲)

. والمُراد من كونه مثابة كونه مرجعاً للناس والمسلمين عامّة، ولأجل أنّ الحجّ عمل اجتماعى يجب أن يخيّم عليه الأمن ويسيطر عليه السلام، حتى يقوم الناس بعمل اجتماعى لأهداف

۱- إبراهيم: ۳۷.

۲- البقرة: ۱۲۵.

ص: ۵۴

اجتماعیة، قال سبحانه: وَمَنْ دَخَلَهُ کَانَ آمِنًا (۱)

، وقال تعالی حاکیاً عن خلیله:

رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا (۲)

.

فالحجّ بما أنّه أمر اجتماعی وملتقی للشعوب المختلفة، بحاجة إلی استتباب الأمن والهدوء حتی یقوم کلّ إنسان وشعب ببیان فکرته ونظریته ولا یخاف من إنسان ولا دولة، ویتجلّی الحجّ کمنبر حرّ للمسلمین کلّهم، وهذا ما نعبّر عنه بکونه عملًا اجتماعیاً.

وفی جانب ذلک فالحجّ ملتقی ثقافی یلتقی فیه المفکّرون الکبار والعلماء فی شتّی الحقول، فیقومون بعرض الاطروحات والتجارب علی الصعید الثقافی والعلمی والاقتصادی؛ کی تتعرف کلّ طائفة علی ما عند الأُخری من الأفکار القیّمة والنظریات المفیدة، فیؤدی ذلک إلی التقاء الأفکار والاحتکاک بینها.

إذاً الحجّ عمل اجتماعی وملتقی ثقافی وفی الوقت نفسه مؤتمر سیاسی سنوی یجتمع فیه قادة المسلمین، فیتشاورون فی مهام الأُمور بغیة التنسیق والتعاون فیما بینهم، ولعلّ إلی تلک الجوانب الثلاثة یشیر قوله تعالی: جَعَلَ اللَّهُ الْکَعْبَةَ الْبَیْتَ الْحَرَامَ قِیَامًا لِلنَّاسِ (۳)

.

فسواء کان القیام بمعنی القوام وما به حیاة المسلمین، أو کان بمعنی ضدّ القعود، فالآیة تتضمن نکتة مهمّة وهی انّ کیان المسلمین معقود بناصیة الحجّ فیه یقومون وفی ظلّه قوام حیاتهم، فالآیة نظیر قوله سبحانه: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَکُمُ الَّتِی جَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ قِیَاماً (۴)

.

فوصف سبحانه أموال الناس بکونها قیاماً لهم، أی بها یقومون فی الحیاة، أو

۱- آل عمران: ۹۶.

۲- البقرة: ۱۲۶.

۳- المائدة: ۹۷.

۴- النساء: ۵.

ص: ۵۵

بها قوام حياتهم الاجتماعية، فاقتران الآيتين يعرب عن كون الحجّ ركناً في حياة المسلمين وبقاء كيانهم. ويشير أيضاً إلى تلك الجوانب قوله سبحانه: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ (۱)

. فكانت الغاية من دعوة كلّ راجل وراكب إلى الاجتماع في أيّام الحجّ خصوصاً في المواقف والمشاهد، حيازة المنافع الكبيرة التي يحتوي عليها الحجّ. فما جاء في الآية تعبير جامع يتضمّن كلّ نفع يرجع إلى المسلمين في ذلك الملتقى، ولا يصحّ لنا تخصيصه بالنفع المعنوي بإخراج النفع المادّي، أو تخصيصه بنفع دون نفع، ففي ذلك الوفود إلى اللّه سبحانه منافع كثيرة يصطادها المسلمون حسب قابلياتهم وصلاحياتهم.

هذا ما لخصّناه للقارئ الكريم من الذكر الحكيم، وأمّا السنّة الشريفة فيكفي في ذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله أمر الإمام عليّاً عليه السلام بأن يتلو آيات البراءة في يوم الحجّ الأكبر، قال سبحانه: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...... (۲)

وهل يشكّ ذو مسكة في أنّ البراءة ورفع الأمان عن المشركين وإمهالهم أربعة أشهر عمل سياسي قام به قائد الإسلام أيّام رسالته وازدهار دعوته، حتى يكون ذلك قوّة للمسلمين في الأجيال اللاحقة؟

هذا هو الإمام الطاهر الحسين بن علي عليهما السلام أطاح بطاغية عصره يزيد بن معاوية، ففضحه بعرض جناياته وأعماله المخزية على الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان في موسم الحجّ في أرض منى، وقد اجتمع تحت منبره قرابة ثمانمائة منهم، وأبان في خطابه موقف أهل البيت من الإسلام، ثمّ ذكر مظالم الجهاز الأُموي الحاكم، وطلب من الجميع أن يحملوا خطابه وهتافه إلى إخوانهم وأوطانهم حتى

۱- الحج: ۲۸.

۲- التوبة: ۳.

ص: ۵۶

يقفوا على فداحة الكارثة، التى ألمّت بهم من جراء تسلّم بنى أُميّة لمنصّة الحكم، وقد جاءت خطبته فى كتب السير والتاريخ، فمن أراد فليرجع إليها.

وبعد ذلك: إنّ فى سيرة المسلمين لدليلًا واضحاً على أنّ الحجّ ملتقى سياسى وراء كونه عملًا عبادياً، فانّ الاصلاحات الجذرية التى قام بها المفكّرون المسلمون قد انعقدت نطفها فى الأراضى المقدّسة وفى موسم الحجّ، فحملوا الفكرة التى تبنّوها فى جوار بيت اللّه الحرام وفى ذلك المُحتشد العظيم، ثمّ غذّوها بفكرتهم وتجاربهم إلى أن أُتيحت لهم الفرص لبناء مجتمع طاهر أو حكومة عادلة أو ثورة عارمة فى وجه الطغاة والظالمين، وبذلك يتّضح أنّ الحجّ الإبراهيمى ليس مجرد طقوس وسنن يقوم بها الفرد أو الجمع فى أيّام معلومات، بل فيه آية العبادة وشارة السياسة، وفيه منافع للمسلمين فى عاجلهم وآجلهم، فيجب على المسلمين احياء هذه السنّة الكريمة الحجّ الحقيقى، الذى وضع حجره الأساس إبراهيم الخليل عليه السلام كلّ ذلك بفضل الحجّ وببركة ذلك المُحتشد العظيم.

ص: ۵۷

نبذة عن أحكام الهدى فى الحجّ

عند الإماميّة وسائر المذاهب الإسلامية

عبدالكريم آل نجف

مقدّمة

لا يخفى أنّ مسألة الهدى والذبح فى الحجّ من جملة المسائل الحيوية، التى يتعرض لها حجّاج بيت اللّه الحرام فى كلّ عام. وقد حرّرنا هـذه الدراسـة؛ لتكون مُعيناً للمعنيين بها من خلال ما قمنا به من تسـليط الضوء على هـذه المسألـة فى أبعادها المختلفـة، وقد قارنّا فيها آراء فقهاء مـذهب أهل البيت عليهم السـلام بآراء سائر المـذاهب الإسـلامية، مع بيان خاطف للأدلّة والبراهين المعتمدة عند كلّ فريق كلّما لزم الأمر ذلك. ودراستنا هذه تقع فى عدّة جهات:

حكم الهدى فى الشريعة الإسلامية

يعود حكم الهدى فى الشريعة الإسلامية من حيث الأصل إلى قوله تعالى:

فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ فما استيسر من الهدى (۱)

.

وقـد اتّفقت كلمـة المذاهب الإسـلامية على أنّه واجب وليس بركن، واتّفقت أيضاً على وجوبه على المتمتّع، وعدم وجوبه على المفرد بالحجّ، ولا على من اعتمر

۱- سورة البقرة: ۱۹۶.

ص: ۵۸

بعمرة مفردة، واختلفت الكلمة فى القارن، فقالت المذاهب الأربعة بوجوب الهدى على القارن أيضاً، وقالت الإمامية بعدم وجوبه عليه إلّابنذر أو بسياق الهدى معه من الإحرام.

والمكّى عند الإماميّة فرضه القران أو الإفراد. لكنّه إذا تمتّع وجب عليه الهدى، وهو عند المذاهب الأربعة مخيّر بين الأنواع الثلاثة من الحجّ، وإذا تمتّع لم يجب الهدى عليه (۱).

والهدى هو ما يهديه الحاج إلى الحرم من الأنعام الثلاثة؛ الإبل والبقر والغنم، ومن هنا جاءت التسمية. وغالباً يصنف الهدى فى الرسائل العملية لفقهاء الإمامية بعنوان الواجب الثانى من أعمال منى.

شروط الهدى وصفاته

للهدى شروط يذكرها الفقهاء، وهى من ثلاث جهات:

۱- من جهة الجنس يشترط فى الهدى أن يكون من الأنعام الثلاثة؛ الإبل والبقر والغنم، وما سوى ذلك لا يسمى هدياً، ولم يخالف فى ذلك أحد من فقهاء الإسلام.

۲- من جهة السنّ يشترط فى الهدى أن يكون ثنياً إن كان من الإبل وهو ما أكمل خمسَ سنوات ودخل فى السادسة، وهذا محلّ اتّفاق فقهاء الإسلام (۲). وإن كان من البقر أو المعز فيشترط فيه أن يكون قد أتمّ سنة ودخل فى الثانية، كما فى الشرائع والجواهر (۳)، وعليه بعض المعاصرين كالشيخ فاضل اللنكرانى (۴)،

۱- الفقه على المذاهب الخمسة، محمّد جواد مغنية: ۲۶۴- ۲۶۵.

۲- جواهر الكلام ۱۹: ۱۳۶.

۳- المصدر نفسه: ۱۳۶؛ انظر كذلك الفقه على المذاهب الأربعة ۱: ۶۹۶.

۴- مناسك حج، با حواشى مراجع بالفارسية مناسك الحجّ المحشّى: ۳۶۹.

ص: ۵۹

واحتاط السيّد الإمام الخمينى (۱)، والسيّد السيستانى احتياطاً وجوبياً فى أن لا يكون أقلّ من سنتين وداخلًا فى الثالثة (۲). وعلى ذلك فتوى ما عدا المالكية من مذاهب الجمهور. أمّا المالكية فقالوا باشتراط أن يكون الهدى من البقر قد أتمّ ثلاث سنوات ودخل فى الرابعة (۳).

أمّا إن كان الهدى من الضأن فالمتّفق عليه بين فقهاء الإسلام إجزاء الجذع فيه (۴) حتّى قال الشيخ النجفى فى الجواهر: «لا خلاف أجده فى إجزائه بل الإجماع بقسميه عليه مضافاً إلى ما سمعته من النصوص» (۵) إلّاأنّ الخلاف الشديد قد وقع فى المراد منه على أقوال شتّى تراوحت بين القول بأن الجذع ما كان ابن ستة أشهر، وآخر بأنّه ما أكمل السنة الأولى ودخل فى الثانية، وقد أفتى من المعاصرين السيّد الخوئى والسيّد السيستانى بإجزاء ما دخل منه فى الشهر الثامن، فيما احتاط السيّد الإمام الخمينى والسيّد الگلبايگانى والسيد السبزوارى احتياطاً وجوبياً باشتراط أن يكون قد أكمل السنة الأولى ودخل فى الثانية (۶).

۳- والشرط الثالث فى الهدى هو الخلو من العيوب، قال الشيخ مغنية فى الفقه على المذاهب الخمسة: «أن يكون الهدى تامّاً خالياً من العيوب، فلا تجزى العوراء ولا العرجاء ولا المريضة ولا الكبيرة التى لا مخّ لها بالاتفاق.

۱- المصدر نفسه: ۳۶۹.

۲- المصدر نفسه: ۱۹۶.

۳- الفقه على المذاهب الأربعة ۱: ۶۹۶.

۴- المصدر نفسه: ۶۹۶، انظر كذلك الشرح الكبير بهامش المغنى لابن قدامة ۳: ۵۳۴.

۵- جواهر الكلام ۱۹: ۱۳۸.

۶- جامع المناسك، إعداد حسين مرعى وإسماعيل حريرى: ۱۰۳.

ص: ۶۰

واختلفوا فى الخصى وفى الجماء وهى التى لا قرن لها، وفى الصماء وهى التى لا أذن لها أو لها أذن صغيرة، وفى البتراء وهى المقطوعة الذنب، فقال السيّد الحكيم والسيّد الخوئى: لا يجزى شيء منها، وقال صاحب المغنى: بل يجزى كلّ نوع منها، وقال العلّامة الحلّى فى التذكرة: الإناث من الإبل والبقر أفضل، والذكران من الضأن والمعز أولى، ولاخلاف فى جواز العكس فى البابين، وقال صاحب المغنى:

الذكر والأنثى فى الهدى سواء» (۱).

أمّا شرط عدم المرض فقد أفتى به بعض كالسيّد الگلپايگانى والسيّد السبزوارى، وقال به آخرون احتياطاً وجوبياً كالسيّد الإمام الخمينى والشيخ فاضل اللنكرانى، وقال به آخرون احتياطاً استحبابياً كالسيّد الخوئى والسيّد السيستانى والشيخ التبريزى (۲).

وقال الإمام الخمينى: بأن لا يكون طاعناً فى السنّ. واحتاط السيّد الخوئى والسيّد السيستانى والشيخ التبريزى فى ذلك احتياطاً استحبابياً، بينما مال الشيخ مكارم الشيرازى والشيخ فاضل اللنكرانى إلى ذلك احتياطاً وجوبياً (۳) واتّفقوا على شرط تمامية الأجزاء وعدم النقص فى الهدى. قال الإمام الخمينى: «لا يكفى الناقص كالخصى وهو الذى أُخرجت خصيتاه، ولامرضوض الخصية على الأحوط، ولا الخصى فى أصل الخلقة ولا مقطوع الذنب ولا مقطوع الأذن، ولا ما يكون قرنه الداخل مكسوراً أو مقطوعاً، ولا بأس بما كسر قرنه الخارج أو قطع، ولا يبعد الاجتزاء بما لا يكون له أذن ولا قرن فى أصل خلقته والأحوط خلافه، ولو كان عماه أو عرجه واضحاً لا يكفى على الأقوى، وكذا لو كان غير واضح على الأحوط، ولا بأس بشقاق الأذن وثقبها والأحوط عدم الاجتزاء به، والأحوط عدم الاجتزاء بما ابيضّت عينه» (۴).

۱– الفقه على المذاهب الخمسة: ۲۶۵– ۲۶۶.

۲– جامع المناسك: ۱۰۳، انظر كذلك مناسك حج با حواشى مراجع: ۳۷۰.

۳– مناسک حجّ با حواشى مراجع: ۳۷۰.

۴– المصدر نفسه: ۱۵۱– ۱۵۲.

ص: ۶۱

ومال الشيخ التبريزى والشيخ فاضل اللنكرانى إلى اشتراط أن لاـ يكون خصياً احتياطاً وجوبياً، وفى مرضوض الخصيتين مال السيّد الگلبايگانى إلى الجواز وكذا الشيخ مكارم الشيرازى، ومال السيّد الخوئى والسيستانى والشيخ الصانعى والشيخ التبريزى إلى عدم الإجزاء احتياطاً استحبابياً، (۱) خلافاً لما مرّ من كلام الإمام الخمينى فى عدم الإجزاء احتياطاً وجوبياً.

واتّفقوا على أن لاـ يكون الهدى مهزولًا، مع إيكال تحديد الهزال إلى العرف، واحتاط الإمام الخمينى فى مقطوع الذنب فى أصل الخلقة احتياطاً وجوبياً بعدم الإجزاء، وفى فاقد القرن أو الأذن احتياطاً استحبابياً بعدم الإجزاء، ومال السيّد الخوئى والسيّد السيستانى والشيخ الصافى إلى الاحتياط الاستحبابى فى أن لاـ يكون الهدى فاقد القرن والذنب فى أصل خلقته، ومال الشيخ الأراكى إلى الاحتياط الوجوبى فى ذلك، وكذا السيّد الگلبايگانى والشيخ الصافى (۲).

بدل الهدى

اتّفق فقهاء الإسلام على أن الحاج إذا لم يجد الهدى ولا ثمنه، انتقل حكمه إلى البدل عنه وهو صوم عشرة أيّام: ثلاثة منها فى الحجّ وسبعة إذا رجع الحاجّ إلى أهله؛ لقوله تعالى:

فمَن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحجّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشَرة كاملة (۳)

.

والمقصود بالقدرة فى ظرف الحجّ لا فى بلد الحاج، ومن شرع فى الصيام ثمّ قدر على الهدى بعد ذلك لم يكن عليه عند الحنابلة والمالكية والشافعية الخروج من

۱- المصدر نفسه: ۳۷۱.

۲- المصدر نفسه: ۳۷۱.

۳- سورة البقرة: ۱۹۶.

ص: ۶۲

الصوم إلى الهـدى، إلّاإذا شاء؛ لأنّه صوم دخل فيه لعدم الهدى (۱)، وعليه فقهاء الإماميـة أيضاً، سوى أنّهم يشترطون صوم تمام الثلاثة أيّام التى فى الحجّ، قال الشيـخ النجفى فى الجواهر: «ولو صامها- أىالثلاثة- ثم وجد الهدى فى ذى الحجّة ولو قبل التلبس بالسبعة لم يجب عليه الهدى وكان له المضى على الصوم... بل عن الخلاف الاجماع على ذلك» (۲).

ولو تمكّن فى أثناء صيامه الأيام الثلاثة، وجب عليه الهدى كما هو رأى الإمام الخمينى قدس سره (۳) واحتاط السيّد الخوئى والسيّد الگلپايگانى والشيخ مكارم الشيرازى والشيخ فاضل اللنكرانى والشيخ الصافى والشيخ الأراكى احتياطاً وجوبياً بالهدى إن وجده بعد صوم الأيّام الثلاثة، ورأى الشيخ البهجت ذلك احتياطاً استحبابياً، ومال الشيخ التبريزى إلى أن الاحتياط الوجوبى يقتضى الهدى إذا تمكّن قبل انقضاء أيّام التشريق، وإذا تمكّن بعدها فلا يجب الاحتياط عليه بالهدى، وهكذا السيّد السيستانى (۴).

واختصّ فقهاء الإمامية بأنّ الحاجّ إذا كان مستطيعاً من الناحية المالية على شراء الهدى وتعذّر تحصيله، فعليه أن يودع قيمة الهدى عند شخص أمين؛ ليشترى الهـدى ويـذبحه نيابةً عنه فى بقية ذىالحجّة أو فى السنة الآتية كما هو المذكور من رأى السيّد الخوئى والإمام الخمينى والسيد الگلپايگانى والشيخ الأراكى (۵) واحتمل فى الجواهر حصول الإجماع عليه (۶).

۱- الفقه الإسلامى وأدلّته، وهبة الزحيلى ۳: ۳۰۲؛ المغنى، ابن قدامة ۳: ۵۰۹.

۲- جواهرالكلام ۱۹: ۱۸۳.

۳- مناسک حج با حواشى مراجع: ۳۸۱.

۴- المصدر نفسه: ۳۸۰- ۳۸۱.

۵- آراء المراجع فى الحجّ، على افتخارى گلپايگانى: ۳۶۸.

۶- جواهر الكلام ۱۹: ۱۶۴.

ص: ۶۳

زمان الهدى

قال الشيخ محمّد جواد مغنية: «أما وقت ذبح الهدى أو نحره، فقال المالكية والحنفية والحنابلة: إنّه يوم العيد وتالياه الحادى‌عشر والثانى‌عشر، سوى أنّ الحنفية قالوا: إن هذا الوقت لهدى القران والتمتّع، أما غيره فلا يتقيد بزمان، ولم يفرق المالكية بين أنواع الهدى، كما جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

وقال الحنابلة: إنّ قدّم الذبح عن وقته وجب عليه البدل، وإن أخّره عنه، فإن كان تطويعاً سقط بذهاب وقته، وإن كان واجباً قضاه.

وقال الحنفية: إن ذبح هدى التمتّع والقران وقبل أيام العيد الثلاثة لم يجز، وإن تأخّر أجزأ، وعليه كفارة عن التأخر.

وقال الشافعية: وقت الهدى الواجب على المتمتّع إحرامه بالحجّ، ويجوز تقديمه عليه، ولا حدّ لآخره، والأفضل يوم النحر. (الفقه على المذاهب الأربعة).

وبعد أن أوجب الإمامية النية فى الذبح أو النحر قالوا: إنّ وقت الذبح أو النحر هو يوم العيد، وإن أخّره إلى اليوم الثانى أو الثالث أو الرابع يجزى، ولكن يأثم بالتأخير، وكذلك يجزى لو ذبحه بقية أيام ذى‌الحجّة. ونقل صاحب الجواهر عدم الخلاف فى ذلك حتّى ولو كان التأخير بدون عذر. ولا يجوز تقديم الذبح أو النحر على اليوم العاشر عند الإمامية» (۱).

واحتاط الإمام الخمينى احتياطاً وجوبياً فى عدم التأخير فى الذبح عن يوم العيد، واحتاط السيّد الگلبايگانى والسيّد الخوئى والسيّد السيستانى والشيخ الصافى والشيخ البهجت والشيخ التبريزى احتياطاً استحبابياً فى ذلك (۲).

والترتيب بين المناسك فى يوم النحر واجب عند مشهور الإمامية، فيجب أن

۱- الفقه على المذاهب الخمسة: ۲۶۶- ۲۶۷.

۲- مناسک حج با حواشى مراجع: ۳۷۳.

ص: ۶۴

يأتى الحاج بالرمى أولًا ثمّ النحر والذبح ثمّ الحلق أو التقصير؛ لقوله تعالى:

ولا تحلقوا رؤوسكم حتّى يبلغ الهدى محلّه (۱)

.

ولو قدم بعضها على بعض عالماً عامداً، تمّ ولا تجب عليه الإعادة (۲)، وعلى ذلك فتوى أكثر المعاصرين، وفيهم من قال بعدم لزوم الترتيب (۳).

مكان الهدى

اختلفت المذاهب الإسلامية فى مسألة مكان الهدى على ثلاثة آراء:

فرأى الإمامية: أنّ الهدى لا يكون إلّابمنى للمتمتّع وجوباً أو ندباً، أمّا ما يساق فى إحرام العمرة فينحر أو يذبح بمكّة.

ورأى الحنفية والشافعية والحنابلة: أنّ مكان الهدى هو الحرم ولا يختصّ بمنى.

ورأى المالكية: أنّ الهدى يكون بمنى إذا كان واجداً لثلاثة شروط، فإذا افتقد واحداً منها وجب الذبح والنحر حينئذ بمكّة دون غيرها، والشروط هى: أن يكون مسوقاً فى إحرام الحجّ لا العمرة، وأن يقف بالهدى بعرفة جزءاً من ليلة يوم العيد، وأن يريد نحره أو ذبحه فى يوم العيد أو تاليه (۴).

وقال الشيخ محمّد حسن النجفى فى الجواهر: «ويجب ذبحه بمنى عند علمائنا فى محكى المنتهى والتذكرة وعندنا فى كشف اللثام، وهذا الحكم مقطوع فى كلام الأصحاب فى المدارك» (۵).وعلى ذلك المعاصرون، ولذا يذكرون الهدى فى

۱- سورة البقرة: ۱۹۶.

۲- الجواهر ۱۹: ۲۵۰.

۳- مناسک حج با حواشي مراجع: ۳۷۲.

۴- الفقه على المذاهب الخمسة: ۲۶۶- ۲۶۷، الفقه على المذاهب الأربعة ۱: ۶۹۷- ۶۹۸.

۵- جواهر الكلام ۱۹: ۱۲۰.

ص: ۶۵

الرسائل العمليـة بعنـوان أنّه الـواجب الثـانی من واجبـات منی، وینصّون علی جواز الذبـح فی المسـلخ الفعلی الواقع فی وادی محسِّر، ویفضّلون علی ذلک الاحتیاط بالتریث إلی آخر أیّام التشریق إذا أُحرزت إمکانیهٔ الذبح فی منی أثناءها (۱).

والخلاصـهٔ: أنّ إجمـاع المسـلمین قـائم علی أنّ الذبـح یکـون فی منی، والفرق بین الإمامیـهٔ وغیرهم أنّ الإمامیـهٔ یرون اختصـاص منی بالهدی، فیما یری غیرهم شمول محلّ الذبح لسائر أجزاء الحرم المکّی.

مصرف الهدی

المعروف فی فقه الإمامیـهٔ اسـتحباب تقسیـم الهـدی إلی ثلاثـهٔ أثلاث: ثلث یأکله الحاج نفسه، وآخر یتصـدق به علی الفقیر، والثالث یهدیه للمؤمنین الموجودین وقیل بوجوب الأکل منه (۲).

ورأی أکثر الفقهاء المعاصـرین علی أنّ التثلیث من باب الاحتیاط، واختلفوا فی ذلک بین قائل بکونه احتیاطاً وجوبیاً کالشـیخ الأراکی والشیـخ البهجت والسید الخوئی والشیخ التبریزی، وقائـل بکونه احتیاطـاً اسـتحبابیاً کالسـیّد الإمام الخمینی والشیخ الفاضل اللنکرانی والشیـخ مکارم الشیـرازی، وقال السـید الگلبایگانی والشیـخ الصافی: بوجوب أن یأکل الحاج من هـدیه مقـداراً، ویتصـدق علی الفقیر بمقدار آخر ویُهدی منه مقداراً ثالثاً بلا شـرط أن یکون کلّ منهما ثلثاً، وقال الشیخ مکارم الشیرازی: بأنّ الواجب هو إعطاء الفقیر شیئاً من الهدی فقط (۳).

أمّا رأی الإمامیهٔ فی إخراج لحوم الهدی والأضاحی من منی، فقد قال فی الجواهر: «لا یجوز إخراج شیء ممّا ذبحه فی منی من الهدی الواجب عن منی، بل

۱- آراء المراجع فی الحجّ: ۳۵۸- ۳۶۰.

۲- جواهر الکلام ۱۹: ۱۶۱.

۳- مناسک حج با حواشی مراجع: ۳۷۵.

ص: ۶۶

يخرج من رحله- مثلًا- إلى مصرفه بها وفاقاً للمشهور». ثمّ أضاف قائلًا: «نعم ينبغى القطع بالجواز إذا لم يكن مصرف له إلّافى خارجها» (۱).

وعلى ذلك رأى أكثر المعاصرين، قال السيّد السيستانى: «ويجوز إخراج لحم الهدى والأضاحى من منى مع عدم حاجة الموجودين فيها إليه» (۲)وأطلق السيّد الخوئى العبارة فى ذلك قائلًا: «ويجوز إخراج لحم الهدى والأضاحى من منى» (۳).

وأمّا سائر المذاهب الإسلامية:

فرأى الحنابلة والشافعية: أنّ ما وجب نحره بالحرم، وجب تفرقة لحمه فيه على المساكين.

ورأى الحنفية والمالكية: جواز تفرقة لحمه فى الحرم وغيره.

وقال الشافعية: كلّ ما كان واجباً من الهدى لا يجوز الأكل منه، وكلّ ما كان تطوعاً يجوز الأكل منه (۴).

قال صاحب كفاية المحتاج وهو من فقهاء الشافعيّة: «اعلم أنّه يجب صرفها إلى فقراء الحرم ومساكينه؛ لأنّ المقصود من الذبح هو إعظام الحرم بتفرقتها على مساكينه، واعلم أنّه لا يجوز أكل شيء منه لحماً وجلداً وغيرهما ممّا يؤكل كما وقع التصريح به، وليحذر أن يعطى الجزّار منه شيئاً...» (۵).

ثمّ قال: «واعلم أنّه إذا لم يجد فى الحرم مسكيناً، لم يجز نقل الدم والطعام إلى موضع آخر سواء جوّزنا نقل الزكاة أم لا؛ لأنّه وجب لمساكين الحرم، كمن نذر

۱- جواهر الكلام ۱۹: ۱۳۱- ۱۳۳.

۲- مناسك الحجّ: ۲۰۶.

۳- مناسك الحجّ: ۱۷۶.

۴- الفقه على المذاهب الخمسة: ۲۶۷- ۲۶۸.

۵- كفاية المحتاج، على بن ظهيرة الشافعى، ط دار البخارى: ۴۷۷.

ص: ۶۷

الصدقة على مساكين بلدٍ فلم يجدهم يصبر إلى أن يجدهم ولا يجوز نقلها، وبه صرّح القاضى حسين فى فتاويه وغيره، وهو قول أكثر العلماء» (۱).

الهدى الواحد هل يُجزى عن أكثر من واحد؟

المعروف بين فقهاء الإسلام جواز اشتراك جماعة فى أضحية واحدة، أما فى الهدى فلم أجد من تعرّض لهذه المسألة من فقهاء الجمهور.

ورأى فقهاء الإمامية فيها أنّ الهدى الواجب الواحد فى الحجّ لا يجزى إلّاعن مكلّف واحد، ولا يصحّ اشتراك أكثر من مكلّف واحد فى هدى واحد، قال فى الجواهر: «للأصل المستفاد من تعدّد الخطاب الموافق لقوله تعالى: فمن لم يجد فصيام... ضرورة صدق عدم وجدان الهدى مع الاضطرار، فإن التمكّن من جزء منه ليس تمكّناً منه بعد أن كان المنساق منه الحيوان التام. والأمر بما استيسر إنّما هو لإرادة بيان النعم الثلاثة لا- أجزاء الحيوان الواحد ولصحيح الحلبى، سألت أباعبداللّه عليه السلام عن النفر تجزيهم البقرة، قال: أمّا الهدى فلا، وأمّا فى الأضحى فنعم ...» (۲).

وعلى ذلک رأى المعاصرين من فقهاء الإمامية (۳)، واحتاط السيّد السيستانى فى القادر على الشركة فى هدى الآخرين بالجمع بين المشاركة والصوم عشرة أيّام بدل الهدى (۴).

لو ضلّ الهدى فذبحه غير صاحبه

لو ضلّ الهدى من يد صاحبه فوظيفة العاثر عليه أن يعرّف به إلى اليوم

۱- المصدر نفسه: ۴۸۰.

۲- جواهر الكلام ۱۹: ۱۲۱- ۱۲۲.

۳- مناسک الحجّ، السيّد الخوئى: ۱۷۰.

۴- مناسک الحجّ: ۱۹۶- ۲۰۲.

ص: ۶۸

الثانىعشر، فإن لم يجد صاحبه حتّى عصر ذلک اليوم ذبحه نيابةً عن صاحبه (۱) وظاهر عبارة السيّد الخوئى أنّ ذلک من وظيفة الواجد للهدى الضائع، إلّاأنّ كلام السيّد السيستانى يفيد غير ذلک فهو يقول: لو وجد كبشاً وعلم بكونه هدياً ضلّ عن صاحبه جاز له أن يذبحه عنه... والأحوط للواجد أن يعرّفه قبل ذبحه إلى عصر اليوم الثانى عشر (۲).

أمّا وظيفة صاحب الهدى عند السيّد الخوئى، فهى أن يشترى «مكانه هدياً آخر، فإن وجد الأوّل قبل ذبح الثانى ذبح الأوّل، وهو بالخيار فى الثانى إن شاء ذبحه وإن شاء لم يذبحه وهو كسائر أمواله، والأحوط الأولى ذبحه أيضاً، وإن وجده بعد ذبحه الثانى ذبح الأوّل أيضاً على الأحوط» (۳). وليس فى كلامه إشارة إلى صورة ما إذا علم صاحب الهدى الضالّ بأنّ هديه قد ذبح نيابةً عنه من قبل الواجد له، وهى التى تعرّض لها السيّد السيستانى، فنصّ على أنّ صاحب الهدى إذا علم بأن الواجد قد ذبحه نيابةً عنه اجتزأ به، ولا يجب عليه تحصيل هدى آخر مكانه (۴).

هذا ما عليه الإماميّة فى المسألة.

أمّا علماء الجمهور؛ ففى الشرح الكبير لابن قدامة المقدسى: «إذا ضلّ المعين فذبح غيره ثمّ وجده أو عين غير الضال بدلًا عمّا فى الذمة ثم وجد الضال ذبحهما معاً. روى ذلک عن عمر وابنه وابن عبّاس، وبه قال مالک والشافعى وإسحاق لما روى عن عائشة أنّها أهدت هديين فأضلتهما، فبعث إليها ابن الزبير بهديين فنحرتهما، ثمّ عاد الضالان فنحرتهما وقالت: هذه سنة الهدى. رواه الدارقطنى» (۵).

۱- مناسک الحجّ: ۱۹۶- ۲۰۲.

۲- مناسک الحجّ، السيّد السيستانى: ۱۹۹.

۳- مناسک الحجّ، السيّد الخوئى: ۱۷۳.

۴- مناسک الحجّ، السيّد السيستانى: ۱۹۹.

۵- المغنى وبهامشه الشرح الكبير، ط دار الكتاب العربى ۳: ۵۷۶.

ص: ۶۹

لو ذبح فانكشف ناقصاً

لو ذبح هديه بظنّ السلامة، ثمّ انكشف له بعد ذلك أنّه كان ناقصاً أو مريضاً، فهنا رأيان:

رأى بالاجتزاء وعدم وجوب هدى جديد، وعليه السيّد الخوئى والسيّد السيستانى والشيخ التبريزى.

وآخر بعدم جواز الاجتزاء به، ووجوب ذبح هدى آخر كامل محلّه، وعليه السيّد الإمام الخمينى والسيّد الگلبايگانى والشيخ الأراكى (۱)، بل إنّ أصحاب الرأى الأوّل يعملون به قبل الذبح أيضاً، ويجعلون عنوان المسألة فيما لو اشترى هدياً ونقد ثمنه بظنّ السلامة ثمّ بان معيباً (۲)، نعم اتفقوا على الاجتزاء فيما لو ذبح هديه بظنّ كونه سميناً ثمّ تبيّن أنّه كان هزيلًا (۳).هذا ما عليه فقهاء الإماميّة، ولم أجد فيما بين يدى من مصادر من تعرّض لهذه المسألة من فقهاء العامّة.

لو اشتراه سالماً ومرض عنده

واختلفت كلمة المعاصرين فيما لو اشترى الحاجّ هديه سالماً ثمّ مرض عنده أو حصل فيه عيب، حيث أفتى السيّد الخوئى بالإجزاء وعدم الاحتياج إلى البدل (۴)، وأفتى السيّد السيستانى بأنّ «فى الاجتزاء به إشكال بل منع، والأحوط أن يذبحه أيضاً ويتصدّق بثمنه لو باعه» (۵) ومفهوم هذه العبارة ذبح

۱- مناسک حجّ با حواشى مراجع: ۳۷۴، آراء المراجع فى الحجّ: ۳۶۵- ۳۶۶.

۲- مناسک الحجّ، السيّد الخوئى: ۱۵۱، مناسک الحجّ، السيّد السيستانى: ۱۹۷.

۳- آراء المراجع فى الحجّ: ۳۶۶، مناسک الحجّ، السيّد السيستانى: ۱۹۸.

۴- مناسک الحجّ: ۱۷۲.

۵- مناسک الحجّ: ۱۹۹.

ص: ٧٠

هدى آخر محلّه.

والمسألـة لـدى فقهاء العامّـة تعنون بعنوان آخر هو: ما لو عطب الهـدى أو تعيّب دون محلّه، قال ابن قدامة فى المغنى: «وإن عطب (۱) تلف من ماله، وإن تعيّب لم يجزئه ذبحه، وعليه الهدى الذى كان واجباً..» (۲).

أحكام الذبح ومسائله

لما كان الذبح من جملة العبادات؛ لذا احتاج إلى النيّة وهى شـرط فى صـحّة العمل، ويجب أن تكون مقارنةً لأوّل العمل ومستمرةً إلى آخره (۳)، بمعنى أن لا يطرأ التردّد فيها.

والذبـح من الأفعـال التى تقبـل النيابـة، والأفضـل أن يتولى الحـاجّ بنفسه ذبـح هـديه، وعلى ذلـك رأى فقهاء الجمهور أيضاً (۴) وإذا استناب شخصاً لذلك فمن المستحب أن يشهد الشخص حالة الذبح، وأن يضع يده على يد النائب الذابح (۵).

ويشترط فى النيابـة أن ينوى الذابـح نيّة الذبح نيابةً عن الأصـيل، ويسـتحبّ الاحتياط من الأصـيل أن ينوى أيضاً، وبعضـهم أفتى بلزوم ذلك عليه (۶).

ويشترط فى الذابح أن يكون مسلماً عند أكثر المعاصرين، فيما أفتى السيّد الإمام الخمينى باشتراط أن يكون مؤمناً أيضاً (۷).

وإذا اسـتناب الحاجّ شـخصاً فى الذبح ثمّ شك فى أنّ النائب ذبح عنه أم لا، بنى على العدم، ومجرّد إخبار النائب بذلك لا يكفى، فلا بدّ للأصيل من علمٍ أو اطمئنانٍ

۱- أى هلك.

۲- المغنى ۳: ۵۵۷.

۳- جواهر الكلام ۱۹: ۱۱۸.

۴- الفقه الإسلامى وأدلّته ۳: ۳۰۹.

۵- المصدر نفسه: ۱۵۷.

۶- مناسك الحجّ، السيّد السيستانى: ۲۰۲، مناسك الحجّ، الإمام الخمينى: ۱۷۵، آراء المراجع فى الحجّ: ۳۶۰، مناسك حجّ با حواشى مراجع: ۳۷۶.

۷- المصدر نفسه: ۳۷۶.

ص: ۷۱

بـأنّ النـائب قـد أدّى ما عليه، والاحتمال فى ذلك لا يكفى، كما هى فتوى السيّد الإمام الخمينى والسيّد السيستانى (۱) وأفتى السيد الخوئى والشيخ التبريزى بأنّ النائب إذا كان ثقة وأخبر بتحقّق الذبح فهو كافٍ (۲).

وعلى النـائب أن يقوم بالذبـح طبقـاً للشـروط والأحكـام المقرّرة، فـإن خالف فى ذلك عمـداً فهو ضامن، وعليه دفع ثمن الهـدى إلى صاحبه، ويجب حينئذ ذبح هدى جديد، وإن كانت مخالفته من جهة الجهل والاشـتباه، فهنا صورتان: فتارةً يكون النائب أجيراً وأخرى متبرعاً بالنيابة عن الأصيل، فإن كان أجيراً فهو ضامن وإن كان متبرعاً بالنيابـة فلا، طبقاً لفتوى السيّد الإمام الخمينى، فيما أفتى السيّد الخوئى والسيّد السيستانى والشيخ التبريزى بالضمان على النائب فى كلتا الصورتين (۳).

مسائل فى الصوم بدل الهدى

مرّ فيمـا سـبق الكلام عن حكم من لا يجـد الهـدى ولا يجـد ثمنه أيضاً، وهو الانتقال إلى الصوم. بقيت فروع كثيرة تتعلّق بهـذا الحكم لابدّ من الإشارة إليها.

منها: أنّه لو كان قادراً على الاقتراض بلا مشقّة وكلفة واجداً لقيمة القرض فى زمن الأداء، وجب عليه الاقتراض والهدى، وكذا لو كان عنـده من مؤن السـفر زائـداً على حـاجته ويتمكّن من بيعه بلا مشـقّة. نعم لا يجب عليه بيع لباسه كائناً ما كان، ولا يجب عليه التكسـب لتحصيل ثمن الهدى، لكنّه لو باع الزائد من لباسه أو تكسّب فحصل على ثمن الهدى وجب عليه الهدى (۴).

ومنها: أنّ صيام الثلاثة أيام فى الحجّ يجب أن تكون متواليةً عند الإمامية،

۱- مناسک حج: ۲۰۲.

۲- مناسک حجّ با حواشی مراجع: ۳۷۷.

۳- المصدر نفسه: ۳۷۸.

۴- مناسک الحجّ، الإمام الخمينى: ۱۵۵.

ص: ۷۲

وعند بعض العامّة، وأكثر العامّة على استحباب الترتيب، إلّافى صورة ما إذا قيل بعدم جواز تأخير صوم شيء من الثلاثة عن يوم عرفة، فصام ابتداءً من يوم السابع، فيصبح التتابع واجباً عليه حينئذ بأن يصوم الثامن والتاسع أيضاً (۱).

وسيأتى أن بعض الإمامية قد احتاط احتياطاً وجوبياً بإيقاع صوم الثلاثة قبل العيد وفى شهر ذى‌الحجّة، ويحرم صيامها فى أيّام التشريق على من كان فى الحجّ وغيره، وإذا انقضى شهر ذى‌الحجّة ولم يصمها، فعليه الذبح فى السنة القادمة فى منى هو أو نائبه، وليس له أن يصومها إلّابعد الإحرام لعمرة التمتّع. ولا يشترط لصيامها قصد الإقامة، بل يجوز له أداؤها فى الطريق إذا لم تحصل له مهلة ثلاثة أيّام فى مكة.

واحتاط السيّد الإمام الخمينى احتياطاً وجوبياً فى أن يتمّ إيقاع صيام هذه الأيّام فى الأيام الثلاثة قبل العيد أى‌السابع والثامن والتاسع، ولو لم يتمكّن من صوم السابع صام الثامن والتاسع وأخّر اليوم الثالث إلى بعد رجوعه من منى وبعد أيّام التشريق، ولو لم يصم الثامن أخّر الصيام إلى بعد الرجوع من منى فصام ثلاثة أيّام متوالية بعد أيّام التشريق (۲) وإذا لم يتمكّن من صيامها بعد الرجوع من منى صامها فى الطريق أو فى بلده قبل انقضاء شهر ذى الحجّة (۳).

واحتاط السيّد السيستانى فى صورة ما إذا لم يتمكّن من صيامها جميعاً قبل العيد احتياطاً وجوبياً بعدم جواز صيام الثامن والتاسع، ويوم آخر بعد الرجوع من منى (۴) فعلى ذلك يلزم أن تقع كلّها قبل العيد أو بعد أيّام التشريق.

ومنها: أنّ صيام السبعة أيام الأخرى فى الوطن يؤتى بها متوالية.

۱- كفاية المحتاج: ۱۴۵- ۱۴۶.

۲- مناسك الحجّ، الإمام الخمينى: ۱۵۵- ۱۵۷.

۳- مناسك الحجّ السيّد السيستانى: ۲۰۱.

۴- مناسك الحجّ السيّد السيستانى: ۲۰۱.

ص: ۷۳

أيضاً احتياطاً وجوبياً عند السيّد الإمام الخمينى، واستحبابياً عند أكثر المعاصرين غيره (۱). وقال أكثر فقهاء الجمهور بالاستحباب خلافاً لبعضهم ممّن قال بالوجوب (۲).

ولا يجوز صيام هذه الأيّام فى مكّة أو فى الطريق إلّالمن نوى الإقامة هناك، فيجوز له صيامها فيها بعد شهر من يوم قصد الإقامة، بل جاز صيامها إذا مضى من يوم القصد مدّة لو رجع وصل إلى وطنه. ولو أقام فى غير مكّة من سائر البلاد أو فى الطريق لا يجوز صيامها، ولو مضى المقدار المتقدم، نعم لا يجب أن يكون الصيام فى بلده، فلو رجع إلى بلده جاز له قصد الإقامة فى مكان آخر لصيامها (۳).

فيما أفتى السيّد الخوئى والسيستانى فى صورة ما إذا أقام بمكّة بأنّ عليه أن يصبر حتى يرجع أصحابه إلى بلدهم أو يمضى شهر ثمّ يصوم بعد ذلك (۴). هذا ما عليه فقهاء الإماميّة.

أمّا فقهاء الجمهور فقال بعضهم: إنّ المراد بالرجوع فى قوله تعالى: وسبعة إذا رجعتم: الرجوع إلى الوطن والأهل. وقال آخرون: بأنّ المراد بالرجوع: الفراغ من الحجّ (۵) وحينئذ يجوز له الصيام فى مكّة بعد الحجّ.

ومنها: إنّ من لم يصم الثلاثة أيّام بعد القدرة عليها حتّى مات، وجب على وليّه قضاؤها، والأحوط عليه أيضاً قضاء السبعة عن أبيه (۶).

۱- مناسک حجّ با حواشى مراجع: ۳۸۱.

۲- کفایة المحتاج: ۱۵۰.

۳- مناسک الحجّ، الإمام الخمینی: ۱۵۷- ۱۵۸.

۴- مناسک الحجّ، السیّد السیستانی: ۲۰۰، مناسک الحجّ، السیّد الخوئی: ۱۷۴.

۵- کفایة المحتاج: ۱۴۶- ۱۴۷.

۶- مناسک الحجّ، الإمام الخمینی: ۱۵۸.

ص: ۷۴

من أخلاق الحجّ

السيد عادل العلوى

أهمية الإخلاص:

قال اللَّه تعالى فى كتابه الكريم وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (۱)

لقد خلق اللَّه الإنسان فى أحسن تقويم، وتمدّح بخلقه فى قوله تعالى: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (۲)

وركّبه من سرّ وعلن وروح وبدن. بدنه من تراب وروحه من أمر ربّه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى (۳)

فأودعه أسرار خلقه، جرمه صغير ولكن انطوى فيه العالم الأكبر، فدنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، فعلّمه الأسماء الحُسنى وفهّمه البيان الأتمّ، وأناله بخضوعه وعبوديته له سبحانه المقام الشامخ، فإنّ العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة، وأنطقه بأقواله سبحانه، ومن أصدق من اللَّه قيلًا، وأصبغه بصبغته، ومن أحسن من اللَّه صبغة، وهداه النجدين: نجد الخير ونجد الشر، وجعله مختاراً فى سلوك الطريقين، إمّا شاكراً وإمّا كفوراً.

۱- البيّنة: ۵.

۲- المؤمنون: ۱۴.

۳- الحجر: ۲۹.

ص: ۷۵

وخلق لروحه وبدنه منافيات وملائمات وآلاماً ولذّات ومنجيات ومهلكات، فمنافيات البدن الأمراض والأسقام الجسمانية، وملائماته الصحّة واللذات الجسمانية، والمتكفّل ببيان تفاصيل هذه الأمراض وكيفية علاجها هو علم الطب، ومنافيات الروح والآمه هى رذائل الأخلاق وذمائمها التى تهلكه وتشقيه، وتودى به إلى أسفل السافلين ترديه وتهويه، فيكون كالأنعام بل أضلّ سبيلًا، وقلبه كالحجارة بل أشدّ قسوةً، وصحّة الروح رجوعها إلى فضائل الأخلاق ومحامدها، التى تنجيه وتسعده فى الدارين، وتأخذ بيديه إلى مجاورة أهل الحق عند مليك مقتدر فى مقعد صدق،... هذا وأنّ المُتكفّل لبيان هذه الصفات الأخلاقية ومعالجة رذائلها هو (علم الأخلاق).

وإنّما بعث اللّه رسوله خاتم النبيين محمّداً صلى الله عليه و آله ليتمّم مكارم الأخلاق، وقد مدحه ربّه فى قوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم (١)

وقد أقسم فى سورة الشمس بأحد عشر قسماً أنّه قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا حتى قيل أوجب الواجبات الأخلاق الحسنة والمحمودة.

ثمّ البدن مادىّ فانٍ، وكل من على الأرض فانٍ، والروح مجرد باق، وإذا اتّصفت النفس بشرائف الأخلاق كانت منعّمة فى السعادة الأبدية، وإن اتّصفت برذائها كانت فى الشقوة والعذاب مخلّدةً.

فعلى المرء الواعى أن يهذّب نفسه ويزكّى أخلاقه ويعالج أمراضه قبل فوات الأوان، كما أنّ المريض ينبغى له أن يُعالج بدنه وصحته، وكل شىء إنّما يعالج بضدّه، فإنّ علاج اليابس بالرطب والرطب باليابس والحار بالبارد والبارد بالحار، وهكذا أمراض الأخلاق، فإنّه يعالج مرض الجهل بالعلم، والبخل بالسخاء، والكبر بالتواضع، ومرض الشرّه بالكفّ عن الشهوات، ومرض الرياء

١- القلم: ۴.

ص: ۷۶

بالإخلاص. وإن كان يستلزم ذلك التكلّف والمرارة، فإنّه من أراد أن يُعالج مرض بدنه عليه أن يتحمّل مرارة الدواء وأن يصبر عن المُشتهيات، وكذلك الروح فلابدّ من احتمال مرارة المجاهدة وشدّة الصبر، فإنّه سيّد الأخلاق، فيصبر على فعل الطاعات والعبادات وترك المعاصى والآثام، ليداوى بالصبر أمراض القلوب، وإنَّ علاجها أولى من علاج الأبدان، فإنَّ مرض البدن يخلص الإنسان منه بالموت، ولكن مرض الروح- والعياذ باللَّه- يدوم بعد الموت أبداً، فالحرىّ بمن يخاف على نفسه وقلبه وروحه أن يباشر المعالجة قبل الموت، فإنّه سيندم يوم لا ينفعه الندم.

ثمّ أصل تهذيب النفس وتزكيتها أن يقف الإنسان على حقيقة نفسه ويرى عيوبها ومهلكاتها، فمن كملت بصيرته وتمّت حذاقته، لم تخف عليه عيوبه. ومن عرف الأمراض والعيوب يسهل عليه التداوى والتخلّص منها. وأكثر الناس جهلوا عيوب أنفسهم، ويرون القذى فى أعين الآخرين، ولا يرون الجزع فى عيونهم.

فلابدّ من الاعتدال والحكمة بلا افراط ولا تفريط، بل خير الامور أوسطها، فإنّ الاعتدال فى الأخلاق هو صحّة القلب والنفس والروح، والميل والانحراف عن حدّ الاعتدال فهو المرض والسقم الذى يخاف منه، فعلاج النفس بمحو الرذائل والأخلاق الذميمة عن النفس، وكسبها الفضائل والأخلاق الحميدة، ثمّ بعد تخلية القلب من الأهواء والأمراض النفسيّة وتحليته بالأخلاق الفاضلة، ثمّ يسعى من أجل تجليتها وصيقلتها حتى تكون كالمرآة تنطبع فيها أسرار اللَّه وكونه، وإنّ امور الناس ترجع إلى ربهم كما رجوع الإنسان إليه، فهو الكمال المطلق ومطلق الكمال المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجمالية والجلالية بلا نهاية ولا بداية، فهو الأوّل وهو الآخر.

ثمّ الغالب على أصل المزاج البدنى هو الاعتدال، وإنّما تعتريه العلل المغيرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال، وكذلك الروح فكلّ مولود يولد على الفطرة المعتدلة الصحيحة، وإنّما أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، وإنّما المحيط

ص: ۷۷

والتربية والتعلّم والتعوّد لها الأثر البالغ فى اكتساب الإنسان الرذائل والآثام.

ولمّا كان البدن فى ابتداء خلقه لم يخلق كاملًا، وإنّما ينمو ويكمل وتقوى القوى بالنشوء والتربية بالغذاء والماء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، إلّاأنّها قابلة للتكامل المنشود فى جبلته، والذى خُلق من أجله، ليصل بجهده وجهاده إلى كماله وأن يكون مظهراً لأسماء اللَّه وصفاته.

وإنّما تكتمل النفس بالتزكية وتهذيب الأخلاق وتغذيتها بالعلم النافع والعمل الصالح والإيمان الراسخ. وإذا كان البدن صحيحاً، فشأن الطبيب حينئذٍ تمهيد القانون وبيانه الحافظ للصحة، وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحّة إليه، فكذلك النفس، فإن كانت سليمة وزكية ومهذّبة الأخلاق، فينبغى السعى من أجل حفظها وسلامة صحّتها وبقائها واكتساب زيادة صفائها وجلائها، وإن كانت عديمة الكمال فاقدة للصفاء الروحى، فينبغى الجهد المتواصل لجلب الصحّة النفسيّة إليها.

هذا ومن أمراض القلب الخطرة جداً هو الرياء فى النوايا والعمل، فإنّه كدبيب نملة سوداء فى ليلة ظلماء على صخرة صلداء فمن يحسّ بدبيبها؟

ويُقابل الرياء الإخلاص، والأعمال بالنيّات- كما ورد فى الخبر- ولكل امرئ ما نوى، والنيّة من عمل الجوانح وهو القصد القلبى نحو العمل المقصود إتيانه والمنشود فعله. ولو كانت النيّة خالصة للَّهسبحانه فإنّها توجب قبول الأعمال، فإنّ الكلم الطيّب- وهو الذى فيه الإخلاص كما ورد فى الأثر- يصعد إلى اللَّه سبحانه، وإنّما يتقبّل اللَّه من المُتّقين، والإخلاص أساس التّقوى.

وإنّ الشيطان الرّجيم عدوّ الإنسان قد قعد له هو وأعوانه وحزبه بالمرصاد، ليضلّ الناس ويغويهم قَالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمخْلَصِينَ (۱)

۱- سورة ص: ۸۲- ۸۳.

ص: ۷۸

وقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «طوبی للمُخلصین أولئک مصابیح الهُدی وتنجلی عنهم کلّ فتنهٔ ظلماء!» (۱).

وقال صلی الله علیه و آله: «العُلماء کلّهم هلکی إلّاالعاملون، والعاملون کلّهم هلکی، إلّا المخلصون والمخلصون علی خطر».

وقال صلی الله علیه و آله: «إذا عملت عملًا فاعمل للَّهخالصاً لأنّه لا یقبل من عباده الأعمال إلّاما کان خالصاً».

وقال صلی الله علیه و آله: «لیست الصلاهٔ قیامک وقعودک، إنّما الصلاهٔ إخلاصک، وإن تُرید بها وجه اللَّه».

وقال أمیر المؤمنین علی علیه السلام: «العمل کلّه هباء إلّاما اخلص فیه».

وقال علیه السلام: «ضاع من کان له مقصد غیر اللَّه».

وقال الإمام الصادق علیه السلام: «ولابدّ للعبد من خالص النیّهٔ».

وقال اللَّه تعالی عن لسان نبیّه: قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّینَ* وَأُمِرْتُ لأَنْ أَکُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِینَ (۲).

وقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «إنّ لکلّ حقّ حقیقهٔ، وما بلغ عبد حقیقهٔ الإخلاص حتی لا یحبّ أن یحمد علی شی ء من عمل للَّه».

وقال صلی الله علیه و آله فی حدیث: «أمّا علامهٔ الُمخلص، فأربعهٔ: یسلم قلبه وتسلم جوارحه وبذل خیره وکفّ شرّه».

وعن أمیر المؤمنین علی علیه السلام قال: «مَن لم یختلف سرّه وعلانیته وفعله ومقالته، فقد أدّی الأمانهٔ وأخلص العبادهٔ».

قال أبو حامد الغزالی فی إحیاء العلوم فی بیان حقیقهٔ الإخلاص- بعد أن ذکر

۱- کنز العمّال خ ۵۲۶۸- الدر المنثور ۲: ۲۳۷.

۲- الزمر: ۱۱- ۱۲.

ص: ۷۹

أقوال المشايخ فيها-: الأقاويل فى هذا كثيرة ولا فائدة فى تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة، وإنّما البيان الشافى بيان سيّد الأوّلين والآخرين، إذا سُئل عن الإخلاص فقال: (هو أن يقول ربّى اللَّه ثم يستقيم كما امرت) أى لا تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلّا ربّك وتستقيم فى عبادته كما أمرك- إياك نعبد وإيّاك نستعين- وهذه إشارة إلى قطع كلّ ما سوى اللَّه عزّوجل من مجرى النظر وهو الإخلاص حقّاً.

ثمّ من آثار الإخلاص فى حياتنا الفرديّة والاجتماعيّة، وفى العلميّة والعمليّة، هو تفجّر ينابيع الحكمة وجريانها من قلب الُمخلص على لسانه.

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «قال اللَّه عزّوجل: لا- أطّلع على قلب عبد فأعلم منه حبّ الإخلاص لطاعتى لوجهى وابتغاء مرضاتى إلّاتوليت تقويمه وسياسته».

وقال أمير المؤمنين على عليه السلام: «غاية الإخلاص الخلاص. والُمخلص حرىّ بالإجابة، وعند تحقّق الإخلاص تستنير البصائر، وبالإخلاص تُرفع الأعمال، وفى إخلاص النيّات نجاح الامور، ومن أخلص بلغ الآمال، أخلص تنل».

حرىّ أن نكتب هذه الكلمات بأقلام من نور على وجنات الحور، فما أروع قوله عليه السلام: أخلص تنل. كلمتان فقط، ولكن فيها ما فيها من الأسرار والحِكَم والحقائق، فإنّ الإنسان إنّما ينال ما ينال بالإخلاص.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمن ليخشع له كلّ شىء، ويهابه كلّ شىء، ثمّ قال: إذا كان مخلصاً للَّهأخاف اللَّه منه كلّ شىء حتى هوام الأرض وسباعها وطير السماء».

ثمّ يا هذا هل بعد الإخلاص من مقصود ومنشود؟

وقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «ما بين الحقّ والباطل إلّاقلّة العقل- أى من يختار الباطل فهذا من قلّة عقله- قيل وكيف ذلك ياابن رسول اللَّه؟ قال: إنّ العبد يعمل الذى هو للَّهرضىً فيريد به غير اللَّه، فلو أنّه أخلص للَّه، لجاءَه الذى يريد

ص: ۸۰

فی أسرع من ذلک» (۱)

.

هـذا فی الإخلاـص الـذی هو من جنود العقـل، ویقـابله الریـاء، الـذی هو من جنود الجهل، وقـد قال اللَّه تعالی فی محکم کتابه ومبرم خطابه: وَلَا تَکُونُوا کَالَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَیَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ (۲)

.

قـال رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله «لاـبن مسـعود: یـابن مسـعود إیّاک وأن تظهر من نفسک الخشوع والتواضع للآدمیین. وأنت فیما بینک وبین ربّک مصرّ علی المعاصی والذنوب، یقول اللَّه تعالی: یعلم خائنهٔ الأعین وما تخفی الصدور».

وقال: «أشدّ الناس عذاباً یوم القیامهٔ من یری الناس أنّ فیه خیراً ولا خیر فیه» (۳)

.

قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام: «المرآئی ظاهره جمیل وباطنه علیل».

وقال الإمام الصادق علیه السلام: «إیّاک والریاء فإنّه من عمل لغیر اللَّه وکّله اللَّه إلی من عمل له».

وعن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: إنّ الملک لیصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته یقول اللَّه عزّوجل: اجعلوها فی سجّین إنّه لیس إیای أراد به.

وفی حدیث آخر: تصـعد الحفظهٔ بعمل العبد مبتهجاً به، فیطأُون الحجب کلّها حتی یقوموا بین یدی اللَّه فیشهدوا له بعمل صالح ودعاء فیقول اللَّه تعالی: أنتم حفظهٔ عمل عبدی، وأنا رقیب علی ما فی نفسه، إنّه لم یردنی بهذا العمل علیه لعنتی.

وقـال صـلی الله علیه و آله: «إنّ المرائی یُنـادی یوم القیامـهٔ: یـا فاجر یا غادر یا مرائی، ضلّ عملک وبطل أجرک، اذهب فخـذ أجرک ممّن کنت تعمل له».

۱- الروایات التی ذکرتها إنّما نقلتها من کتاب میزان الحکمهٔ المجلد الثالث، فراجع.

۲- الأنفال: ۴۷.

۳- کنز العمال: ح ۷۴۸۵.

ص: ۸۱

وقال الصادق عليه السلام: «ما على العبد إذا عرفه اللَّه ألّايعرفه الناس؟ إنّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل للَّه كان ثوابه على اللَّه وإن كلّ رياء شرك».

قال اللَّه عزّوجل كما فى حديث قدسى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملًا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء فهو للذى أشرك».

وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إنّ اللَّه تعالى لا يقبل عملًا فيه مثقال ذرّة من رئاء».

وقال: يابن مسعود: إذا عملت عملًا من البرّ وأنت تريد بذلك غير اللَّه، فلا ترج بذلك منه ثواباً، فإنّه يقول: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً.

وعن شداد بن أوس قال: رأيت النبى صلى الله عليه و آله يبكى، فقلت: يا رسول اللَّه ما يبكيك؟ فقال: «إنى تخوّفت على أُمّتى الشرك أما إنّهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولكنهم يراءون بأعمالهم».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «يُجاء بعبد يوم القيامة قد صلّى فيقول: يا ربّ صلّيت ابتغاء وجهك، فيقال له: بل صلّيت ليُقال ما أحسن صلاة فلان اذهبوا به إلى النار».

ولكلّ شىء علامة، وقد جاء فى علامة المرائى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أمّا علامة المرائى فأربعة: يحرص فى العمل للَّهإذا كان عنده أحد، ويكسل إذا كان وحده، ويحرص فى كلّ أمره على المحمدة، ويحسن سمته بجهده».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الإبقاء على العمل أشدّ من العمل». قال الراوى وما الإبقاء على العمل؟ قال: يَصلَ الرجل بصلة، وينفق نفقة للَّهوحده لا شريك له، فتكتب له سرّاً، ثمّ يذكرها فتمحى فتكتب له علانية، ثمّ يذكرها فتمحى وتكتب له رياء».

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى وصف المؤمن: «لا يعمل شيئاً من الخير رياءً ولا يتركه حياءً».

ص: ٨٢

وفى غرر الحكم عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كلّ حسنهٔ لا يُراد بها وجه اللّه تعالى، فعليها قبح الرياء وثمرها قبح الجزاء».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما كان من الصدقهٔ والصلاهٔ والصوم وأعمال البرّ كلّها تطوّعاً فأفضلها ما كان سرّاً، وما كان من ذلك واجباً مفروضاً فأفضله أن يعلن به» (١).

فالرياء حرام والمرائى عند اللَّه سبحانه ممقوت ومغضوب عليه وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار كما ذكرنا.

هذا غيض من فيض فى أخبار الإخلاص والرياء وبيان حدودهما، وما يترتب عليهما من الآثار فى الدنيا والآخرهٔ.

وبعد هذه الوقفهٔ العاجلهٔ فى رحاب عظمهٔ الأخلاق الإسلامية ودورها البالغ فى حياهٔ المسلم الرسالى، وبعد عرض موجز عن الإخلاص والرياء، وإنّما منشؤهما ومحطّهما هو القلب، فإنّه العالم باللَّه وهو العامل للَّه، والساعى والمخلص والمتقرب إليه، وهو الكاشف بما عند اللَّه ولديه، وإنّما الجوارح أتباع له وخَدَم والآت يستخدمها القلب كاستخدام الراعى للرعيّهٔ، فهو المقبول عند اللَّه إذا سلم من غير اللَّه، وهو المحجوب عنه إذا صار مستغرقاً بغير اللَّه، فهو الُمخاطب وهو المُطالب وهو المُثاب والمُعاقب، فيفلح الإنسان إذا زكّاه ويشقى ويخيب إذا دَنّسهُ ودسّاه، وهو المطيع للَّهبالحقيقهٔ، وإنّما الذى يظهر على الجوارح الظاهرية من العبادات أنواره، فهو سلطان البدن، وهو العاصى المتمرّد على اللَّه، وإنّما السارى على الأعضاء من الفواحش آثاره وبظلمانيته ونورانيته تتجلّى المحاسن الظاهرية ومساويها، فإنّ كل إناء بما فيه ينضح، وهو الذى إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربّه، فتارهً يهوى إلى أسفل السافلين ويكون كالأنعام بل

١- نقلنا الروايات من ميزان الحكمهٔ ۴: ٢٢ فراجع.

ص: ۸۳

أضلّ سبيلًا، واخرى يصعد إلى أعلى عليين، ويرتقى إلى عالم الملائكة المقرّبين، ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه، ويترصّد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه ومنه، فهو ممّن قال اللّه تعالى فيه: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (۱)

. فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس السالكين، فلا تغفل

فلابدّ للمؤمن أن يخلص فى نواياه وأعماله وحركاته وسكناته، حتى يلقى اللّه وليس فى قلبه سواه وذلك هو القلب السليم، الذى ينفع فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

الإخلاص فى الحجّ:

بعد هذه الكلمة الموجزة لأهمية الإخلاص فى أعمالنا وعباداتنا، نأتى لنبيّن أهمية الإخلاص فى فريضة الحج بشكل موجز، فالحاج سواء أكان مؤمناً أم مؤمنةً لابدّ له من الإخلاص فى مناسكه وحجه وعمرته... فإن الحجّ من فروع الدين ومن العبادات وشرطها الأوّل النيّة الخالصة متقرّباً إلى اللّه سبحانه وتعالى.

الحجّ من العبادات الدينية والسياسيّة والاجتماعية ذات المفاهيم القيّمة، روحياً وبدنيّاً، فرديّاً واجتماعياً، فى جميع جوانب الحياة مع العبادة والاقتصاد والسياسة والثقافة والحضارة والاخوّة الإسلامية وغير ذلك.

ويكفى فى شرافة الحجّ ومقامه الشامخ فى الدين الإسلامى الحنيف، أنّه أحد الأركان التى بُنى عليها الإسلام، فهو من الاسس الأوّلية التى يعلو عليها الإسلام العظيم، وتتجلّى فيه روح المحبّة والاخوّة والصفاء وحكومة الروحانيات على الماديّات، وكل مسلم متحمّس لدينه يرى فى حجّه وعمرته، أنّ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وأنّ هذا الدين القيّم لو تمسك به أهله حقّ التمسّك وطبّقوه فى كل زوايا

۱- الحشر: ۱۹.

ص: ۸۴

حياتهم لحكم العالم ولرفرفت راياته على ربوع الأرض ولو كره المشركون.

فإنّ الإنسان الضائع والبشرية التائهة، تجد انشودتها وسعادتها فى هذا الدين، فهو يتكفّل سعادة الإنسان فى دارى الدنيا والآخرة.

فالحجّ يمثّل بوضوح عزّ الإسلام وبقاءه وسلطانه وكرامة المسلمين وشرفهم، فليس لُامّة وملّة من الامم والملل مثل هذا المؤتمر العالمى العظيم والمشهد السنوى الكبير الحافل بالخيرات والبركات؛ ليشهدوا منافع لهم، ليجتمع فيه المسلمون من شرق الأرض وغربها على اختلاف جنسيّاتهم وطوائفهم وأشكالهم وألوانهم ولغاتهم، ولا يتميز غنيّهم عن فقيرهم ورئيسهم عن مرؤوسهم، كل واحد منهم اتزر برداء وارتدى بآخر؛ ليلبّى دعوة اللَّه التى يدوى صداها عبر الأحقاب والأجيال من شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام فى قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (۱)

.

فالحج فلاح وصلاح، وقد أفلح من أقامه ورفع بنيانه كما أمر الشارع به، وإنّما ركّز القرآن الكريم ورسول اللَّه الأعظم صلى الله عليه و آله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على الحجّ؛ لما فيه من المغزى والمعنى الملكوتى، وأنّه يحتوى على كثير من العبادات والفضائل الأخلاقيّة والخير والإحسان الاجتماعى والثواب الأخروى، فإنّه من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين فيه.

قالالنبىّ صلى الله عليه و آله: «منمات ولميحجّ، فليمتإنشاء يهوديّاً، وإنشاء نصرانيّاً» (۲).

فالحجّ نقلة اجتماعية ورحلة جماهيريّة يتّجه فيها الناس من كل صوب ومكان لأداء فريضة إلهيّة واجبة، فى مكان مقدّس واحد هو أشرف بقاع الأرض مكّة المكّرمة، وفى زمان واحد من الأشهر الحرم وهو ذو الحجّة المبارك، ليمارسوا

۱- الحج: ۲۷.

۲- تفسير ابن كثير ۱: ۳۸۶.

ص: ۸۵

شعائر موحّدة ومناسك دينيّة وطقوساً خاصّة، تجرّد الإنسان عن عالم الماديّات، وتحلّق بروحه إلى عالم ملكوتی وروحانی، بلا نهاية إلى الرفيق الأعلى قاب قوسين أو أدنى.

ولكن نوايا الناس مختلفة، والإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره وأستاره، فقد روی فی خبر من طريق أهل البيت عليهم السلام «إذا كان آخر الزمان، خرج الناس للحجّ أربعة أصناف: سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقرّاؤهم للسمّعة» (۱)

.

فليس كلّ من حجّ بيت اللَّه الحرام نال الكمال وبلغ العُلى، بل بشرطها وشروطها والإخلاص أوّل شروطها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الحجّ حجّان: حجّ للَّهوحجّ للناس، فمن حجّ للَّه كان ثوابه على اللَّه الجنّة، ومن حجّ للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة» (۲).

ولا يخفى من يدخل الجنّة فهو من السعداء لقوله تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا (۳)

.

فمن كان سعيداً فی حجّه، إنّما يخلص للَّهفی مناسكه ويبتغي وجه اللَّه فی أعماله، ومن عمل للناس فقد خسر الدنيا والآخرة، فإنّ الدنيا الدنيّة دار ممر، وأهل الدنيا لا وفاء لهم، وفی الآخرة كلّ ينادی وانفساه، وكل يفرّ من أخيه وصاحبته وبنيه وعشيرته التی كانت فی الدنيا تؤيه. فمن الحماقة وقلّة العقل أن يعمل الإنسان لغير اللَّه سبحانه، كما ورد فی الخبر الذی مرّ.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من حجّ يريد به اللَّه ولا يريد به رياءً وسمعةً،

۱- المحجة البيضاء ۲: ۱۸۹ أخرجه الخطيب البغدادی فی تأريخه، ورواه أبو عثمان الصابونی فی كتاب المائتين بلفظ آخر كما فی المغنی.

۲- من كتاب ميزان الحكمة ۲: ۲۷۶.

۳- هود: ۱۰۸.

ص: ۸۶

غفر اللَّه له البتّة (۱)

- أي قطعاً-».

فمن حجّ ليُنادي في المجتمعات والنوادي: يا حاج فلان ويا حاجّة فلانة، وليفخر على الآخرين ويتطاول عليهم، لم يصبه من حجّه إلّاالتعب والنّصب، والأعمال العباديّة تبطل بالرياء، فيجب إعادتها وقضاؤها حينئذٍ. فهل بعد هذا إلّا الإخلاص في النوايا والعمل؟!

ختامه مسك:

ولنختم الموضوع بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في أسرار الحجّ ودقائقه وعلّو معانيه وسموّ مفاهيمه.

روى في مصباح الشريعة عنه صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده الطاهرين أنّه قال: «إذا أردت الحجّ، فجرّد قلبك للَّه‌تعالى من كلّ شاغل وحجاب كلّ حاجب، وفوّض أُمورك كلّها إلى خالقك، وتوكّل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك وسكناتك، وسلّم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوّتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدوّاً ووبالًا، فإنّ من ادّعى رضا اللَّه واعتمد على ما سواه، صيّره عليه وبالًا وعدوّاً؛ ليعلم أنّه ليس له قوّة وحيلة، ولا لأحد إلّابعصمة اللَّه وتوفيقه.

فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض اللَّه وسنن نبيّه صلى الله عليه و آله، وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة، وإيثار الزاد على دوام الأوقات، ثمّ اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع، وأحرم من كلّ شيء يمنعك عن ذكر اللَّه ويحجبك عن طاعته، ولبِّ بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة

۱- من كتاب ميزان الحكمة ۲: ۲۷۶.

ص: ۸۷

زاكيـة للّهتعالى فى دعوتك، متمسـكاً بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكـة حول العرش كطوافك مع المسـلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرولـة من هواك، وتبرّأ من حولـك وقوّتـك، واخرج من غفلتـك وزلّاتـك بخروجك إلى منى، ولا تتمنّ ما لا يحلّ لك ولا تسـتحقّه، واعترف بالخطايا بعرفات، وجـدّد عهـدك عنـد اللّه تعالى بوحدانيته، وتقرّب إليه، واتّقه بمزدلفة، واصـعد بروحك إلى الملإ الأعلى بصـعودك على الجبل، واذبـح حنجرة الهوى والطمع عنـد الذبيحة، وارم الشـهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمى الجمرات، وأحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك، وادخل فى أمان اللّه وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم، ودُر حول البيت متحققـاً لتعظيم صـاحبه ومعرفـة جلالـه وسـلطانه، واسـتلم الحجر رضـا بقسـمته وخضوعـاً لعزّته، وودّع ما سواه بطواف الوداع، واصف روحك وسرّك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصـفا، وكن بمرأىً من اللّه نقيّاً أوصافك عند المَروة، واستقم على شـرط حجّتك هذه، ووفاء عهدك الذى عاهدت به مع ربّك، وأوجبته له إلى يوم القيامة، واعلم بأنّ اللّه تعالى لم يفرض الحجّ، ولم يخصّه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (١)

. ولاـ شـرع نبيّه سُنّةً من خلالـ المناسك على ترتيب ما شـرعه، إلّاللاسـتعانة والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامـة، وفضل بيان السبق من الدخول فى الجنّة أهلها، ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحجّ من أولها إلى آخرها لأولى الألباب وأولى النهى (٢).

انتهى كلامـه صـلوات اللّه عليه وسـلامه، واغتنموا الفرص يـا ضـيوف الرّحمن ويـا حجّاج بيت اللّه الحرام، وإنّما يتقبّل اللّه من المُتّقين الُمخلصين.

١- آل عمران: ٩٧.

٢- المحجّة البيضاء ٢: ٢٠٧.

ص: ۸۸

قاعدة التقية و فقه الحج و الزيارة

قاعدة التقية وفقه الحج والزيارة

حسن محمّد سليمان

تمهيد

بما أن فريضة الحج و زيارة المراقد المقدسة فی مكة والمدينة تعدّ مساحة واسعة لتلاقی أتباع المذاهب الاسلامية المتعددة، ولتماسّ واحتكاك أبنائها بشكل واضح و جلیّ، ونظراً لمايسببه أی تصرف قولًا أو فعلًا مما يستغربه الآخرون، بل مما قد يستنكرونه و يعيبونه و ينهون عنه، وبالتالی قد يقع سبباً للاختلاف والنزاع و الفتن بين أبناء الأمة الواحدة.. إضافة الی مابنيت عليه هذه القاعدة أساساً من دفع الضرر، وما يؤدّی إلی الفساد والنزاع، وهو مايتضح لنا من خلال الحديث عنها وعن أدلتها، وأنّ العقل و الشرع أقرّ هذه القاعدة، فهی إذن قاعدة عقلية شرعية هدفها حفظ النظام بين الناس والتآلف بينهم...

فقد جاءت هذه القاعدة لدرء أی خلاف أو فتنة أو نزاع... و لتضييق الفجوة بين أبناء الأمة الواحدة، إن لم يكن الغاؤها، تمهيداً لإرساء دعائم الوحدة الاسلامية وجعلهافوق كلّ خلاف، سواء أكان علی مستوی الفروع و الأحكام أم الموضوعات و المواقف..، فقاعدة التقية التی طالما أكدها أئمة أهل البيت و بيّنوا دورها الواسع، فيما راحوا من جهة أخری يؤكّدون علی أتباعهم و مريديهم من

ص: ۸۹

شيعتهم الالتزام بها فى تلك المواقع و الأماكن، بل جعلوا مخالفتها فى بعض الأمور مبطلة لأصل العمل، إضافة الى ما يترتب على ذلك من إثم... حفظاً للوحدة بين المسلمين. وأنّ الوحدة أهم بكثير من إظهار فرع من الفروع، أو معتقد من المعتقدات؛ حتى وإن كان حقاً لا ريب فيه.

ولا- يعنى هذا عدم السماح بأن يظهر الانسان الشيعى معتقده وآراءه للآخرين، ويدعو لها، بل له أن يدعو لآرائه و أفكاره بشرط الحكمة والموعظة الحسنة، وبعيداً عن الإثارة والتعصب، وكلّ ما من شأنه خلق الانفعالات و الاختلافات وما يسيئ الى وحدة الصف، التى هى أهم من كلّ شىء.

لقد وجدت أنّ هذه القاعدة، المعروفة من بين كثير من القواعد الفقهية، التى يعتمدها الفقهاء فى أحكامهم و فتاواهم، وجدت هذه القاعدة تتجلّى فيما يخصّ فريضة الحج، بل و التواجد المستمر فى البقاع المقدسة، سواء لأداء الحج فرضاً أو استحباباً، أو العمرة وزيارة النبى صلى الله عليه و آله و البقاع المقدسة الأخرى للأئمة عليهم السلام...

ولهذه القاعدة دور مهم فى كلّ مايصدر من الفقهاء سواءً أكان أحكاماً وفتاوى، أم فى تحديد مواقف الشيعة و آرائهم... التى لابد من أن تنبثق من هذه القاعدة، وتصدر على ضوئها؛ لما يترتب على ذلك كله من أهداف كبرى و غايات نبيلة تصب فى صالح الاسلام و المسلمين...

فهذا الذى جعلنى أفرد لهذه القاعدة بحثاً خاصاً يتصف بالاختصار، بحثاً يتناول معناها وأدلتهاو مصاديقها الخاصة، وبعض الأمور التى تتعلق بها...

فمصاديق هذه القاعدة، يمكن أن تقع فى نواح أخرى وأماكن غير الحجاز، إلّا أنّ مصاديقها كثرت فى هذه الأمكنة، لخصوصياتها الكثيرة ولأنها الملتقى العام لأبناء المذاهب الاسلامية، ومحل ابتلاء أبناء الطائفة الشيعية بالخصوص، ولأنّ الحج هوالمحك الذى يطّلع من خلاله اتباع كلّ مذهب على ما عند المذهب الآخر

ص: ۹۰

من أعمال يتفرد بها، وأمور يختص بها و آراء يدافع عنها ومواقف يتمسك بها...

قد لا تروق للطرف الآخر أو لأكثرية المسلمين... ممّا قد يخلق الإعلان عنها والتجاهر بها حالة من التنفر والفرقة، بل قد تؤدى الى أمور أخرى عواقبها غير محمودة أبداً.

إنّ من يزعم أنّه لم يجد أسسها فى قرارة نفسه، ولم يعثر عليها فى مطاوى كيانه، فإنه يجدها بمعالمها فى حياته اليومية.

فالتقيّة قبل أن تكون حالةً شرعيةً، التزم بها قوم، واستنكرها عليهم آخرون إمّا جهلًا منهم، وإمّا بغضاً لهم، وإما لدوافع سياسية وأخرى طائفية...

فهى حالة طبيعية فطرية، يعيشها الإنسان بذاته، فى إطار علاقاته مع الآخرين أصدقاء كانوا أو أعداءً...

فجاءت الشريعة المقدسة غير منكرة لها بل مقرّة بها، واضعةً لها أهدافاً عاليةً، ومصالح كبيرةً، على مستوى الفرد والأمّة، وسنّت لها شروطاً وأحكاماً، وحدّدت دائرة عملها، حتى غدت أسلوبَ عملٍ ناجحٍ فى خدمة ديننا الإسلامى والدعوة إليه والدفاع عنه، وباب خلاصٍ يلجه المضطرون، وطريقة لمعايشة الاخوة من أبناء الأمة والطائفة الواحدة، ومداراتهم؛ لحفظ كيان الأمة من الضياع فى فتنٍ لاتنفع إلّاأعداءها، وإبعادها عن كلّ ما يسبب إرباكاً لها وانقساماً لأبنائها طوائف مختلفة، فتكون لقمةً سائغة للمتربصين بها...

فالتقية

تارةً: تأتى مشروعاً واعياً للدعوة إلى اللّه تعالى... ولحفظ الأمة الإسلامية ووحدتها وكيانها العام.

وأخرى: تأتى لحفظ النفوس من أن تزهق، والدماء من أن تراق.

وثالثة: لحفظ الكرامة والأعراض والأموال.

وقد يعيشها المؤمن سنين طويلة طالما أنّ هناك أذًى يخاف وفتنةً تخشى. وقد

ص: ۹۱

یعیشها لحظات، شریطة أن لا یتغیر إیمانه ولا یضعف، بل یزداد صموداً وبقاءً.

إنّها رخصة یستفیدها المؤمن من آیات قرآنیة، وأحادیث نبویة، ومواقف جهادیة... تفضّلت بها السماء علینا، فما علینا إلّاأن نحسن التعامل معها بما یکون دافعاً لنا نحو کدحٍ متواصل للقاء اللّه تعالی ونیل رضاه.

هذا، ولا بدّ لنا من الإشارة إلی أنّ الطائفة الشیعیة استفادت من التقیّة عبر تأریخها، واستخدمتها أکثر من غیرها حتی کادت تختصّ بها. وهذا أمر طبیعی، فإذا ما تتّبع باحث حیاتهم؛ لوجدها تعرّضت إلی ما لم یتعرض له الآخرون، فالمطاردة والتنکیل، والسجون والتعذیب، والتقتیل بأشکاله البشعة، کلّها ممارسات قذرة تلطّخت بها أیدی الطغاة والظالمین، وصبّت علی أبناء هذه الفئة من المسلمین، لا لشیء إلّالأنهم من الموالین للإمام علیٍّ وللعترة النبویة الطاهرة، ولأنهم رفضوا الظلم والظالمین، وامتنعوا من الانصیاع لهم، فکان طبیعیاً أن یضطروا إلی اللجوء إلی هذا الأسلوب، الذی هو طریقة شرعیة للحفاظ علی کیانهم وبقائهم، وبالتالی مواصلة جهادهم...

ولا أظنّ أنّ هناک شخصاً أو جماعةً لاتلوذ بهذا الأسلوب، ولا تلجأ إلیه، إذا ما ابتلوا ببعض ما ابتلیت به الشیعة عبر مسارها الجهادی الطویل...

وإذا ما استطاع الإنسان أن یظهر ما یراه ویعمل به بعیداً عن الأذی والملاحقة... فإنه لایلجأ إلی التقیة، ولا تحبذ له الشریعة بل ولا تجیز له ذلک..

ومع هذا کلّهفإن کلمةالحقّ و التصریح بها یبقی هو الأعظم ثواباً و الأکبر أجراً ...

فلنقف أولًا عند أدلة هذه القاعدة و مصادیقها:

فأدلّة هذه القاعدة قد توزّعت بین آیات قرآنیة، وأخری روائیة، وثالثة حکم العقل؛ وتسالم الفقهاء، ورابعة مواقف و أهداف.

وقبل أن نلج هذه الأدلة؛ لنتبین دلالتها علی ما نحن فیه من صحة هذه القاعدة

ص: ۹۲

وسلامتها، نعرض قلیلًا لمعناها اللغوی و الاصطلاحی، وإلقاء ضوءٍ علی قاعدهٔ التقیهٔ ومرادها وأهمیتها، وسعهٔ دائرتها کما یذهب إلی هذه السعهٔ الإمامیّهٔ بالذات.

*** التقیّهٔ لغهً:

التقیّهٔ مصدر من اتقی یتقی؛ کما قال الفیروز آبادی: اتقیت الشیء، وتقیته أتقیه، وأتقیه تقًی وتقیّهٔ وتقاء ککساء: حذرته. والاسم: التقوی، أصله: تقیا قلبوه؛ للفرق بین الاسم والصفهٔ کخزیاً وصدیاً (۱).

قال الجوهری: والتقاهٔ: التقیّهٔ، یقال: اتقی تقیّهٔ وتقاهٔ، مثل اتخم تخمهٔ (۲).

فیما قال الزبیدی: وقوله تعالی إلّاأن تتّقوا منهم تقاهٔ یجوز أن یکون مصدراً، أو أن یکون جمعاً، والمصدر أجود؛ لأنّ فی القراءهٔ الأخری منهم: تقیّهٔ. التعلیل للفارسی. کذا فی المحکم، وفی التهذیب قرأ حمید تقیّهٔ، وهو وجه، إلّاأنّ الأُولی أشهر (۳). هکذا عن ابن منظور فی اللسان (۴).

قال أبو البقاء العکبری: وأصل تقاهٔ: وقیهٔ، فأبدلت الواو تاءً لانضمامها ضمّاً لازماً، مثل نحاهٔ، وأبدلت الیاء ألفاً لتحرّکها، وانفتاح ما قبلها، وانتصابها علی الحال، ویقرأ: تقیّهٔ ووزنها: فعیلهٔ، والیاء بدل من الواو أیضاً (۵).

التقیهٔ اصطلاحاً:

وأمّا فی الاصطلاح فللفقهاء عبارات مختلفهٔ فی تعاریفها، تتقارب مضامینها.

۱- القاموس المحیط: ۴/ ۴۰۱.

۲- الصحاح: ۶/ ۲۵۲۷.

۳- تاج العروس: ۱۰/ ۳۹۷.

۴- لسان العرب: ۵۱/ ۴۰۲.

۵- أملاء ما من به الرحمن: ۱/ ۱۳۰.

ص: ۹۳

فقد عرّفها الشيخ المفيد بقوله: التقيّة كتمان الحقّ وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً فی الدين والدنيا (۱).

فيما عرفها الشهيد الأوّل بقوله: التقيّة مجاملة الناس بما يعرفون، وترك ما ينكرون حذراً من غوائلهم (۲).

وقال الشيخ الأنصاری فی رسالته فی التقيّة: والمراد هنا التحفّظ عن ضرر الغير بموافقته فی قول أو فعل مخالف للحقّ (۳).

وأما السيّد البجنوردی فقد قال: هی عبارة عن إظهار الموافقة مع الغير فی قول، أو فعل، أو ترک فعل يجب عليه، حذراً من شرّه، الذی يحتمل صدوره بالنسبة إليه، أو بالنسبة إلی من يحبّه مع ثبوت کون ذلک القول، أو ذلک الفعل، أو ذلک الترک مخالفاً للحقّ عنده (۴).

ولا يخفی أنّ هذه التعريفات وإن کان بعضها أوسع من بعض؛ ولکن يجمعها کلّها أنّ التقية موافقة الغير فيما خالف الحقّ، حذراً من شرّه.

أدلة مشروعية التقية

تتوزع أدلة هذه المشروعية بين أدلة قرآنية، وأخری روائية، إضافة إلی حکم العقل، وتسالم الفقهاء.

أولًا: الآيات القرآنية

نکتفی هنا بذکر آيتين فقط؛ لأنهما الأوضح دلالةً علی تشريع التقية مع أسباب نزولهما، لتتضح لنا دلالة کل آية منهما علی المطلب المذکور.

۱- تصحيح الاعتقاد: ۶۶.

۲- القواعد والفوائد: ۲/ ۱۵۵.

۳- رسالة فی التقيّة للشيخ الأنصاری: ۳۷.

۴- القواعد الفقهيّة للسيّد البجنوردی: ۵/ ۴۷.

ص: ۹۴

قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللّه فى شىء إلّاأن تتقوا منهم تقاة ويحذركم اللّه نفسه وإلى اللّه المصير (آل عمران: ۲۸)

سبب النزول:

ذكر جمع من المفسّرين أسباباً متعددة لنزول هذه الآية، ولكن مع تعددها اتفقت على أنّ بعض المسلمين، كانت تربطهم بيهود المدينة علاقات حميمة تتصف بالصفاء والمودة، بل بالولاء لهم، وتقديمهم على المؤمنين...

جاء قوم من اليهود، وكان منهم الحجاج بن عمر حليف كعب الأشرف وابن أبى الحقيق وقيس بن سعد، قد بطنوا (سارّوا وصافّوا) نفراً من الأنصار؛ ليفتنوهم عن دينهم.

قال رفاعة بن المنذر، وعبدالرحمن بن جبير، وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر من المسلمين: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا أن يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلّامباطنتهم ولزومهم. فأنزل اللّه تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين... الآية.

فيما ذهب بعض المفسّرين إلى أنّها نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وغيره، وكانوا يتولون اليهود والمشركين، ويخبرونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول اللّه، أو أنّها نزلت فى عبادة بن الصامت، وكان له حلفاء من اليهود، ففى يوم الأحزاب قال: يا نبىّ اللّه إنّ معى خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معى... (۱).

إذن فالآية، نهت اتباع الرسول صلى الله عليه و آله ومريديه أن يختاروا على المؤمنين بديلًا من الكفار، سواء كانوا أهل كتاب أو غيرهم... فيدلوا لهم بالمودة، ويركنوا اليهم،

۱- انظر: تفسير البحر المحيط ۲: ۴۴۰، التفسير الكبير للرازى ۸: ۱۱.

ص: ۹۵

وينصروهم، ويتولوهم... لما في هـذا كلّه من خطورة على الساحة المؤمنة، وشرخ للحالة الإسلامية، وإضعاف لها، ولما يسببه هذا التقرب من استحسان لهم، والتأثر بهم والرضا بما هم عليه من دين...

ولهذا نتائج سلبية خطيرة على المجتمع المسلم، الذى تريد السماء أن يبقى متماسكاً بتماسك أفراده وبتولى بعضهم والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فجاءت هذه الآية، وغيرها من آيات تحمل نهياً صريحاً، والتى منها لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، يا أيّها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء.

فالآية بعد أن رفضت هذا التولى، وحذّرت منه، وهدّدت فاعليه بالإخراج من ولاية اللّه تعالى، وما يستتبعه من عقوبة صارمة...

وضعت الآية استثناءً للتولى المذكور: إلّاأن تتقوا منهم تقاة فانطلقت مشروعيةالتقية منهذاالمقطع. فلنقف على أقوال بعض المفسّرين فيه من الفريقين.

يقول الطبرسى فى تفسيره لهذه الآية:

والمعنى إلّاأن يكون الكفار غالبين، والمؤمنون مغلوبين، فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم، ولم يحسن العشرة معهم، فعندئذ يجوز له إظهار مودّتهم بلسانه، ومداراتهم تقيّةً منه، ودفعاً عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك...

ثمّ واصل كلامه بقوله: وفى هذه الآية دلالة على أنّ التقية جائزة فى الدين عند الخوف على النفس.

ثمّ أردف قائلًا: وقال أصحابنا: إنّها جائزة فى الأحوال كلّها عند الضرورة، وربما وجبت فيها؛ لضرب من اللطف والاستصلاح، وليس تجوز من الأفعال فى قتل المؤمن، ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنّه استفساد فى الدين (۱).

۱- مجمع البيان للطبرسى فى تفسير الآية.

ص: ۹۶

أما الفخر الرازی فی تفسیره للآیهٔ، فیقول، وهو یعدّد بعض أحکامها:

إنّ التقیهٔ إنّما تکون إذا کان الرجل فی قوم کفار، ویخاف منهم علی نفسه وماله، فیداریهم باللسان، وذلک بأن لا یظهر العداوهٔ باللسان، بل یجوز أیضاً أن یظهر الکلام الموهم للمحبهٔ والموالاهٔ، ولکن بشرط أن یضمر خلافه، وأن یعرض فی کلّ ما یقول، فإنّ التقیهٔ تأثیرها فی الظاهر لا فی أحوال القلوب.

ثمّ ذکر حکماً آخر: وهو أنّه لو أفصح بالإیمان والحقّ حیث یجوز له التقیهٔ، کان ذلک أفضل، ودلیله ما قاله الحسن:

أخذ مسیلمهٔ الکذاب رجلین من أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فقال لأحدهما:

أتشهد أنّ محمداً رسول اللّه؟

قال: نعم.

فقال: أفتشهد أنّی رسول اللّه؟

قال: نعم. وکان مسیلمهٔ یزعم أنّه رسول بنی حنیفهٔ، ومحمّد رسول قریش.

فترکه ودعا الآخر فقال:

أتشهد أنّ محمداً رسول اللّه؟

قال: نعم.

قال: أفتشهد أنّی رسول اللّه؟

فقال: إنّی أصمّ! قالها ثلاثاً.

فقدمه، فقتله.

فبلغ ذلک رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فقال: أما هذا المقتول فمضی علی یقینه وصدقه، فهنیئاً له.

وأما الآخر فقبل رخصهٔ اللّه، فلا تبعهٔ علیه.

ثمّ قال: إنما تجوز فیما یتعلّق بإظهار الموالاهٔ والمعاداهٔ، وقد تجوز أیضاً فیما یتعلّق بإظهار الدین، فأما ما یرجع ضرره إلی الغیر کالقتل والزنا، وغصب

ص: ۹۷

الأموال، والشهادة بالزور، وقذف المحصنات، واطلاع الكفار على عورات المسلمين، فذلك غير جائز البتة.

وبعد هذا ذكر رأى الشافعى، بعد أن قال: ظاهر الآية يدلّ على أنّ التقية إنما تحلّ مع الكفار الغالبين، إلّاأنّ مذهب الشافعى (توسّع فى دائرتها): إنّ الحالة بين المسلمين، إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين، حلّت التقية محاماةً على النفس.

ثمّ راح يبيّن أنّ التقيـة لاـ تـأتى فقـط لحفـظ النفس بـل لحفظ المال أيضاً مسـتدلّا بأقوال رسول اللّه صـلى الله عليه و آله: «حرمـة مال المسلم كحرمة دمه» و «من قتل دون ماله فهو شهيد».

وأخيراً رجّح قول الحسن على قول مجاهد: «هذا الحكم كان ثابتاً أول الإسلام؛ لأجل ضعف المؤمنين، فأما بعد قوة دولة لإسلام فلا».

فيما قال الحسن: «التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة»

يقول الرازى: وهذا القول أولى: لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (۱).

قوله تعالى: من كفر بالله من بعد إيمانه إلّامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من اللّه ولهم عذاب عظيم النحل: ۱۰۶.

سبب النزول:

نزلت هذه الآية فى جماعة من المعذَّبين بمكة وهم: عمّار، وياسر أبوه، وأمّه سمية، وصهيب، وبلال، وخباب، عذّبوا عذاباً شديداً، فأما سمية

۱- التفسير الكبير للرازى: ۸- ۱۳.

ص: ۹۸

فقيل: ربطت بين بعيرين، ووخزت فى قبلها بحربة، وقالوا: إنّك أسلمت من أجل الرجال وقتلت، وقتل ياسر، وهما أول قتيلين قتلا فى الإسلام، وأول شهيدين.

وأما عمّار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً.

فقيل: يا رسول اللّه، إنّ عماراً كفر.

فقال: كلا إنّ عماراً ملئ إيماناً من فرقه إلى قدمه، أو من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه.

فأتى عمار رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو يبكى، فقال صلى الله عليه و آله: ما وراءك؟

فقال: شرّ يا رسول اللّه، ما تُركتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير.

فجعل رسول اللّه صلى الله عليه و آله يمسح عينيه، ويقول: «مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت» وعلى رواية: قال صلى الله عليه و آله له: كيف كان قلبك؟

قال: كان مطمئناً بالايمان... فأنزل اللّه فيه الآية (۱).

فاستثنت الآية من صبّ عليه الإكراه، وكان قلبه ينبض بالإيمان، فنطق كلمة الكفر اتقاءً لشرّهم، وتخلّصاً من عذابهم، لا لشىء غير هذا.

وراح عمار يواصل جهاده المرير حتى قتلته الفئة الباغية، معاوية وجنده، وهو ما أمّله به رسول اللّه صلى الله عليه و آله بقوله: «تقتلك الفئة الباغية»، وقد تجاوز التسعين من عمره.

ولا ريب فى أنّ ظاهر الآيتين المذكورتين، بل صريحهما يدلّ دلالة واضحة على مشروعية التقية وجوازها عند الخوف والاضطرار، وليس حكمها منحصراً بمورد نزولها أو بعصر دون آخر، وإنما حكمها مستمر طالما هناك ضرورة للاستعانة بها، واضطرار لا يدفع إلّابها.

۱- انظر: مجمع البيان للطبرسى، والتفسير الكبير للرازى فى تفسير الآية المذكورة.

ص: ۹۹

وهناك من الآيات ما فيه دلالة على التقية إجمالًا، وهو؛ ما ورد في قصّة مؤمن آل فرعون (۱)، وما فعله أصحاب الكهف (۲)...

ثانياً- الروايات

روايات الإمامية:

هناك روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام إن لم نقل بتواترها معنىً، فقد تجاوزت حدّ الاستفاضة، وقد عقد لها الحرّ العاملي في وسائله أبواباً متعدّدة بلغت ثلاثة عشر باباً ضمّت ۱۲۸ رواية، ذكرت في بعضها كلمة التقية صريحة، فيما ذكر مضمونها في الروايات الأخرى، نذكر قسماً منها من كتاب وسائل الشيعة وغيره:

وقد صرّح في بعض هذه الروايات بأنّه لا دين لمن لا تقيّة له:

قال أبوعبداللّه عليه السلام:... يا معلّى إنّ التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لاتقية له، يا معلّى إنّ اللّه يحبّ أن يعبد في السرّ، كما يحبّ أن يعبد في العلانية، يا معلّى إنّ المذيع لأمرنا كالجاحد به (۳).

وقال عليه السلام لأبي عمر: يا أبا عمر، تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له (۴).

وعن صحيحة زرارة عن أبي عبداللّه عليه السلام: التقية في كلّ شيء يضطر إليه ابن آدم، فقد أحلّه اللّه له.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: لا دين لمن لا تقيّة له، ولا إيمان لمن لا ورع له (۵).

۱- انظر سورة غافر: ۱۳.

۲- انظر سورة الكهف: ۱۹- ۲۰.

۳- المحاسن: ۱/ ۲۵۵ ح ۲۸۶، والكافي: ۲/ ۲۲۴، ووسائل الشيعة ط، آل البيت: ۶۱/ ۲۰۴.

۴- المحاسن: ۱/ ۲۵۹ ح ۳۰۹، والكافي: ۲/ ۲۱۷.

۵- وسائل الشيعة: ۱۶/ ۲۱۰، وصفات الشيعة: ۳/ ۳.

ص: ۱۰۰

وعن الامام على بن موسى الرضا عليهما السلام: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، إن أكرمكم عند اللّه أعملكم بالتقية. فقيل له: يا ابن رسول اللّه إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت، فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا، فليس منّا (۱).

وعن أبى عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: إن التقيّة ترس المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقيّة له.

فقلت له: جعلت فداك، أرأيت قول اللّه تبارك وتعالى: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان»؟

قال: وهل التقيّة إلا هذا؟ (۲).

وعنه أيضاً أنّه قال: التقيّة ترس اللّه بينه وبين خلقه (۳).

وعنه أيضاً كان أبى عليه السلام يقول: وأىّ شىء أقرّ لعينى من التقيّة؟! إن التقيّة جُنّة المؤمن (۴).

وعن عبد الله بن أبى يعفور أنّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: التقيّة ترس المؤمن، والتقيّة حرز المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقيّة له (۵).

وفى بعضها بأنّ التقيّة من دينى ودين آبائى:

وعن معمّر بن خلّاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاة، فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: التقيّة من دينى ودين آبائى، ولا إيمان لمن لا تقيّة له (۶).

وروى الطبرسى عن أبى عبداللّه عليه السلام أنه قال: التقيّة دينى ودين آبائى،

۱- كمال الدين: ۳۷۱ ح ۵.

۲- قرب الإسناد: ۳۵ ح ۱۱۴.

۳- الكافى ۲: ۲۲۰.

۴- الكافى ۲: ۲۲۰.

۵- المصدر نفسه ۲: ۱۷۵ ح ۲۳.

۶- المصدر نفسه ۲: ۱۷۴ ح ۱۲، ووسائل الشيعة ط- آل البيت ۱۶: ۲۰۳ ح ۲۱۳۵۹.

ص: ۱۰۱

ولا دين لمن لا تقيّة له، والتقيّة ترس اللّه فى الأرض؛ لأنّ مؤمن آل فرعون لو أظهر الاسلام لقتل (۱).

وهناك روايات تحمل مضامين أخرى:

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: التقيّة من أفضل أعمال المؤمن، يصون بها نفسه وإخوانه عن الفاجرين (۲).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: مثل مؤمن لا تقيّة له كمثل جسد لا رأس له (۳).

وقال الحسن بن على عليه السلام: إنّ التقيّة يصلح اللّه بها أمّة، لصاحبها مثل ثواب أعمالهم، فإن تركها أهلك أمّة، تاركها شريك مَن أهلَكهم (۴).

وعن الرضا عليه السلام قال: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، وإن أكرمكم عند اللّه أعملكم بالتقية (۵).

ودلالة هذه الأخبار على جواز التقيّة؛ بل على وجوبها فى غاية الوضوح.

ولا يحتاج إلى البيان والإيضاح.

روايات أهل السنة

ولعموم الفرق الإسلامية الأخرى روايات تدلّ دلالةً لا غموض فيها على مشروعية التقية، وصحّة العمل بها، نذكر ما تيسّر لنا منها:

۱- قصة عمار بن ياسر التى صارت سبباً لنزول الآية ۱۰۶ من سورة النحل كما ذكرنا، وقد أطبق المفسّرون وغيرهم على نقلها بعدّة طرق، وإن

۱- مجمع البيان: ۸/ ۵۲۱.

۲- تفسير الإمام العسكرى عليه السلام: ۳۲۰/ ۱۶۳، ووسائل الشيعة ط- آل البيت: ۱۶/ ۲۲۲ ح ۲۱۴۱۱.

۳- تفسير الإمام العسكرى عليه السلام: ۳۲۰/ ۱۶۲. ووسائل الشيعة ط- آل البيت: ۱۶/ ۲۲۲ ح ۲۱۴۱۰.

۴- تفسير الإمام العسكرى عليه السلام: ۳۲۱/ ۱۶۴، ووسائل الشيعة ط- آل البيت: ۱۶/ ۲۲۲ ح ۲۱۴۱۲.

۵- كفاية الاثر: ۲۷۰، ووسائل الشيعة ط- آل البيت: ۱۶/ ۲۱۱ ح ۲۱۳۸۱.

ص: ۱۰۲

اختلفت ألفاظها (۱).

۲- قصة الصحابيين اللذين قتل مسيلمة الكذاب واحداً منهما وأطلق الآخر، وقول رسول اللّه صلى الله عليه و آله فيهما: أما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه...

فهنيئاً له، وأما الآخر فقبل رخصة اللّه... فلا تبعة عليه.

۳- حديث الرفع المشهور بين الخاصة والعامة، والذى استغنى بشهرته عن سنده، فعن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «رفع عن أمتى... وما استكرهوا عليه» (۲).

۴- وعن ابن عباس أنّه قال: هو أن يتكلم بلسانه، وقلبه مطمئن بالايمان، ولا يقتل، ولا يأتى مأثماً (۳).

۵- وعن ابن مسعود: ما كان يدرأ عنى سوطين إلّاكنت متكلماً به (۴).

۶- وبرواية القرطبى والرازى... قال الحسن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة، ولا تقية فى القتل (۵).

ثالثاً: حكم العقل

لا أظنّ أن العقل يوجب على الآخرين إظهار عقائدهم إذا لم تترتّب على ذلك فوائد لهم ولما يعتقدون به، فضلًا عمّا إذا ترتّب ضرر سواء أكان ضرراً مادياً أم معنوياً، علماً بأنّ العقل يوجب درء الضرر وإن كان محتملًا، فكيف إذا كان الضرر متيقناً؟!

وسيرة العقلاء واضحة فى أنّهم يلومون من يعرض نفسه للضرر دون أى

۱- فتح القدير للشوكانى ۳: ۱۹۸، وفتح البارى للعسقلانى ۱۲: ۲۶۲ وغيرهما من مصادر التفسير والرواية.

۲- انظر: الجامع لاحكام القرآن للقرطبى، والتفسير الكبير للرازى وغيرهما فى تفسير الآية ۱۰۶ من سورة النحل.

۳- أحكام القرآن للقرطبى: ۴: ۳۸، والرازى فى تفسيره ۸: ۱۳ طبعة دار إحياء التراث.

۴- المصدر نفسه: ۱: ۱۲۵.

۵- أحكام القرآن للجصاص ۵: ۱۴.

ص: ۱۰۳

فائدة تذكر تعود عليه أو على عقائده أو على من هم من أتباعه ومريديه.

وواضح هنا أنّ دفع الضرر وبالتالى حفظ النفس... أهم بكثير من إظهار المبدا وإن كان حقّاً؛ فتقديم الأهم على المهم حكم عقلى لاريب فيه.

ولا- تغيب عن أذهاننا القاعدة الأخرى وهى: (الضرورات تبيح المحظورات)، وخير مصداق لها هو ما نحن فيه، وهل هناك ضرورة أعظم من درء الفتن عن الأمّة، وحفظ كيانها من التمزّق والضياع، وممّا لا يعود عليها إلّابالضرر ونفع الأعداء؟! وأى خطورة أعظم من ذلك كلّه؟!

رابعا: أقوال الفقهاء من الفريقين:

فأما فقهاء الإمامية، فقد اتفقت آراؤهم على مشروعيتها تبعاً للكتاب والسنة وروايات أهل البيت عليهم السلام...، وقد عرفوا بها وكثرت بحوثهم حول التقية وأدلتها وأحكامها وسعة دائرتها، والدفاع عنها بقوة، فلا- نطيل الكلام بذكر أقوالهم، وقد ذكر بعض منها فى مطاوى البحث.

أقوال علماء أهل السنّة فى التقيّة:

نستعرض أقوال جمع من علمائهم و مفسّريهم؛ لتطّلع عليها، و تستخرج دلالاتها بنفسك، وستجد أنّه ليس هناك فروق بين ما يقولونه وما يقوله علماء الإمامية.

قال القرطبى المتوفّى سنة ۲۷۵ فى جامع البيان، فى تفسير قوله تعالى: إلّاأن تتّقوا منهم تقاةً:

وقيل: إنّ المؤمن إذا كان قائماً بين الكفّار، فله أن يداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه، وقلبه مطمئن بالايمان، والتقيّة لا تحلّ إلّامع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم (۱).

۱- تفسير القرطبى ۴: ۵۷.

ص: ۱۰۴

وقال في موضع آخر من تفسيره: أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل، أنّه لا إثم عليه إن كفر، وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته، ولا يحكم عليه بحكم الكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي (۱).

قال ابن جرير الطبري المتوفّى سنة ۳۱۰ في تفسيره: إلّاأن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل (۲).

وقال في موضع آخر من تفسيره: التقيّة باللسان من حمل على أمر يتكلّم به وهو للّه معصية، فتكلّم مخافةً على نفسه، وقلبه مطمئن بالايمان، فلا إثم عليه، إنما التقيّة باللسان (۳).

قال أحمد بن محمد أبو جعفر النحّاس المتوفّى سنة ۳۳۸، في معاني القرآن:

قال ابن عباس: هو أن يتكلّم بلسانه ولا يقتل ولا يأتي إثماً، ويكون قلبه مطمئناً بالايمان.

وقرأ جابر بن زيد ومجاهد وحميد والضحاك إلّاأن تتّقوا منهم (تقيّة) وقال الضحاك: التقيّة باللسان، والمعنى عند أكثر أهل اللغة واحد، وروى عوف عن الحسن قال: التقيّة جائزة للمسلم الى يوم القيامة، غير أنه لا يجعل في القتل تقيّة (۴).

قال الجصّاص المتوفّى سنة ۳۷۰، في أحكام القرآن: بيان معنى التقيّة

۱- تفسير القرطبي: ۱۰/ ۱۸۲.

۲- جامع البيان: ۳/ ۳۰۹.

۳- المصدر نفسه: ۳/ ۳۱۰.

۴- معاني القرآن: ۱/ ۳۸۲.

ص: ۱۰۵

وحكمهـا، وقوله تعـالى: إلا أن تتقوا منهم تقاة يعنى إن تخافوا تلف النفس، أو بعض الأعضاء، فتتقوهم، أخبرنا بإظهار الموالاة من غير اعتقادٍ لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ، وعليه الجمهور من أهل العلم.

وقـد حـدّثنا عبـد اللَّه بن محمد بن إسـحاق المروزى، قال: حدّثنا الحسن بن أبى الربيع الجرجانى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فى قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

قال: لا يحلّ لمؤمن أن يتّخذ كافراً وليّاً فى دينه.

وقوله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاة إلّاأن تكون بينه وبينه قرابـة فيصـله لـذلك، فجعل التقيّة صـلة لقرابة الكافر، وقد اقتضت الآية جواز إظهـار الكفر عنـد التقيّـة، وهو نظير قوله تعـالى: من كفر باللَّه من بعـد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وإعطاء التقيّـة فى مثل ذلك، إنّما هو رخصة من اللَّه تعالى، وليس بواجب؛ بل ترك التقيّة أفضل.

قال أصحابنا فيمن أكره على الكفر، فلم يفعل حتّى قتل: إنّه أفضل ممّن أظهر.

وقد أخذ المشـركون خبيب بن عدى فلم يعط التقيّة حتى قتل، فكان عند المسـلمين أفضل من عمّار بن ياسـر حين أعطى التقيّة وأظهر الكفر.

فسأل النبى صلى اللَّه عليه وسلم عن ذلك، فقال (لعمار): كيف وجدت قلبك؟

قال: مطمئنّاً بالإيمان.

فقال صلى اللَّه عليه وسلم: وإنعادوا فعد! وكانذلك على وجه الترخيص (۱).

قال ابن الجوزى المتوفّى سـنة ۵۹۷ فى نواسـخ القرآن فى قوله تعـالى: إلّاأن تتقوا منهم تقاة: قـد نسب قوم إلى أنّ المراد بالآيـة اتّقاء المشركين أن يوقعوا فتنة، أو ما يوجب القتل والفرقة، ثمّ نسخ ذلك بآية السيف وليس هذا بشىء، وإنّما المراد

۱- أحكام القرآن: ۲/ ۱۲.

ص: ۱۰۶

من الآيـة جواز اتّقائهم، إذا أكرهوا المؤمن على الكفر بالقول الـذى لا يعتقـده، وهـذا الحكم باقٍ غير منسوخ، وهو المراد بقوله تعالى: إلّامن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان (۱)

.

قال ابن كثير إسماعيل بن عمر المتوفّى سنة ۷۷۴، فى تفسيره: قال ابن عباس:

ليس التقيّة بالعمـل إنمـا التقيّـة باللسـان، وكـذا رواه العوفى عن ابن عبـاس إنّمـا التقيّـة باللسـان، وكـذا قـال أبو العاليـة، وأبو الشـعثاء، والضحاك والربيع بن أنس.

ويؤيّد ما قالوه، قول اللّه تعالى: من كفر باللّه من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان الآية.

وقال البخارى: قال الحسن: التقيّة إلى يوم القيامة (۲).

قال جلال الـدين السـيوطى المتوفّى سـنة ۹۱۱، فى الـدرّ المنثور: إنّمـا التقيّـة باللسـان، وأخرج عبـد بن حميـد وابن جرير وابن المنـذر والحـاكم وصـحّحه والبيهقى فى سـننه من طريق عطـاء عن ابن عباس ألّا أن تتّقوا منهم تقاة قال: التقاة: التكلّم باللسان، والقلب مطمئنّ بالايمان، ولا يبسط يده فيقتل، ولا إلى إثم؛ فإنّه لا عذر له.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، عن مجاهد، إلّاأن تتّقوا منهم تقاة قال: إلّامصانعة فى الدنيا ومخالقة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، عن أبى العالية، فى الآية، قال: التقيّة باللسان وليس بالعمل (۳).

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، عن قتادة،

۱- نواسخ القرآن: ۱۰۴.

۲- تفسير ابن كثير ۱: ۳۶۵.

۳- الدر المنثور ۲: ۱۶، وفتح القدير ۱: ۳۳۲.

ص: ۱۰۷

ألّا أن تتّقوا منهم تقاة، قال: إلّاأن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك (۱).

قال محمد بن إسماعيل الشوكانى المتوفّى سنة ۱۲۵۰، فى فتح القدير: التقيّة باللسان، من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية اللّه، فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان، فإنّ ذلك لا يضرّه؛ إنما التقيّة باللسان (۲).

وقال الآلوسى شهاب الدين أبو الثناء المتوفّى سنة ۱۲۷۰، فى روح المعانى:

وفى الآية دليل على مشروعيّة التقيّة، وعرّفوها بمحافظة النفس، أو العرض، أو المال من شرّ الأعداء، والعدوّ قسمان:

الأوّل: من كانت عداوته مبنيّة على اختلاف الدين كالكافر والمسلم.

والثانى: من كانت عداوته مبنيّة على أغراض دنيويّة كالمال، والمتاع، والملك، والإمارة (۳).

أما المراغى فيقول فى تفسيره: وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقيّة:

بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحقّ؛ لأجل التوقّى من ضرر من الأعداء يعود إلى النفس، أو العرض، أو المال.

فمن نطق بكلمة الكفر مكرهاً؛ وقايةً لنفسه من الهلاك، وقلبه مطمئن بالإيمان، لا يكون كافراً، بل يعذر كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً، وقلبه مطمئن بالإيمان، وفيه نزلت الآية:

من كفر باللّه من بعد إيمانه إلّامن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان

ثمّ قال: ويدخل فى التقيّة مداراة الكَفَرَة، والظلمة، والفسقة، وإلانة الكلام لهم، والتبسّم فى وجوههم، وبذل المال لهم؛ لكفّ أذاهم وصيانة العرض منهم.

ولا يعدّ هذا من الموالاة المنهىّ عنها؛ بل هو مشروع، فقد أخرج الطبرانى

۱- المصدر ۲: ۱۶.

۲- فتح القدير ۱: ۳۳۲.

۳- روح المعانى ۳: ۱۲۱.

ص: ۱۰۸

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: ما وقى به المؤمن عرضه فهو صدقة (۱).

أقسام التقيّة:

إنّ ما ظهر لنا من البحث: أنّ موضوع التقية، هو: أن يكون هناك ضرر، سواء أكان هذا الضرر بما يعبر عنه بالضرر الشخصى، وهو ما يتضرر منه الشخص نفسه دون الآخرين، الذين– عادةً– لايتضررون به، وهذا فى مقابل الضرر النوعى كما يسمّى، الذى يتضرر منه الآخرون، وإن لم يتضرر منه الشخص نفسه، وسواء أكان هذا الضرر بشقيه (الشخصى والنوعى) ضرراً جسمياً أو مالياً أو عرضياً... فإذا وجد الضرر وجدت التقية، وتنتفى بانتفائه.

وانطلاقاً من اختلاف الضرر هذا وجوداً وعدماً، قوةً وضعفاً، فقد قسّم الفقهاء التقية إلى خمسة أقسام كما هو حال الأحكام التكليفية:

الوجوب: حينما يتيقن الضرر، سواء أكان ضرراً فعلياً أم ضرراً مستقبلياً، فإنّه يكون مناطاً لوجوب التقية.

الحرمة: إنّ عدم وجود الضرر، يكون مناطاً لحرمة التقية؛ لأنّها تنتفى– كما قلنا– بانتفاء موضوعها، وهو الضرر عاجلًا أو آجلًا.

وتحرم أيضاً إذا توقفت على قتل مسلم، حيث لاتقية فى الدماء، ولأنّها إنما شرعت لدفع الضرر عن الجميع، لا أن يدفعه الشخص عن نفسه، بأن يوقع الآخرين فيه، فهو خلاف الحكمة والهدف من تشريعها.

الاستحباب، والمكروه، والمباح:

إنّ ترجيح احتمال وقوع الضرر المستقبلى، يكون مناطاً لاستحباب التقية.

وأما إذا كان ترجيح احتمال عدم وقوع الضرر أقوى من وقوعه، فحكم التقية هنا هو الكراهة.

۱– تفسير المراغى ۳: ۱۳۶.

ص: ۱۰۹

وعند تساوی الاحتمالین؛ وقوع التقیهٔ وعدمه، فحکم التقیهٔ هنا هو الإباحهٔ.

وللتفصیل یمکن الرجوع إلی ما قاله کلّ من الشهید الأول، والشیخ الأنصاری: (۱) اشتراط المندوحهٔ فی التقیهٔ وعدمها:

المندوحهٔ لغهً: من ندح یندح ندحاً الشیء: وسّعه، والمندوحهٔ: السعهٔ والفسحهٔ، یقال: لک عن هذا الأمر مندوحهٌ أو منتدحٌ، أی یمکنک ترکه والمیل عنه... (۲).

والمندوحهٔ اصطلاحاً: هو تمکّن المکلّف من الإتیان بالواجب التام الشرائط والأجزاء، وذلک بأن یأتی به فی وقت آخر أو مکان آخر... (۳).

وبعبارهٔ أخری: المندوحهٔ: تعنی إمکان تخلّص المکلّف من الحالهٔ التی هو فیها، بأی طریقهٔ یراها مناسبهٔ کالتوریهٔ، أو الانتقال إلی مکان آخر، أو تأجیل العمل...

وعدم المندوحهٔ: أی لا یمکنه التخلّص ممّا هو فیه.

وللفقهاء أقوال ثلاثهٔ فی هذا، خلاصتها:

قول: یشترط عدم المندوحهٔ؛

لأنّ تحقق الضرر أُخذ موضوعاً للتقیهٔ، فإذا کان بمقدور المکلّف التخلّص من هذا الضرر، فینتفی الضرر مع وجود هذه القدرهٔ عند المکلف، وبالتالی فلایجوز العمل بالتقیهٔ؛ لانتفاء موضوعها.

وعلی هذا فیشترط أصحاب هذا القول للعمل بالتقیهٔ: عدم وجود مثل هذه

۱- للتفصیل، راجع القواعد والفوائد ۲: ۱۵۸.

۲- انظر المنجد فی اللغهٔ: ۷۹۸، والصحاح للجوهری: ۵۵۲ و...

۳- أصول الفقه للمظفر ۲: ۳۲۰.

ص: ۱۱۰

القدرة للتخلّص عند المكلّف أی عدم المندوحة.

ومنهم الشيخ الأنصاری حيث قال: وهل يشترط فی الصلاة معهم عدم المندوحة أم لا؟

قولان، والأول أقوی (۱).

ثمّ يقول فی رسالته: ويؤيده العمومات الدالة علی أنّ التقية فی كلّ شیء يضطر إليه ابن آدم، فإنّ ظاهرها حصر التقية فی حال الاضطرار، ولا يصدق الاضطرار مع التمكن من تبديل موضوع التقية بالذهاب إلی موضع الأمن مع التمكن وعدم الحرج.

نعم، لو لزم من التزام ذلک حرج أو ضيق، من تفقد المخالفين وظهور حاله فی مخالفتهم سرّاً، فهذا أيضاً داخل فی الاضطرار.

ويخلص أخيراً إلی القول: وبالجملة فمراعاة عدم المندوحة فی الجزء من الزمان، الذی يوقع فيه الفعل أقوی مع أنّه أحوط (۲).

وقال السيّد الخوئی: يعتبر عدم المندوحة فی مكان التقيّة علی الأقوی، فلو أمكنه ترک التقيّة وإراءة المخالف عدم المخالفة، لم تشرع التقيّة (۳).

قول: لا يشترط عدم المندوحة؛

أی لا يشترط إمكان التخلّص، فبإمكان المكلف العمل بالتقية حتی مع وجود المندوحة، وليس بناء هذا الفريق- كما يبدو- هو عدم أخذ الضرر موضوعاً للتقية، بل التوسع فی أمر التقية المذكور فی الأخبار، فهی لم تشترط عدم المندوحة.

فقد ذهب كلّ من الشهيد الأول فی البيان، والشهيد الثانی فی روض الجنان

۱- كتاب الصلاة ۲: ۳۷۵.

۲- رسالة فی التقية: ۵۳- ۵۴.

۳- منهاج الصالحين ۱: ۲۹.

ص: ۱۱۱

والمحقق الكركی فی جامع المقاصد إلی عدم اشتراط عدم المندوحة فی العمل بالتقیة.

حیث قال الأوّل منهم:

ولو عدل إلی المسح فی موضع التقیّة، فالأقرب البطلان، ولا تبطل الوضوء بزوالها علی الأصحّ، ولا یشرط فیها عدم المندوحة (۱).

فیما قال الثانی:

ولا یبطل الوضوء بزوال التقیّة والضرورة، ما لم یحدث علی الأصحّ؛ لأنّها طهارة شرعیّة ولم یثبت کون ذلک ناقضاً، ویحتمله لزوال المشروط بزوال شرطه، وقربه المصنّف فی التذکرة، وتوقّف فی غیرها، ولا یشترط فی جواز ذلک ونحوه للتقیّة عدم المندوحة، وهو یؤیّد بقاء الطهارة مع زوال سبب التقیّة (۲).

وقال فی موضع آخر:

فلا یصحّ السجود علی الصوف والشعر والجلد وغیرها مع الاختیار، أما مع الضرورة فیجوز ومنها التقیّة، ولا یشترط عدم المندوحة خصوصاً مع إفادة تأکید السلامة والاستناد بالسجود علیها (۳).

وأما الثالث فقد قال فی مقاصده:... ولا یشترط فی الصحة عدم المندوحة لإطلاق النصّ (۴).

القول الثالث: التفصیل

حیث بنی هذا القول علی متعلّق التقیة، وکونه مأذوناً فیه من قبل الشرع، وغیر مأذونٍ فیه.

۱- البیان: ۱۰.

۲- المصدر نفسه.

۳- روض الجنان: ۲۲۲.

۴- جامع المقاصد: ۱/ ۲۲۲.

ص: ۱۱۲

قـال جمع منهم المحقّق الكركى بالتفصـيل بين ما إذا كان مورد التقيّـهٔ، مأذوناً بالخصوص كالصـلاهٔ معهم، فقال: بعـدم الاعتبار، وبين مالم يأذن الشارع فيه بالخصوص فقال: بالاعتبار.

وإليـك كلامه: فاعلم أن التقيّـهٔ قـد تكون فى العبادات، وقـد تكون فى غيرها من المعاملات، وربما كان متعلّقها مأذوناً فيه بخصوصه، كغسل الرجلين فى الوضوء، والتكتف فى الصـلاهٔ. وقد لا يكون مأذوناً فيه بخصوصه؛ بل جواز التقيّهٔ فيه مسـتفاد من العمومات السالفهٔ ونحوها.

فما ورد فيه نصّ بخصوصه، إذا فعل على الوجه المأذون فيه، كان صـحيحاً مجزياً سواء كان للمكلّف مندوحـهٔ عن فعله كذلك، أم لم يكن؛ التفاتاً إلى أنّ الشارع أقام ذلك الفعل مقام المأمور به حين التقيّهٔ، فكان الإتيان به امتثالًا فيقتضى الإجزاء.

وعلى هذا، فلا تجب الإعادهٔ، ولو تمكّن منها على غير وجه التقيّهٔ قبل خروج الوقت، ولا أعلم فى ذلك خلافاً بين الأصحاب.

وما لم يرد فيه نصّ بخصوصه كفعل الصـلاهٔ إلى غير القبلهٔ، والوضوء بالنبيذ، ومع الإخلال بالموالاهٔ بحيث يجفّ البلل، كما يراه بعض العامّهٔ،... فإنّ المكلّف يجب عليه إذا اقتضت الضرورهٔ موافقهٔ أهل الخلاف فيه إظهار الموافقهٔ لهم.

ومع التعـذر: فإن كان له مندوحهٔ عن ذلك الفعل لم يجب الإتيان به، وإلّا أتى به مجزياً، ثمّ إن أمكن الإعادهٔ فى الوقت بعد الإتيان به لوفق التقيّهٔ وجب، ولو خرج الوقت نظر فى دليل يدل على وجوب القضاء، فإن حصل الظفر به أوجبناه، وإلّا فلا؛ لأنّ القضاء إنّما يجب بأمر جديد. هذا فى العبادات.

وأمّـا فى المعاملات فلاـ يحـلّ له باطنـاً وطى المنكوحـهٔ للتقيّـهٔ على خلاـف مـذهب أهـل الحقّ، ولاـ التصـرّف فى المال المأخوذ من المضمون عنه، لو اقتضت التقيّهٔ أخذه، ولا تزوّج الخامسهٔ لو طلّق الرابعهٔ على مقتضى مذهب أهل الخلاف، دون

ص: ۱۱۳

المذهب الحق، وفى الباب وجود نصّ بخصوصه فى فعل مخصوص، فحيث وجد ثبت الحكم الأول، وحيث انتفى انتفى (۱).

بيان أخير

يبدو أنّ الظاهر المستفاد من إطلاق الروايات الدالّة على الأمر بمخالطة العامّة، ومعاشرتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم (۲)، هو صحّة ما أوجبته التقيّة مطلقاً؛ لأنّ المفهوم من تلك الأحاديث أنّ المراد هو تأليف القلوب واجتماعها؛ لدفع الضرر والطعن على المذهب وأهله كما فى قول الصادق عليه السلام:

«إن استطعتم أن تكونوا الأئمّة والمؤذّنين فافعلوا؛ فإنّكم إذا فعلتم ذلك قالوا:

هؤلاء الجعفريّة رحم اللّه جعفراً، ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه، وإذا تركتم ذلك قالوا: فعل اللّه بجعفر، ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه».

الإجزاء وعدمه:

إذا أتى المكلّف بما فى ذمته وفق ما تقتضيه التقية، فهل يكون مجزيّاً أو لا؟

اتّفقت كلمات الفقهاء على أنّ المكلّف إذا امتثل ما امر به على الوجه المطلوب شرعاً، فإنّ امتثاله هذا يعدّ مجزياً، وليس عليه الإعادة ولا القضاء... وهذا هو معنى الإجزاء، فهل يشمل ما يؤدّيه المكلّف تقيّة؟

إنّ الروايات صريحة فى الدلالة على أنّ إتيان الواجبات، بشكل يوافق المخالفين، وإن كان مخالفاً للحقّ، قد أذن ورخص فيه الشارع، وعدّه من الدين، وبالتالى فهو مجزٍ، فلا يحتاج إلى إعادة أو قضاء حتى وإن رفع موجب التقية؛ لأنّ مقتضى عمومات التقية كقوله عليه السلام: «التقية دينى ودين آبائى» وأمثالها، أنّ التقية أمر وحكم واقعى وامتثال الأمر يقتضى الإجزاء، فإذا وجد دليل على التقييد

۱- رسائل الكركى المحقّق الكركى ۲: ۵۱.

۲- انظر؛ كتاب المواعظ، صفات الشيعة: ۲۴۷ ر ۳۸.

ص: ۱۱۴

يؤخذ به، وإلّا فمقتضى عمومات التقية الاكتفاء بالمأتي به من غير فرق بين أن يكون إتيان الواجب مأذوناً بالخصوص، أو كان مأذوناً بعنوان عام؛ لأنّ الملاك في كلتا الصورتين صيرورته واقعيّاً ثانويّاً، وشأن الأوامر الواقعية الثانوية هو الإجزاء.

وتدلّ عليه روايات متعددة تبلغ حدّ الاستفاضة أو أكثر، وقد ذكرنا قسماً منها، ونكتفي بمارواه الكليني بإسناده عن سماعة قال: سألته عن رجل كان يصلّي فخرج الإمام، وقد صلّى الرجل ركعة من صلاة فريضة، قال: إن كان إماماً عدلًا فليصلّ أخرى، وينصرف ويجعلها تطوّعاً، وليدخل مع الإمام في صلاته كما هو، وإن لم يكن إمام عدل فليبن على صلاته كما هو، ويصلّي ركعة أخرى، ويجلس قدر ما يقول: أشهد أن لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، ثمّ ليتمّ صلاته معه على قدر ما استطاع؛ فإنّ التقيّة واسعة، وليس شيء من التقيّة إلّاوصاحبها مأجور عليها إن شاء اللَّه (۱).

وهذه الرواية صريحة في الإجزاء والاكتفاء بما يؤتى به تقيّة. وفي رواية أخرى: التقية في كلّ شيء يضطر إليه ابن آدم، فقد أحلّه اللَّه له (۲).

يقول السيّد البجنوردي في قواعده:

إنّ كلّ فعل واجب من الواجبات إذا أتى به موافقاً لمن يتقيه، وكان مخالفاً للحقّ في بعض أجزائه وشرائطه، بل وفي ايجاد بعض موانعه، فإن كان مأذوناً من قبل الشارع في إيجاد ذلك الواجب بعنوان أنه واجب للتقية، فهو مجز عن الواقع، ولا يجب عليه الإعادة إذا ارتفع الاضطرار في الوقت، ولا القضاء إذا ارتفع في خارج الوقت؛ لأنّ الإتيان بالمأمور به بالأمر الواقعي الثانوي مجزٍ عن الإتيان

۱- الكافي ۳: ۳۸۰ ح ۷، والتهذيب ۳: ۵۰ ح ۸۹.

۲- الكافي ۲: ۲۲۰ ح ۱۳.

ص: ۱۱۵

بالمأمور به بالأمر الواقعی الأولی، سواء کان رفع الاضطرار فی الوقت أو فی خارج الوقت (۱).

ولا فرق عنده بین أن یکون العمل مأذوناً به بشکل خاص أو وقع تحت الإذن العام.

فیقول: ولاـ فرق فی کونه مأذوناً بین أن یکون الرخصهٔ والإذن بعنوان ذلک الواجب بخصوصه، کما أنّه ورد الإذن بخصوص المسح علی الخفّین... (۲). أو کان بعنوان عام یشمل جمیع الواجبات کقوله علیه السلام: «التقیهٔ دینی ودین آبائی» (۳).

العمل خلاف التقیهٔ:

إذا جاء المکلّف بعمل علی خلاف التقیّهٔ، فما هو حکمه وحکم عمله هذا؟

حکمه:

إنّ حکم هـذا المکلّف، الذی أتی بعملٍ خلافاً لما هو مأمور به، کما لو أنّه صلّی مرسلًا دون تکفیر، أو سجد علی التربهٔ، وغیر ذلک من الأعمال، التی یعیبها الطرف الآخر وینهی عنها، فحکمه أنه ارتکب حراماً وأثم؛ لترکه ما هو مأمور به فی وقته، کما یشهد به جمع من الروایات:

فعن الصادق علیه السلام: «لو قلت: إنّ تارک التقیّهٔ کتارک الصلاهٔ لکنت صادقاً» (۴).

وعن أمیرالمؤمنین علیٍّ علیه السلام فی وصیته للیونانی الذی أعلن إسلامه:

«... وآمرک أن تستعمل التقیهٔ فی دینک، فإنّ اللَّه عزّوجلّ یقول: لا یتخذ

۱- القواعد الفقهیهٔ للسید البجنوردی ۵: ۵۶.

۲- انظر تهذیب الأحکام ۱: ۳۶۲، ح ۱۰۹۲ باب صفهٔ الوضوء والفرض منه، ح ۲۲.

۳- الکافی ۲: ۲۱۹ باب التقیهٔ، ح ۱۲، وسائل الشیعهٔ ۱۱: ۴۶۰ أبواب الأمر والنهی باب ۵۲۴ ح ۳ وانظر القواعد الفقهیهٔ للسید البجنوردی ۵: ۵۵- ۵۶.

۴- من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۲۷، ح ۱۹۲۷، ووسائل الشیعهٔ ط- آل البیت ۱۰: ۱۳۱.

ص: ۱۱۶

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين... إلّاأن تتقوا منهم تقاة...

... وإياك إياك أن تترك التقية التى أمرتك بها... (۱).

وعن أبى محمّد الحسن بن على العسكرى عليه السلام فى حديث أنّ الرضا عليه السلام جفا جماعة من الشيعة وحجبهم، فقالوا: يا ابن رسول اللَّه ما هذا الجفاء العظيم والاستخفاف بعد الحجاب الصعب؟

قال: لدعواكم أنّكم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وأنتم فى أكثر أعمالكم مخالفون، ومقصّرون فى كثير من الفرائض، وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم فى اللّه، وتتقون حيث لا تجب التقيّة، وتتركون التقيّة حيث لا بد من التقيّة (۲).

وعن الرضا عليه السلام قال: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، وإن أكرمكم عند اللَّه أعملكم بالتقية... (۳) وعن الحسن بن على عليه السلام: إنّ التقيّة يصلح اللَّه بها أمّة لصاحبها مثل ثواب أعمالهم، فإن تركها أهلك أمّة، تاركها شريك من أهلكهم (۴).

وعن على بن الحسين عليه السلام: يغفر اللَّه للمؤمن كلّ ذنب، ويطهّره منه فى الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين: ترك التقيّة، وتضييع حقوق الإخوان (۵).

هذا فى حكم المكلّف نفسه.

حكم عمله:

وأما فى حكم عمله، ففيه تفصيل عندهم: فإنّ القول ببطلان كلّ عمل أتى به على خلاف التقيّة، أمر مشكل، إلّافيما إذا كان ما تتحقّق به المخالفة يكون جزءاً

۱- الاحتجاج ۱: ۳۵۵، وسائل الشيعة ط- آل البيت ۱۶: ۲۲۹.

۲- الاحتجاج ۲: ۲۳۷، ووسائل الشيعة ط- آل البيت ۱۶: ۲۱۷ ح ۲۱۴۰۰.

۳- وسائل الشيعة ط- آل البيت ۱۶: ۲۱۱ ح ۲۱۳۸۱

۴- تفسير الإمام العسكرى عليه السلام: ۳۲۱ ح ۱۶۴، وسائل الشيعة ط- آل البيت ۱۶: ۲۲۲ ح ۲۱۴۱۲.

۵- تفسير الامام العسكرى عليه السلام ۳۲۱: ۱۶۶، ووسائل الشيعة ط- آل البيت ۱۶: ۲۲۳.

ص: ۱۱۷

للعبادة نفسها، وقد تعلّق النهى بهذا الجزء الذى وقع مصداقاً للمخالفة كالسجدة على التربة، فعندئذ تصير العبادة المشتملة على ذلك الجزء باطلة؛ لأنها وقعت خلاف التقية، بإدخال الجزء المنهى عن إتيانه فيها، والنهى فى العبادة يوجب فسادها.

وهذا لا يجرى فيما إذا كان ما هو مصداق للمخالفة، خارجاً عن المأمور به، أى لا يكون جزءاً منه ولا شرطاً فيه، كما فى التكفير وقول آمين وأمثالهما.

حيث إنّ المكلّف فى هذه الصورة أتى بالمأمور به الواقعى بقصد القربة، ولم يدخل فيه ما لم يكن جزءاً منه، ولم يترك أيضاً ما هو جزء أو شرط فيه، فحصل الامتثال، إلّاأنه مع هذا كان عاصيّاً بترك التقية. فتكون حالته هذه من قبيل النظر إلى المرأة الأجنبية حال الصلاة، فصلاته صحيحة، وإن ارتكب حراماً بنظرته إليها، حيث إنّه لم يكن جزءاً للصلاة المأمور بها.

مصاديق التقيّة:

مع أنّ التقية تعدّ من المسائل الفرعية، إلّاأنّ مصاديقها كقاعدة فقهية قد تدخل فى أبواب عقائدية، وأخرى فقهية أحكاماً وموضوعات، إذا تحقق عنوان الضرر فيها جميعاً.

التقية فى العقائد

وأفضل مثال فى هذا، هو: قصة عمار بن ياسر، وقصة الرجلين من أهل الكوفة. وهما معروفتان، وقد ذكرناهما، فراجع.

فإذا توجّه للإنسان ضرر عند إقراره بنبوة محمّد بن عبداللّه صلى الله عليه و آله، فبعضهم ذهب إلى القول بوجوب التقية بأن لايقرّ بذلك وبعض آخر ذهب إلى استحبابها.

التقية فى الأحكام

ونكتفى هنا بآراء السيّد الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه نذكرها باختصار:

ص: ۱۱۸

فقد أفتى سماحته بجواز السجود على السجاد المفروش فى المسجد النبوى الشريف، وبعدم وجوب اختيار مكان آخر غير مفروش، أو استصحاب حصير للسجود عليه، فقال: لا مانع من السجود فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله على السجاد، ولا يجوز وضع التربة، ولا يجب عليه اختيار المكان الموجود فيه حجر للصلاة، ولا يجب عليه أيضاً أن يأخذ حصيراً ونحوه، ولكن إن روعى ذلك بحيث لا يوجب الوهن، وأخذ معه حصيراً للصلاة وصلّى عليه، بحيث يكون ذلك متعارفاً عليه عند سائر المسلمين فلا إشكال، لكن يؤكّد الاجتناب عن كلّ عمل يوجب الهتك والشهرة (۱).

هذا وأجاب عن سؤال وجّه لسماحته، هذا نصّه: هل يجوز بعد الانتهاء من صلاة الجماعة فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله السجود على سِجّاد المسجد، أم يجب الذهاب إلى حيث يوجد حجر والصلاة عليه؟

فقال سماحته: لا يجب اختيار مكان يوجد فيه حجر (۲).

وأفتى أيضاً بأنّ استعمال التربة فى حالة التقيّة فى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله حرام، والصلاة فى هذه الصورة لا تخلو من إشكال (۳).

وأيضاً أفتى سماحته بجواز الصلاة خلف أئمة أهل السنة، وبكفاية كلّ صلاة صلّاها فى المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف جماعة، ولا يحتاج المكلّف الذى صلّى صلاته هذه إلى إعادتها بعد ذلك، فقد سئل: هل يجب على من يصلّى الصبح جماعة مع المسلمين أن يعيدها بعد أن تضىء السماء أم تكفى تلك الصلاة؟

فأجاب السيّد الإمام قدس سره: الصلاة فى الفرض المذكور جماعة صحيحة ولا إعادة (۴).

۱- انظر مناسك الحج: ۲۷۸، المسألة ۲۲.

۲- المصدر نفسه: السؤال الأوّل.

۳- انظر آراء المراجع فى الحج: ۴۳۲.

۴- انظر مناسك الحجّ: ۲۷۹، المسألة التاسعة.

ص: ۱۱۹

التقیة فی الموضوعات

علی المکلّف أن یجـد موضوعات للأحکام التی هی محل ابتلائه، فهذا من مسؤولیاته، فلا تقلید فی الموضوعات، إذن فعلیه أن یبحث عن موضوع الحکم بنفسه، وله أن یستعین ببعض الطرق التی جعلها الشارع کالإخبار من عدلین...

یوم عرفة:

وقوف عرفات من الموضوعات التی هی بعهـدة المکلف نفسه، فهل یجوز له- وهو یعلم أنّ هـذا الیوم هو الیوم الثامن من ذی الحجّة- أن یقف هذا الیوم بعرفات..؟

یقول السیّد الحکیم: ... ومن‌ذلک تعرف إجزاءالحج إذاوقف تقیةً مع المخالفین، ولم یقف فی الیوم التاسع من دون فرق بین صورتی العلم بالمخالفة للواقع وعدمه (۱).

هـذا وأنّ مسألـة ثبوت الهلال من المسائل المهمـة والمختلف فیها، فقـد یثبت فی بلـد ولا یثبت فی آخر، وقد تسـبب احراجاً ومشاکل وأذًی للحاج نفسه وأخری لغیره وللفئـة التی ینتمی الیها، ففی هذه الحالة اتّکأ جمع من الفقهاء علی قاعدة التقیة، وأفتی بمتابعة إخوانه من الفرق الاسلامیة الأخری فی أداء مناسک الحج؛ حفظاً لوحدتهم ودرءًا لما تسببه المخالفة من آثار سیئة وعسر وحرج...

یقول السـید الامام الخمینی قـدس سـره: لو ثبت هلال ذی الحجـة عند القاضـی من العامة وحکم به ولم یثبت عندنا، فإن أمکن العمل علی طبق المذهب بلاتقیة وخوف وجب، و إلّا وجبت التبعیة عنهم، وصحّ الحج لو لم تتبین المخالفة للواقع، بل لاتبعد الصحة مع العلم بالمخالفة، ولاتجوز المخالفة، بل فی صحة الحج مع مخالفة التقیة إشکال... وأضاف فی موقع آخر أنّه لا یمکن العلم بالمخالفة لتباین الآفاق...

۱- مستمسک العروة ۲: ۴۰۷.

ص: ۱۲۰

وإن كان الاختلاف بيومين كما ورد فى جوابه عن سؤال وجه لسماحته (۱).

وقد لايكون هناك خوف، وإنما هناك أمر آخر وهو حفظ وحدة المسلمين، والابتعاد من أى شىء يكون من شأنه ايجاد الفرقة، أو توجيه أصابع الاتهام للامامية بشق الصف ومايستتبع هذا من إهانة... وهنا أيضاً تأتى التقية لحفظ الكيان الواحد...

يقول الشيخ اللنكرانى وهو أحد كبار طلبة الإمام الخمينى قدس سره، ومرجع من مراجع التقليد: لابدّ وأن يعلم أنه ربما لايكون فى البين خوف شخصى وخطر متوجه الى الشخص نفساً أوغيرها، بل يكون فى البين هتك حرمة الشيعة وانحطاط شأنهم، وجعلهم فى معرض التهمة ومظنة السوء، كما إذا كانوا مجتمعين فى الحج والوقوف- كما فى هذه الأزمنة- فإنه لابدّ فى هذه الصورة من حفظ مقامهم، لئلا يقعوا فى معرض الاتهام، وينظر الناس إليهم بعين الابتعاد عن الاسلام والالتزام بشؤونه، فلايجوز التخلف عنهم فى الوقوف ونحوه، وإن لم يكن تقية ولا خوف فى البين أصلًا.

ثم يعقّب قائلًا: وكيف كان، ففى صورة التقية و مثلها، تجب المتابعة عنهم ورعاية شؤون التقية، ولا شبهة فى هذه الجهة من حيث الحكم التكليفى (۲).

هذا إضافةً إلى ما ذكرنا سابقاً من روايات متواترة، بل فوق حدّ التواتر فى مشروعية التقية ولزوم رعايتها، وعدم جواز مخالفتها.

وختاماً

لابدّ من القول: لقد صدرت دعوات التقارب بين المذهب الشيعى والمذاهب الإسلاميّة الأخرى، عن عدد من كبار فقهاء الإماميّة بدءًا بالشيخ

۱- تحرير الوسيلة ۱: ۴۴۱، وانظر آراء المراجع فى الحج: ۴۳۲، ومناسك الحجّ المحشى.

۲- انظر كتاب الحجّ للشيخ اللنكرانى.

ص: ۱۲۱

المفيـد، الـذى راح يـدرّس فقه المـذاهب الإسـلاميّة الأخرى إلى جانب الفقه الجعفرى فى بغداد، وظلّ مرجعاً للسنّة والشيعة، ومروراً بالشيخ الطوسى وكتابه «الخلاف» الـذى تضـمّن فتاوى المـذاهب الإسـلاميّة المختلفـة مشـيراً فيه إلى مواطن الاتّفاق والاختلاف بين المذاهب، حتّى نصل إلى السيّد البروجردى الذى كان له فى الدعوة إلى الوحدة بين المسـلمين دور كبير وبارز، ويشـهد له موقفه من دار التقريب بين المذاهب فى القاهرة. وكان يتعرّض فى دروسه إلى وجهات نظر تلك المذاهب.

والإمام الخمينى هو الآخر الـذى دعا المسـلمين جميعاً إلى الوحـدة والتلاحم حول محور الإسـلام، وكان همّه الرئيس هو التقريب بين أبناء المسلمين وتمتين العلاقات بينهم بغضّ النظر عن مذاهبهم، فراح يدعو وكثير من فقهاء الإماميّة أتباعهم إلى أن يشاركوا فى صلاة الجمعـة والجماعـة لأهل السنّة خصوصاً فى الأماكن المقدّسة فى مكّة والمدينة، مراعاة للوحدة، التى هى إحدى أهداف قاعدة التقيّة، التى نحن بصددها، وأن يتّبعوهم فى تحديد أوّل الشـهر والوقوف فى عرفات والمشـعر ومناسك منى، كما أفتوا بصحّة جميع عباداتهم التى يخالفون فى بعض أجزائها وشـروطها فتاوى الفقهاء الشيعة ولا ضـرورة لإعادتها. ففقهاء الشـيعة أصـحاب نـداء تقريبى توحيـدىّ هدفه الإسـلام والسلام والوئام بين أتباع المذاهب الإسلاميّة، وليغلقوا بهذا باب الاختلاف، الذى قد يفضى فى بعض مواقفه إلى النزاع والاقتتـال. بـل تجـاوز الإمـام هـذا إلى دعوة أتبـاع الـديانات الأخرى الإبراهيميّـة ومستضـعفى العالم إلى وحـدة الموقف فى قضاياهم وأمورهم الدينيّة والسياسيّة.

ص: ۱۲۲

شخصيّات من الحرمين الشريفين (۱۴)

أبو طالب مأوى الرسول و الرسالة

حسن الحاج

بنو هاشم:

فی‌وادٍ تُحيط به الجبال، وتحفّ به التلال، وفی مجتمع ظلّت الجاهلية بتقاليدها تنخر فيه... نشأت قبيلة بنی هاشم من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام، وراحت من بين ثلاث وعشرين قبيلة شكّلت قريشاً، تقف بكلّ شموخ وإباء؛ لتؤدی دورها التوحيدی ولتسطّر أروع الصفحات وأجملها، وأفضل المواقف وأحسنها، فی تأريخ الإنسانية على الإطلاق... بما حملته من أخلاق عالية، وصفات محمودة، وخصال نادرة، ومواقف فريدة، تميّزت بها على أقرانها قبائل ورجالًا ونساءً...

فبنو هاشم، سادة قريش بل سادة الدنيا، فهم كما وصفهم الجاحظ: «ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلی العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كلّ كريم، وسرّ كلّ عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، والمعدن الفهم، وينبوع العلم...» (۱).

فقد كان منهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، الذی ولد على رمال مكّة، أكرم خلق اللَّه تعالی

۱- انظر شرح نهج البلاغة لابن أبی الحديد عن زهرة الآداب للجاحظ: ۵۹.

ص: ۱۲۳

على الإطلاق وأفضلهم وأشرفهم وأعظمهم من الأوّلين والآخرين، فبه بزغ نور سرعان ما انتشر فى الآفاق، حتى أضاءت له مشارق الأرض ومغاربها، فغدت الدنيا نيّرة بآيات اللّه تعالى، التى حملها، رحمةً للعالمين- داعياً الى اللّه، بشيراً ونذيراً- شاخصةً بالعزّ والشموخ، نابضةً بالحياة، التى غدت تضجّ بين جنبات ذلك المجتمع السادر فى غيّه وشركه، الضال عن الصراط، الغارق فى آلامه ومشاكله، وعدوانيته وغزواته، وظلمه وطغيانه، ولهوه وترفه... فوردت كلّ مفاصله ونواحيها؛ لتقلبه رأساً على عقب، وتخلق منه أمّةً تأمر بالمعروف وتنهى عن المُنكر، وزخرت بعطاء دائم وخير عميم، ما انفكّت الأجيال المتعاقبة تنتفع منه وتقتطف ثماره ما دام ليل وبقى نهار، لا يعرف النضوب أبداً، ولا يحدّه شىء، ولا ينتهى بأمد، ظلّ معينها يتجدّد وعطاؤها يتّسع، وكيف لا يكون كذلك وهو عطاء السماء، الذى منّ اللّه به على رسوله صلى الله عليه و آله؛ لتباركه على يديه، فينضج كلّ ما بذره، ويدوم طويلًا، ويخلد ما شاء اللّه له الخلود والبقاء...

أبو طالب والنور اليتيم:

هذا النور العظيم اليتيم منذ ولادته، راحت قلوب طيبة تحتضنه، وأيدٍ مباركة ترعاه، يد جدّه عبدالمطلب الذى تشرّفت برعايته واحتضانه، ثمّ كانت يد عمّه (أبو طالب) شيبة بنى هاشم، شيخ قريش وزعيمها، وسيّد قومه، الذى انطوت نفسه على خصال كريمة كلّها شموخ وإباء وشهامة وعزّة...

فكان الكافل المدافع الذابّ عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، والذى أحاطه بعناية عظيمة ورعاية قلّ نظيرها، خاصة إذا عرفنا مكانته فى قبائل قريش وبين زعمائها، وما سبّبه ذلك من إحراج له، وضيق وأذًى... ومع هذا كلّه، فقد صبر أيما صبر دفاعاً عن محمّد ورسالته، حتى أنّ قريشاً لم تكن قادرةً على أذى رسول اللّه صلى الله عليه و آله مع عظيم رغبتها فى ذلك، وكانت تتحين الفرص للإيقاع به، لكنها لم تستطع حتى توفى أبو

ص: ۱۲۴

طالب، فراحت تكيد له...

يقول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «واللَّه ما نالت قريش منّى شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب». ولم يهاجر إلى المدينة، إلّابعد وفاة عمّه رضوان اللَّه عليه.

*** فالحديث عن «أبو طالب» حديث عن الصمود والإباء، حديث عن الإيمان الواعى، والموقف الحكيم ونكران الذّات، حديث عن الظلامة التى تلاحقه، وما زالت إلى يومنا هذا.

ولا يضرّ ولا يفتّ فى مواقفه ما يُقال هنا وهناك، من أنّ أبا طالب لم يكن مؤمناً وقد مات كافراً، إنّه نتيجة من نتائج الصراع والنزاع الطويل والعميق فى تاريخ كلا الأُسرتين: أُسرة الخير والعطاء أُسرة بنى هاشم، وأُسرة بنى أُمية المعروفة بالكيد والشرّ، وتأريخ الأُسرتين واضح بيّن لمن أراد الاطلاع عليه، إنّه نزاع بين الخير والشرّ، بين الفضيلة والرذيلة، بين المعروف والمُنكر، وقد تمخّض هذا الاختلاف، بل الصراع عن أُمور كثيرة، كان منها إتهام شيخ الأُسرة وعميدها، بل عميد قريش وزعيمها وحليمها وحكيمها بالكفر، مع تاريخه الناصع، وذبّه العنيد عن الرسالة والرسول ومواقفه الجليلة، التى ملأت عصر الرسالة الأوّل عصر التأسيس قوّةً وثباتاً.

لقد حفل تأريخ الرسالة فى صدر الإسلام بمواقف عظيمة وأقوال جليلة لشيخ قريش وسيّدها بلا منازع، أثّرت أثرها وتركت بصماتها على مسيرة الرسالة، فقد راحت مواقفه تتصدّر أولى مراحل الرسالة، تضحيةً وصبراً وثباتاً، وبما تحمله بين طيّاتها من آلام ومأساة تعرّض لها شيخ قريش وسيّدها، فكان الملاذ الأوّل لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وكان الحضن الأوّل لدعوة السماء، حيث كانت الدعوة تأخذ مسارها بفضل ما قيّضه اللَّه لها من رجال يحمونها ويضحون فى سبيلها وكان أبو طالب أوّلهم، فحمايته لابن أخيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، والدفاع عنه وعن رسالته، أمر لا

ص: ۱۲۵

يرتاب فيه أحدٌ، ولا ينكره منكِرٌ، وهذا ما يراه كلّ باحث في حوادث العصر الأوّل للإسلام، وما سنلخصه في مقالتنا هذه.

اسمه:

اختلفت الأقوال في اسمه: فقول ذهب إلى أنّ اسمه هو كنيته «أبو طالب»، وقول ذهب إلى أنّ اسمه «عمران»، وقول ثالث: ذهب إلى أنّ اسمه «شيبة» وقول أخير، ويبدو أنّه الأصح، ذهب إلى أنّ اسمه «عبدمناف»، وقد استدل أصحاب هذا القول بقول أبيه عبد المطلب وهو يوصيه بحفيده يتيم بني هاشم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله محمّد بن عبداللَّه صلى الله عليه و آله:

أوصيك ياعبد منافٍ بعدى بواجد بعد أبيه فرد

وقال أيضاً:

وصيتُ من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب

بابن الحبيب أكرم الأقارب بابن الذى قد غاب غير آئب (۱)

ألقابه:

هذا في اسمه، وأمّا ألقابه فكثيرة، منها: شيخ الأبطح، سيد البطحاء، رئيس مكّة، بيضة البلد.

كنيته:

وأما كنيته فهي: «أبو طالب» وبها اشتهر حتى طغت على أسمائه.

إذن فهو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة،

۱- انظر الاحتجاج للطبرسى ۱: ۳۴۱، وفى رحاب الأئمة الاثنى عشر لمحسن الأمين.

ص: ۱۲۶

ابن مذركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ونحن إذ نقف على عـدنان؛ لأنّ المُشـتغلين بالأنساب اتّفقوا على هـذا النسب حتى عـدنان، واختلفوا فی عدد أجداده بعد عدنان حتى نبیّ اللَّه اسماعیل. فقیل أربعهٔ أجداد بین عدنان واسماعیل، وقیل سبعهٔ، فیما ذهب فریق ثالث إلى أربعین أباً.

ولأنّ رسول اللَّه صلى الله علیه و آله کان إذا انتسب یقف على عدنان ولا یتجاوزه، ویقول:

کذب النسّابون، قال اللَّه تعالى: وقروناً بین ذلک کثیراً (۱)

.

صفاته:

عُرف أبو طالب بحکمته وحلمه وشـجاعته الفذّهٔ، وشاعریته المسـتوقدهٔ، التی إن لم یوقفها کلّها على خدمهٔ وتأیید رسول اللَّه صـلى الله علیه و آله والـدعوهٔ إلى مـا جـاء به من الحقّ، فقـد أوقف أکثرهـا من أجـل ذلـک، وکـان وسـیماً، جسیماً، علیه بهاء الملوک، و وقار الحکمهٔ، وکانت قریش تسـمیه الشـیخ، وکانوا یهابونه ویخافون سـطوته، ویسمونه ببیضهٔ البلد، ویلقبونه بشیخ الأبطح... (۲) قیل لأکثم بن صیفی حکیم العرب: ممّن تعلمت الحکمهٔ والریاسهٔ، والحلم والسیادهٔ؟

قال: من حلیف الحلم والأدب، سید العجم والعرب، أبو طالب بن عبدالمطلب.

وجرى ذات یوم کلام خشن بین معاویهٔ وصعصعهٔ وابن الکواء.

فقال معاویهٔ: لولا أنّی أرجع إلى قول أبی طالب لقتلتکم وهو:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرهٔ والعفو عن قدرةٍ ضرب من الکرم

أبوه:

غنی عن التعریف، ولکنّ المقام یدفعنا إلى ذکر شـیء من حیاته ومناقبه، فهو عبد المطلب، شـیبهٔ الحمد، أمیر مکّهٔ وشریفها، کان سیّد قومه بلاـ منازع، ومفزع قریش فی نوائبها، وملجأها، وکیف لا یکون کـذلک، وهو حکیمها وحلیمها وزعیمها... وکان موحّـِداً لم یعبد صنماً قط، وصاحب الأخلاق العالیـهٔ، التی خلقت منه إنساناً ذا مهابهٔ و وقار وهیبهٔ ومیل إلى الدین والنسک والکرم حتّى سـمّی بمطعم الطیر... وهو الـذی قام بحفر ماء زمزم، التی تفجّرت تحت قـدمی جدّه اسـماعیل من قبل، بعد أن غاب أثرها، ولم یهتدِ إلیها أحدٌ حتى هتف هاتف فی منامه، فراح یحفر حتى اهتـدى إلیها، مسـتعیناً بابنه الحارث، وحیده یومذاک. کما کان صاحب الشـرائع الفاضـلهٔ، فهو الذی سنّ السنن التالیهٔ:

الوفـاء بالنـذر، قطع یـد السارق، النهی عن قتل المؤودهٔ، تحریم الخمر، تحریم الزنا، المنع من نکاح المحارم، حظر طواف العراهٔ بالبیت الحرام، وهی سنّهٔ کان یعمل بها عند بعض قبائل الجاهلیهٔ...

وکلّها نالت قبول الإسـلام وأمضاها، هـذا إضافهً إلى ما امتاز به من خصالٍ فریـدهٔ، وصـفات جلیلهٔ، راح یهذّب أولاده ومَن حوله على التحلّی والالتزام بها.

ونکتفی هنا بـذکر موقف عظیم له، یـدلّ على عمق إیمانه وصـدق توجّهه نحو اللَّه تعالى والیوم الآخر، وهو ما دار بینه وبین أحد طغاهٔ عصره وهو ابرههٔ الحبشی:

فقـد کانت لعبـد المطلب ولایـهٔ البیت الحرام من السـقایهٔ والرفادهٔ... فخـذل اللَّه على یـدیه إبرهـهٔ الحبشـی وجنـده، الذین جاؤوا لهدم الکعبـهٔ، وصـرف الحاجّ عنها إلى بیتٍ بناه فی الیمن، لیکون بـدیلًا عن الکعبـهٔ، ویجنی من عمله هذا مصالح ومنافع کثیرهٔ... ولما التقى ابرههٔ بعبد المطلب، کان کلّ همّه أن یستمیله إلى جانبه، وأن یجعل منه أداهً لتحقیق ما جاء من أجله، إلّاأنّه– مع کلّ ما قدّمه أو توعّده به– لم یجد منه إلّاالرفض، وإلّا الثقهٔ العالیهٔ باللَّه تعالى، مکتفیاً بأن یردّ إلیه إبله وشویهاته

۱- انظر ابن عباس، فی تاریخ ابن عساکر، والطبقات لابن سعد...

۲- انظر الاحتجاج للطبرسی ۲: ۳۴۲.

ص: ۱۲۷

ص: ۱۲۸

التی أخذها جنده. ممّا جعل ابرهة یسخر منه ویستخفّ به قائلًا:

کنت فی نفسی کبیراً، وسمعت أنّک وجیه فی قومک، فلمّا سألتک عن حاجتک، وذکرت الإبل والشیاه، ونسیت بلدک وأهلک وبیتک المقدّس، سقطت من عینی.

فکان جواب عبد المطلب مملوءاً حکمةً وتسلیماً مطلقاً إلی اللَّه تعالی، وهو أمر لا یدرکه إلّامن امتحن اللَّه قلبه بالإیمان.

إنّها کلمات ما أقلّها، وما أعظمها!

«الإبل لی، وللبیت ربّ یحمیه».

فقال إبرهة: ما کان لیمتنع منّی.

فقال عبد المطلب: أنت وذلک، وصعد علی الجبل، متضرّعاً، وهو ینشد:

یا ربّ عادِ من عاداک وامنعهموا أن یهدموا حماک

ولم یکتف بهذا، بل راح یستحثّ قومه علی ترک مکّة، واللجوء إلی الجبل، خشیة بطش ابرهة وجیشه، ثمّ طلب منهم التوجّه إلی اللَّه بالدعاء وهو یری أن لا قدرة لقومه علی ردع إبرهة وجیشه إلّابسلاح الدعاء... فحلّت الکارثة بإبرهة وجنده، وهو ما تکفّلت ببیانه سورة مبارکة سمیت بسورة الفیل عبر آیاتها الخمس، فراحت تحکی ما حلّ بهذا الطاغیة ومن معه... (۱) أَلَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحَابِ الْفِیلِ* أَلَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی تَضْلِیلٍ* وَأَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْرًا أَبَابِیلَ* تَرْمِیهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّیلٍ* فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ *** فی هکذا بیت یکتنفه التوحید، ونبل الصفات، وجمیل الخصال... ولد أبو طالب قبل ولادة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بخمس وثلاثین سنة، فاتصف بکلّ صفاته ومناقبه

۱- سورة الفیل.

ص: ۱۲۹

فكان سيّد بنى هاشم فى الجاهلية بل سيّد قريش، فى وقت لا ينال أحد السيادة هذه بلا مال إلّاأبو طالب. وترعرع ونشأ فى حجر زعيم هـذا البيت وسيّده. فى هكذا أُسرة وفى هكذا جوّ مفعم بالخير والعطاء والحكمة والشجاعة والتسليم المطلق إلى اللَّه تعالى، شبّ أبو طالب وقد انصهرت فى نفسه شمائل هذه الأُسرة المباركة، التى عرفت بتأريخها الحافل وأمجادها العظيمة، فجدّه هاشم هو الذى أسّس الإيلاف لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فهو الـذى أنشأ هاتين الرحلتين، اللتين درّتا بخيرات عظيمـة على قريش، ومنافع كبيرة، وهو الذى نادى بالعدالة وحبّ الناس ورفع الظلم عنهم، ومن قبله جدّهم قصـى ابن كلاب، الذى كان له الدور الكبير فى تنظيم المجتمع المكّى، وجمع شتات قريش وشملها حتى سمّى «مُجمِّعاً».

وأبو طـالب نفسه هو الـذى سنّ القسامـة (الأيمـان) فى الجاهليـة، وكـانت أوّلًا فى دم عمر بن علقمـة، ثمّ اسـتمرت، وأمضـتها الشـريعة الإسلامية فيما بعد. كما كانت له السقاية بعد أبيه، بل كان شريكاً له فى خصائصه وأعماله.

إذن فهى أُسرة مشاريع كلّها خير وعطاء، وهو وليد أُسرة هاشمية مباركة، راحت بركاتها تعمّ الخافقين!.

أُمّه:

كانت لعبـد المطلب زوجات خمس، وكان له منهنّ عشـرة ذكور وست نساء، فأمّ عبـداللَّه والد النبىّ صـلى الله عليه و آله، وأبى طالب والد الإمام علىّ عليه السـلام، والزبير، وجميع النساء غير صـفية، كانت فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

فـأبو طالب يلتقى مع رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله من الام بجـدّهم مُرّة، فأمّ رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله هى آمنـة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب

ص: ١٣٠

ابن فهر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام: فرسول اللَّه صلى الله عليه و آله أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قِبَل أبيه وأُمّه (١). وما من شك أنّ هذه الأشرفية والأفضلية تشمل أبا طالب أيضاً.

زوجته:

إنّ الكلام عن «أبو طالب» يجرّنا إلى الكلام عن زوجته الفاضلة الوحيدة (٢)، ابنة عمّه، وهى أوّل هاشميّة تزوّجها هاشمى، وعليّ بن أبى طالب يعدّ واخوته هاشميين أباً وأُمّاً، فقد تعوّد بنو هاشم أن يصهروا إلى أُسر أُخرى.

لقد كانت هذه المرأة الجليلة ذات منزلة رفيعة جعلتها من اللائى امتازت حياتهنّ بمواقف عظيمة فى حركة الأنبياء ومسيرتهم عبر التأريخ، فقد أثنى عليها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لاهتمامها به ورعايتها له طيلة سبعة عشر عاماً، ممّا جعله شاكراً لها ولمعروفها معه، حتى كان يدعوها «أُمّى بعد أُمّى التى ولدتنى» فقد كانت تفضّله على أولادها الأربعة.

حظيت هذه السيدة والمرأة المؤمنة الطاهرة بمكانة عظيمة فى قلب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وتركت فى نفسه آثاراً طيبة، راح يذكرها طيلة حياته، ويترحم عليها، ويدعو لها... تقول الرواية:

لما ماتت فاطمة بنت أسد أُمّ عليّ - وكانت قد أوصت لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقَبِل وصيتها - ألبسها النبيّ صلى الله عليه و آله قميصه، واضطجع معها فى قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول اللَّه صنعت هذا!

فقال: «إنّه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ بى منها، إنّما ألبستها قميصى؛ لتكسى من حلل الجنّة، واضطجعت معها؛ ليُهوَّن عليها».

١- السيرة النبوية لابن هشام ١: ١١٠.

٢- قيل: إنّ له زوجة أُخرى تُدعى «عَلَّة» ولدت له «طليق».

ص: ۱۳۱

وفى دعاء خاص لها، قال: «اللهم اغفر لامّى فاطمة بنت أسد، ولقنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها». وخرج صلى الله عليه و آله من قبرها وعيناه تذرفان دموعهما وكان هذا فى السنة الرابعة من الهجرة النبويهٔ.

لقد كانت رضوان اللَّه عليها لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله طيلهٔ سبعهٔ عشر عاماً قضتها معه بمنزلهٔ الامّ، بل كانت أماً بكلّ ما تعنيه هذه الكلمهٔ من معنى، وقد كانت بارّةً برسول اللَّه صلى الله عليه و آله «لم يكن بعد أبى طالب أبرّ بى منها» فحنانها وشفقتها ورعايتها له، بلغت مبلغاً عظيماً حتى فاقت رعايتها لأبنائها، وكأنّها تعلم أنّ له مكانهٔ عظيمهٔ وشأناً جميلًا، تقول بعض الروايات كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً، ويصبح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كحيلًا دهيناً.

هذا فى مداراتها لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وحبّها له. أمّا فى إيمانها، فقد كانت بدرجهٔ عظيمهٔ، ومن السابقات إلى الإسلام بعد عشرهٔ من المسلمين، ومن المهاجرات الأول إلى المدينهٔ، ثمّ هى بعد هذا بدريّهٔ وهى كرامهٔ عظيمهٔ لها (۱).

بدأ أبو طالب حياته مع هذه السيدهٔ الهاشميهٔ المُباركهٔ بخطبته التى قال فيها:

«الحمد للَّهربّ العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذى اصطفانا أعلاماً وسادةً، وعرفاء خلصاً وقادةً، وحجّهٔ بهاليل، أطهاراً من الخنا والريب، والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضّلنا على العشائر، نخب إبراهيم وصفوته، وزرع إسماعيل، وقد تزوجت فاطمهٔ بنت أسد، وسقت المهر، وأنفذت الأمر، فاسألوه واشهدوا».

فقال أسد: زوجّناك ورضينا بك.

وأولم أبو طالب سبعهٔ أيام متواليهٔ، ينحر فيها الجزر، وفى ذلك يقول أُميهٔ بن السلط:

۱- انظر فى هذا وغيره مقالتنا فى ميقات الحج ۱۴.

ص: ۱۳۲

أغمزنا عرس أبى طالب وكان عرساً لين الجانب

إقراؤه الضيف بأقطارها من رجل خفّ ومن راكب

فنازلوه سبعة أحصيت أيامها للرجل الحاسب

أولاده:

كان لأبى طالب من الأولاد الذكور أربعة، أكبرهم طالب ثمّ عقيل، ثمّ جعفر ثمّ علىّ، وكلّ واحد أكبر من الذى بعده عشر سنوات، وكان على أصغر أولاده.

ومن الإناث: اُمّ هانى. وكلّهم من فاطمة بنت أسد، التى لم يتزوّج غيرها.

أبو طالب ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

بعد هذا الاستعراض السريع، نعود إلى علاقته برسول اللَّه صلى الله عليه و آله كفالةً وحبّاً ودفاعاً وإيماناً بما جاء به؛ أمانة السماء التى حملها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بشيراً ونذيراً، ورحمةً للعالمين.

فإنّه يحسّ بشرفٍ!

لقد تكفّل جدّه عبد المطلب محمداً تربية وتنشئةً... وحفظه ورأف به رأفةً لم يرأفها بأولاده أبداً. فقد كان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلّاأحضره معه وشركه فيه... وليس هذا فقط، بل كان يقرّبه ويدنيه إلى مجالسه العامّة والخاصة؛ لأنّه كان يستبشر به خيراً كثيراً، فكان لعبد المطلب مجلس خاص به فى حجر إسماعيل، وهو مكان تعوّد العرب أن لا- يجلس فيه إلّازعماؤهم وأشرافهم وكبراؤهم دون غيرهم من الناس مهما كانت منزلتهم وعلت مكانتهم، فهذا المكان كان خاصّاً بأولئك الأشراف.

قال عطاء: سمعت ابن عبّاس يقول: سمعت أبى يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامةً، وأحسن الناس وجهاً، ما رآه قط شىء إلّاأحبّه، وكان له مفرش فى

ص: ۱۳۳

الحجر لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس معه عليه أحد، وكان الندى من قريش حرب بن أُميّة فمن دونه يجلسون دون المفرش.

فجاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو غلام يدرج؛ ليجلس على المفرش، فجذبوه فبكى.

فقال عبد المطلب، وذلك بعدما حجب بصره؛ ما لابنى يبكى؟!

قالوا له: إنّه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه.

فقال عبد المطلب: دعوا ابنى، فإنّه يحسّ بشرف، أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قطّ (۱).

الكفالة المُباركة:

كان عبد المطلب يرى فى ابنه «أبو طالب»- الذى حظى بوراثة جميع مناقبه- الشخصية اللائقة بما تملكه من صفات رفيعة وخصال جليلة، بكفالة يتيم بنى هاشم، سيد الكائنات محمّد بن عبداللَّه، الذى كان يترقّب- كما ذكرنا- فيه شرفاً عظيماً وأمراً كبيراً ومستقبلًا باهراً لا يخلو من مخاطر وعقبات وآلام قد يتعرّض لها فى مسيرته، وهو ما يلمسه كلّ قارئ لوصيته، التى أودعها ابنه البار أبا طالب، الذى رآه من دون الآخرين من بنى هاشم وغيرهم، جديراً بحمل هذه الأمانة، وهى أمانة ليست سهلةً بما تحمله من آثار كبيرة ومشاكل جمّة، قد يتعرّض لها أبو طالب أيضاً، لهذا نرى عبد المطلب قد اختاره من دون اخوته الآخرين لهذه المسؤولية، فما إن نزل به المرض حتى نادى أبا طالب، وراح يعهد إليه كفالة حبيبه محمّد، ويوصيه بقوله:

«انظر يا أبا طالب، أن تكون لهذا الوحيد، الذى لم يشمّ رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أُمّه، انظر أن يكون منك بمنزلة كبدك، فإنّى قد تركتُ بنى كلّهم، وخصصتك به...»

۱- انظر حجر اسماعيل فى تأريخ الأزرقى والفاكهى وغيرهما.

ص: ۱۳۴

وفى قول آخر: يا أبا طالب إنّى قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنتُ له.

وفى قول ثالث: يا بنى قد علمتَ شدّة حبّى لمحمّد ووجدى به، انظر كيف تحفظنى فيه.

ثمّ قال: «إن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنّه، واللَّه سيسودكم، ويملك ما لم يملك أحدٌ من آبائى».

ثمّ راح يصوّب ناظريه إلى وجه أبى طالب، كأنّه يريد أن يستطلع ما يدور فى خلجات نفسه وردودها فيقول:

هل قبلت يا أبا طالب؟

فيجيبه قائلًا: قد قبلتُ، واللَّه على ذلك شهيد.

ثمّ يضع يـده بيد ابنه ويشدّ بقوّة عليها، قائلًا: الآن خُفّف علىّ الموت، وراح يغمض عينيه بهدوء، ويرحل هناك إلى حيث الدار الآخرة بقلب راضٍ ونفسٍ مطمئنة، عن عمر ناهز مئة وعشرين عاماً.

فكان أبو طالب يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه وعلى جميع أهله، ويغدق عليه محبته وعطفه وحنانه، يقول ابن سعد فى طبقاته:

كـان أبو طالب لا مال له، وكان يحب محمّـداً حبّاً شديـداً لا يحبّه ولـده، وكان لا ينام إلّاإلى جنبه، ويخرج فيخرجه معه، وصبّ به أبو طالب صبابةً لم يصب بشىء مثلها قط، وكان يخصّه بالطعام... (۱)ثمّ واصل ابن سعد قوله:

وشبّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مع أبى طالب يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهلية ومصائبها (۲).

۱- الاحتجاج ۱: ۳۴۳.

۲- طبقات ابن سعد ۱: ۱۱۹- ۱۲۱.

ص: ۱۳۵

وصحبه!

وقد صحبه إلى حرب الفجّار، وكان غلاماً عمره أربعة عشر عاماً، وقد انتصرت فيها هوازن حليفة أبى طالب على كنانة بيمن محمّد صلى الله عليه و آله، وفى خبر آخر... فإذا جاء أبو طالب هُزمت قيس، وإذا لم يجئ هزمت كنانة، فقالوا لأبى طالب:

لا أبا لك! لا تغب عنّا. ففعل (۱).

وصحبه فى الاستسقاء لقومه داعياً ربّه أن يكشف عنهم القحط، وهنا بسط محمّد كفّيه، ودعا مع عمّه، فإذا الغيث ينهمر من السماء وافياً كافياً.

ذكر ابن عساكر من أنّ أهل مكّة قحطوا، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنّه شمس تجلّت، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام باصبعه، وأومأ نحو السماء، فأقبل السحاب من هنا وهناك، وأغدق وأخصبت الأرض.

وهنا أنشأ أبو طالب يقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلّاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل

وصحبه فى رحلته إلى ذى المجاز، وفيها عطش أبو طالب حتى كادت حرارة العطش تلتهم كبده، فما كان من محمّد إلّاأن مدّ يده إلى صخرة شامخة، فإذا بالماء يتدفّق منها عذباً فراتاً.

وصحبه ليخطب له خديجة بنت خويلد الأسدى، المعروفة بشرفها وعفّتها ومالها، فقد كانت تستأجر الرجال فى تجارتها، وقد حظيت أخيراً برسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله ليخرج فى تجارتها إلى الشام وهو ابن خمس وعشرين سنة مع

۱- شرح نهج البلاغة ۳: ۴۶۹.

ص: ۱۳۶

غلامها ميسرة، فباع بضاعتها بأضعاف ما كانت خديجة تربحه، فسرّت بهذا كثيراً، وحدّثت نفسها بالزواج منه...

فابتدأ أبو طالب خطبتها بأن قال: الحمد لربّ هذا البيت، الذى جعلنا من زرع إبراهيم، وذريّة إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على الناس، وبارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه...

ما أجمل كلامك يا أبا طالب و أعظمه!

ثمّ إنّ ابن أخى هذا- يعنى محمّد بن عبداللّه- ممّن لا يوزن برجل من قريش، إلّا رجح به، ولا يقاس به رجل إلّاعظم عنه، ولا عدل له فى الخلق، وإن كان مقلّاً فى المال، فإنّ المال رفد جارٍ وظلٍّ زائل!

وله فى خديجة رغبة، وقد جئناك (ويقصد به ورقة بن نوفل عمّها) لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر علىَّ فى مالى، الذى سألتموه عاجله وآجله، وله وربّ هذا البيت حظٌّ عظيم ودين شائع ورأى كامل...

ثمّ سكت أبو طالب، وتكلّم عمّها وتلجلج أى تردّد فى الكلام وقصر عن جواب أبى طالب، وأدركه القطع والبهر (النَفس من الأعياء).

وهنا قالت خديجة مبتدئة: يا عمّاه إنّك وإن كنت أولى بنفسى منّى فى الشهود، فلستَ أولى بى من نفسى، قد زوّجتك يا محمّد نفسى والمهر علىَّ فى مالى، فأمر عمّك، فلينحر ناقةً فليولم بها، وادخل على أهلك.

وهنا قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمّداً وضمانها المهر فى مالها.

فقال بعض قريش: يا عجباه المهر على النساء للرجال! فغضب أبو طالب غضباً شديداً، وقام على قدميه، وكان ممّن يهابه الرجال، ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخى هذا، طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم، لم يزوّجوا إلّابالمهر الغالى.

ونحر أبو طالب ناقةً، ودخل رسول اللّه صلى الله عليه و آله بأهله...

ص: ۱۳۷

إظهار الدين الجديد:

فی السنهٔ الرابعهٔ من البعثهٔ النبویهٔ المُبارکهٔ، جاء أمر السماء محمّداً أن یظهر دعوته ویجهر بها، فبادر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عمّه العباس قائلًا له:

إنّ اللَّه تعالی أمرنی بإظهار أمری، فما عندک؟

فقال له العباس: یا ابن أخی، تعلم أنّ قریشاً أشدّ حسداً لوالدک، وإن کانت هذه الخصلهٔ الطامّهٔ الطّماء، والداهیهٔ العُظمی، ورمینا عن قوس واحد، لکن قرب إلی عمّک أبی طالب، فإنّه أکبر أعمامک، إن لا ینصرک، لا یخذلک ولا یسلمک، فأتیاه، فلمّا رآهما أبو طالب قال: ما جاء بکما فی هذا الوقت؟ فأخبره العباس بالحال، فنظر إلیه أبو طالب وقال: یا ابن أخی إنّک الرفیع کعباً، والمنیع حزباً، والأعلی أباً، واللَّه لا یسلقک لسان، إلّاسلقته ألسن جداد، واحتدمته سیوف حداد، واللَّه لتذلنّ لک العرب، ولقد کان أبی یقرأ الکتب جمیعاً، ولقد قال: إنّ من صلبی لنبیّاً، لوددت أنّی أدرکت ذلک فآمنت به، فمن أدرکه من ولدی فلیؤمن به.

وأنذر عشیرتک الأقربین (الشعراء: ۲۱۴):

وفی تفسیر هذه الآیهٔ، بعض من المفسّرین ومن أصحاب السیر أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله لما قام لیدعو أُسرته، عارضه أبو لهب، فقال أبو طالب: اسکت یا أعور! ما أنت وهذا؟ ثمّ قال للنبی صلی الله علیه و آله: قم یا سیّدی وتکلّم بما تحب، وبلّغ رسالهٔ ربّک، فإنّک الصادق الصدیق (۱).

* وفود قریش:

تعاقبت وفود قریش علی أبی طالب، بعد أن أعلن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله رسالهٔ السماء، فکان یواجهها بمواقفه المعروفهٔ بالحکمهٔ.

۱- انظر غایهٔ السؤول عن ابراهیم الحنبلی بأسانید عدیدهٔ، وغیره من المصادر.

ص: ۱۳۸

* وفد قريش الأوّل:

ومضى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على أمر اللَّه، مظهراً لأمره، لا يردّه عنه شيء. فلمّا رأت قريش أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لا ـ يعتبهم (أى لا ـ يرضيهم) من شيء، أنكروه عليه، من فراقهم وعَيب آلهتم، ورأوا أنّ عمّه أبا طالب قد حَدِبَ عليه، وقام دونه، فلم يُسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب، عتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس...، وأبو سفيان بن حرب بن أُميّة... وأبو البخترى، والأسود بن عبدالمطلب ابن أسد، وأبو جهل والوليد بن المغيرة وبنيه ومنبّه ابنا الحجاج والعاص بن وائل...

فقالوا وهم على كلمة واحدة لا غيرها: إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تُكفّه عنّا، وإمّا أن تخلّى بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقاً، وردّهم ردّاً جميلًا، فانصرفوا عنه.

* وفد قريش الثانى:

ثم إنّهم مشوا إلى أبى طالب مرّةً أُخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّا وشرفاً ومنزلة فينا، وإنّا استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنّا، وإنّا واللَّه لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك فى ذلك، حتى يهلك أحدُ الفريقين...

وفى خبر آخر أنّ قريشاً حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة، بعث إلى رسولاللَّه صلى الله عليه و آله، فقال له: ياابن أخى، إنّ قومك قد جاؤونى، فقالوا لى كذا وكذا، للذى كانوا قالوا له، فأبقِ علىّ وعلى نفسك، ولا تُحمّلنى من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قد بدا لعمّه فيه بَداء، أنّه خاذله ومسلّمه، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: يا عمّ، واللَّه لو وضعوا الشمس فى يمينى،

ص: ۱۳۹

والقمر فی یساری علی أن أترک هذا الأمر حتی یُظهره اللّه، أو أهلک فیه، ما ترکته، ثم استعبر رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فبکی ثمّ قام، فلمّا ولّی ناداه أبو طالب، فقال: أقبل یاابن أخی، قال: فأقبل علیه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فقال: إذهب یا ابن أخی، فقل ما أحببت، فواللّه، لا أُسلّمک لشیء أبداً.

* وفد قریش الثالث:

ثمّ إنَّ قریشاً حین عرفوا أنّ أبا طالب أبی خذلان رسول اللّه صلی الله علیه و آله مشوا إلیه بعُمارة بن الولید بن المغیرة، فقالوا له: یا أبا طالب، هذا عمارة بن الولید، أنهد (أشدّ وأقوی) فتی فی قریش وأجمله، فخذه، فلک عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لک، وأسلم إلینا ابن أخیک هذا، الذی قد خالف دینک ودین آبائک، وفرّق جماعة قومک، وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنّما هو رجل برجل، فقال: واللّه لبئس ما تسوموننی (تکلفوننی) أتُعطوننی ابنکم أغذوه لکم، وأعطیکم ابنی تقتلونه؛ هذا واللّه ما لا یکون أبداً... (۱) أبو طالب والموقف القرشی:

وأخیراً- وبعد أن یئست وفودها- تیقنت قریش وزعماؤها أنّ أبا طالب لا یسلم ابن أخیه ولا یخذله، بل سیمنع محمّداً صلی الله علیه و آله منهم بکل ما أوتی من قوّة، وما دام فیه عرق ینبض، بل راحوا یلمسون ویرون نشاطه الواضح فی الترویج للرسالة الجدیدة، ویحرّض أهله علی الإیمان بها والوقوف بجانب محمّد صلی الله علیه و آله ونصرته.

فتارةً: یأمر ابنه جعفراً بالصلاة، حیث رأی محمّداً صلی الله علیه و آله یصلّی، وإلی جانبه علی علیه السلام، فیقول لجعفر: صل جناح ابن عمّک (۲).

۱- انظر السیرة النبویة ۱: ۲۶۴- ۲۶۸ ففیها تفصیل کثیر.

۲- انظر الإصباح ۷: ۱۱۲.

ص: ۱۴۰

وأُخرى: يقول لأخيه حمزة حينما أعلن إسلامه:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفّقت صابرا

وثالثة: يخاطب محمّداً صلى الله عليه و آله بعد وفود قريش له، تستعين به على إيقاف جهد محمّد ونشاطه فى تسفيه أحلامهم ومعتقداتهم، ثمّ دعوتهم إلى الإيمان باللّه تعالى وحده. فيقول له:

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

أبو طالب والحصار فى الشعب:

لما رأى أبو طالب أنّ قريشاً يئست فى كلّ محاولاتها من الوصول إلى هدفها فى استمالته إلى جانبها ضد محمّد صلى الله عليه و آله ودعوته، وبالتالى منع الدعوة الجديدة من الانتشار والاتساع فى المجتمع المكّى وأطرافه وقبائله، بدأت تغيّر أساليبها لتقويض الدين الجديد، فراحت تفكّر بإيذاء الرسول صلى الله عليه و آله بل بقتله، فما كان من أبى طالب إلّاأن يأمُر بنى هاشم وبنى المطلب أن يدخلوا برسول اللّه صلى الله عليه و آله الشعب، ليمنع ما قد تقدم عليه قريش من أذى لرسول اللّه صلى الله عليه و آله... أو أنّه دخل ورسول اللّه صلى الله عليه و آله وجمع معه الشعب، ثمّ انحاز إليهم بنو هاشم والمطلب إلّاأبا لهب فقد خرج من بنى هاشم وظاهر قريشاً.

الصحيفة وما آلت إليه:

حيث إنّ قريشاً ما إن رأت هذه الخطّة الجديدة من أبى طالب حتى استقرّ رأيها على كتابة عهد يوقّعه الجميع، يتضمّن مقاطعة شاملة سياسية واقتصادية واجتماعية لبنى هاشم والمطلب، وأن يضيّقوا عليهم ويمنعوهم من حضور الأسواق، وأن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم، ولا يقبلوا لهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول اللّه صلى الله عليه و آله. وبعد أن كتبوا هذه الوثيقة، وتعاهدوا وتواثقوا فيها فى

ص: ۱۴۱

جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب هذه الصحيفة منصور بن عكرمة ابن عامر، ويُقال النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله فشلّ بعض أصابعه.

وقال أبو طالب شعراً:

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا لؤيّاً وخُصّا من لؤى بنى كعب

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبيّاً كموسى خُطّ فى أوّل الكتب؟

وأنّ عليه فى العباد محبةً ولا خير ممّن خصّه اللّه بالحب

وأنّ الذى ألصقتم من كتابكم لكم كائن نحساً كراغبة السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنباً كذى الذنب

ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا أواصرنا بعد المودّة والقرب

فلسنا وربّ البيت نسلم أحمداً لعزّاء (لشدة) من عضّ الزمان ولا كرب

أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نملّ الحرب حتى تملّنا ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب

ظل بنو هاشم والمطلب ومن معهم ثلاث سنين، وقول آخر، مكثوا سنتين فى الشعب، فترك هذا الحصار أثره عليهم، وأصابتهم ضائقة شديدة، حتى جهدوا حيث لا ـ يصل اليهم شىء إلّاسرّاً، وكان دور أبى طالب وأُمّ المؤمنين خديجة عظيماً فى تخفيف المعاناة هذه داخل الشعب، حيث كانا يدخلان المؤن والأقوات إلى داخل الشعب خفيةً، حتى هيّأ اللّه تعالى الأرضة فأكلت معاهدة قريش، وأوصى اللّه تعالى إلى رسوله بهذا، فأخبر عمّه أبا طالب: يا عمّ إنّ ربى اللّه قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو للّهإلّاأثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان.

فقال: أربك أخبرك بهذا؟

قال: نعم.

ص: ۱۴۲

قال: فواللَّه ما يدخل عليک أحد.

فبادر أبو طالب إلى مجالس قريش وأنديتها، ليخبرهم بما آلت إليه وثيقتهم، وبما صنع اللَّه تعالى فى صحيفتهم، وأنّ الذى أخبره بذلک هو رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ووضعهم بهذا أمام امتحان واختبار حيث قال لهم: إن كان الحديث كما يقول ابن أخى، فأفيقوا، وإن لم ترجعوا، فواللَّه لا نسلّمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذى يقول باطلًا، دفعنا إليكم صاحبنا.

فقالوا: قد رضينا بما تقول، وتعاقدوا على ذلک، ثمّ فتحوا الصحيفة، فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق الأمين.

وعندما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب، قالوا: هذا سحر ابن أخيک، وما زادهم ذلک إلّابغياً وعتواً وعدواناً...

فقال لهم أبو طالب: علام نحبس ونحصر، وقد بان الأمر، وتبيّن أنّكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة؟

ثمّ دخل يمين أستار الكعبة، ودخل معه بنو هاشم قائلين: اللّهمّ انصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل من يحرم عليه منا، ثمّ انصرفوا إلى الشعب.

وقال أبو طالب فى هذا شعراً.

وقد كان فى أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبّر غائب القوم يعجب

محا اللَّه عنها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحقّ معرب

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلًا ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب (۱)

وفى نهاية هذا الموقف وافق أبا طالب قوم وآمنوا به وامتنع آخرون.

وقام أبو طالب يمدح أولئک النفر الذين قاموا- بعد أن اتّضح لهم الحقّ- فى

۱- انظر ابن الأثير فى الكامل ۲: ۳۶.

ص: ۱۴۳

نقضها فی ستة وعشرین بیتاً من الشعر کان منها:

فیخبرهم أنّ الصحیفة مزّقت وأنّ کلَّ ما لم یرضه اللَّه مفسد (۱)

أبو طالب یستحث قومه:

وحینما رأی أبو طالب ما تقوم به قریش من تعذیب أتباع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ومریدیه، وما یصنعونه فی بنی هاشم وبنی المطلب، دعا قومه إلی المجیء الی ما هو علیه، والانضمام إلیه، من منع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، والقیام دونه، فلبّی قومه دعوته، إلّا ما کان من تمرّد أبی لهب وعدم استجابته لهذه الدعوة.

وما إن رأی أبو طالب موقف قومه هذا وما سرّه فی جهدهم معه، وحدبهم علیه، حتی راح یمدحهم ویذکر قدیمهم، وفضل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فیهم، ومکانته الکبیرة بینهم، لیشُدّ لهم رأیهم، ولیَحدَبوا معه علی أمره، فقال:

إذا اجتمعت یوماً قریش لمفخر فعبدُ مناف سرها وصمیمها

وإن حُصّلت أشراف عبد منافها ففی هاشم أشرافها وقدیمها

وإن فخرت یوماً فإنّ محمّداً هو المصطفی مَن سرّها وکریمها

تداعت قریش غُثها وسمینها علینا فلم تظفر وطاشت حلومها (۲)

الوصیة الأخیرة:

من علی فراش مرضه، الذی یدثّره وقد مات فیه، انطلقت کلمات رائعة، فکانت نوراً یدخل القلوب، وکانت وصایا تنبع الحکمة من أعماقها، وکانت کلمات تتفوّه بها بصیرة نافذة:

یا معشر قریش! أنتم صفوة اللَّه من خلقه وقلب العرب، وفیکم السیّد

۱- انظر القصیدة کاملة فی السیرة النبویة لابن هشام ۱: ۳۷۷- ۳۸۰.

۲- انظر المصدر نفسه.

ص: ۱۴۴

المُطاع، وفيكم المُقدام الشجاع، واعلموا أنّكم لم تتركوا نصيباً فى المآثر إلّا أحرزتموه، ولا شرفاً إلّاأدركتموه...

وإنّى أوصيكم بتعظيم هذه البنية- الكعبة- فإنّ فيها مرضاة الرب، صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإنّ صلة الرحم منسأة فى الأجل، وزيادة فى العدد، واتركوا البغى والعقوق، ففيهما هلكت القرون قبلكم... أجيبوا الداعى، وأعطوا السائل، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة.

ولم يقف عند هذا، بل راح يوصيهم برسول اللَّه خيراً، فيقول:

وإنّى أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنّه الأمين فى قريش، والصديق فى العرب، وهو الجامع لكلّ ما أوصيتكم به، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة.

ثمّ راح يحدّق بعيداً فى مستقبل هذه الامّة والرسالة، فيقول:

وأيم اللَّه، لكأنّى أنظر إلى صعاليك العرب والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وعظّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، ولكأنّى به، وقد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها...

ثمّ يلتفت إلى محمّد ويخاطبهم بقوله:

واللَّه لا يسلك أحدٌ سبيله إلّارشد... ولا يأخذ أحد بهديه إلّاسعد، انصروا محمّداً فإنّه الهادى الى سواء السبيل.

ولو أنّ اللَّه تعالى أخّر أجله وأمدّ فى عمره، وقد عبّر عن اُمنيته هذه بقوله:

ولو كان للنفس مدة، وفى أجلى تأخير؛ لكففتُ عنه الهزاهز، ولدافعتُ عنه الدواهى.

هذه هى وصيّته فى عامة الجالسين، وكان منهم المشركون الذين يتلهفون إلى موته، ليميلوا على محمّد وصحبه، ميلةً واحدة، ويبطشوا بهم.

ثم تحين منه التفاتة إلى بنى هاشم، بعد أن خلا المجلس إلّامنهم، فيقول:

ص: ۱۴۵

يا معشر بنى هاشم! أطيعوا محمّداً وصدّقوه، تفلحوا وترشدوا...

ثمّ راح يخصّ أربعة من الهاشميين وهم: ولداه: على وجعفر، وأخواه:

الحمزة والعباس، فيقول:

أوصى، بنصر نبى اللّه، أربعة ابنى علياً، وعم الخير عباسا

وحمزة الأسد المخشىَّ صولته وجعفراً، أن تذودوا، دونه الناسا

كونوا- فداء لكم أمّى، وما ولدت فى نصر أحمد، دون الناس، أتراسا (۱)

و مَن كانت هذه وصاياه، أتظنه يموت كافراً، و عن هذا النعيم و الفلاح غافلًا ...؟!

وفاة أبى طالب:

توفى بيضة البلد عن ستة وثمانين عاماً، فى شهر رمضان، وقيل فى النصف من شوال، وقيل فى رجب من السنة العاشرة للبعثة النبويّة الشريفة، أى قبل الهجرة بثلاث سنوات، قبل وفاة أُمّ المؤمنين خديجة بثلاثة أيام، أو بشهور على قول ولهذا سمّى الرسول هذا العام عام الحزن، وقال: «اجتمعت علىَّ فى هذه الأيام مصيبتان بأيّهما أنا أشدّ جزعاً» (۲).

فما إن أغمض عينيه الساهرتين على رسول اللّه صلى الله عليه و آله حفظاً ورعايةً ومؤازرةً ودفاعاً ودعوةً إلى ما يحمله بين يديه، حتى أمر الرسول عليّاً أن يغسّله ويكفّنه، فعن على أنّه قال: أخبرت رسول اللّه صلى الله عليه و آله بموت أبى طالب، فبكى، ثم قال: «اذهب فغسّله، وكفّنه، وواره غفر اللّه له» (۳).

وفى خبر ثمّ جاء رسول اللّه صلى الله عليه و آله يشيعه ويرثيه قائلًا:

۱- انظر فى هذا كلّه السيرة النبويّة وغيرها من مصادر التاريخ وما كتب عنه وهو كثير.

۲- السيرة النبويّة ۲: ۴۱۶ وغيرها.

۳- طبقات ابن سعد ۱: ۱۲۳.

ص: ۱۴۶

«وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً، فلقد ربيت، وكفلت صغيراً... ونصرت، وآزرت كبيراً... أمّا واللّه لأستغفرنَّ لك، ولأشفعنّ لك شفاعة يعجب لها الثقلان...

وا أبتاه! وا أبا طالباه! وا حزناه عليك يا عم كيف أسلو عنك، يا من ربّيتنى صغيراً، وأحببتنى كبيراً، وكنتُ عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد؟!

بهذه العبارات والعبرات والقلب الحزين ودّع رسول اللّه صلى الله عليه و آله عمّه، كما ودّعته الرسالة كذلك. بكاه الرسول والرسالة والناس أجمعون، بكته الجموع المؤمنة أباً رحيماً وعمّاً ودوداً ومربّياً واعياً ومدافعاً حكيماً، ومؤمناً حليماً...

يقول البكرى فى كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام عن الحزن الذى ملأ أجواء مكّة:... شققن النساء على أبى طالب الجيوب، ونشرن الشعور، وشمل الحزن جميع شعاب مكّة وشعوبها.

وراح أمير المؤمنين يرثى أباه:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول، ونور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ فصلّى عليك ولىّ النعم

ومما قيل عنه:

نذكر هنا بعض الروايات والأقوال الواردة بحقّه رضوان اللّه عليه

عن الإمام علىّ عليه السلام أنّه قال:

كان واللّه أبو طالب... مؤمناً مسلماً، يكتم إيمانه مخافةً على بنى هاشم أن تنابذها قريش (۱).

... كان أمير المؤمنين يعجبه أن يروى شعر أبى طالب وأن يدوّن، وقال:

تعلموه وعلّموه أولادكم، فإنّه كان على دين اللّه، وفيه علم كثير.

۱- انظر أبو طالب عملاق الإسلام الخالد، لمحمد على أسد: ۱۵۲ عن مجلة نهج الإسلام.

ص: ۱۴۷

روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال:

إنّ أصحاب الکهف أسروا الإیمان وأظهروا الکفر، فأتاهم اللَّه أجرهم مرّتین، وإنّ أبا طالب أسرّ الإیمان وأظهر الشرک، فأتاه اللَّه أجره مرّتین، وما خرج من الـدنیا حتی أتته البشارهٔ من اللَّه بالجنّـهٔ، کیف یصـفونه بهذا (أنّه مات کافراً) وقد نزل جبریل لیلهٔ مات أبو طالب، فقال یا محمّد أخرج من مکّهٔ فما لک بها من ناصر بعد أبی طالب (۱).

ممّا قالوا:

یقول ابن الأـثیر فی جامع الاصول:... فلمّا رأی المشـرکون ذلک- یعنی إظهار الـدعوهٔ- خالفوه وعانـدوه، وأظهروا عـداوته، وأجمعوا علی أذاه، وهمّوا بقتله، فأجـاره عمّه أبو طالب، ودفع عنه وحماه، إلّاأنّ قریشاً تظافروا علی بنی هاشم وبنی المطلب حتی حصـروهم فی الشعب...

ثم قال: فمات أبو طالب بعـد ذلک بسـتهٔ أشـهر، وماتت خدیجـهٔ بعـده بثلاثـهٔ أیام، وقیل: بخمسهٔ أیام، وقیل: بأکثر من ذلک، فبان أثر موتهما علی النبیّ صلی الله علیه و آله، فخرج إلی الطائف (۲).

وقال الزمخشری: قال النبیّ صلی الله علیه و آله: «ما زالت قریش کاعهٔ، حتی مات أبو طالب» أی جبناء عن أذای، جمع کائع (۳).

یقول الطبری: ولما هلک أبو طالب، خرج رسول اللَّه صلی الله علیه و آله إلی الطائف یلتمس من ثقیف النصر والمنعهٔ له من قومه (۴).

۱- راجع شرح نهج البلاغهٔ ۳: ۴۶۶، و أعیان الشیعهٔ ۳۹: ۱۳۶، والغدیر ۷: ۳۸۱.

۲- جامع الأُصول ۱: ۲۹۶.

۳- انظر الفائق ۳: ۲۹۰.

۴- تاریخ الطبری ۱: ۵۵۴.

ص: ۱۴۸

ويقول أيضاً، بعد أن يذكر أنّ أبا طالب وخديجة هلكا فى عام واحد قبل هجرته صلى الله عليه و آله إلى المدينة بثلاث سنين: فعظمت المصيبة على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، بهلاكهما؛ وذلك أنّ قريشاً وصلُوا من أذاه بعد موت أبى طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه فى حياته حتى نثر بعضهم على رأسه التراب...

وقال ابن أبى الحديد: ومَن أراد أن يقف على شدّة بلاء أبى طالب فى الدفع عنه والذب حين تعاقدت قريش على قطعه صلى الله عليه و آله، وكتبوا فى ذلك الكتاب وعلّقوه فى الكعبة، ووثبت كلّ قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم على الصخر والصفا فى حرّ الشمس، وحين صدّوهم فى الشعب سنتين أو ثلاثاً، ومع ذلك كلّه أبو طالب يحوط النبىّ صلى الله عليه و آله ويمنعه ويقوم دونه، فليراجع كتب السير، يقف على ما صنعه معه، بل لشاهد عياناً صدق قول الباقر عليه السلام، وقد سئل عن إيمانه: «ولو وضع إيمان أبى طالب فى كفّة ميزان، وإيمان هذا الخلق فى الكفّة الاخرى؛ لرجح إيمانه» (۱).

وهنا يذكر ابن أبى الحديد: أنّ على بن الحسين عليه السلام سُئل عن هذا، فقال:

«واعجباً، إنّ اللَّه تعالى نهى رسوله أن يُقرّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبى طالب حتى مات» (۲).

روى عكرمة عن ابن عباس أنّه قال: جاء أبو بكر إلى النبىّ صلى الله عليه و آله بأبى قحافة، يقوده وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لأبى بكر: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه؟! فقال أبو بكر: أردت يا رسول اللَّه أن يأجرنى اللَّه، أما والذى بعثك بالحقِّ لأنا كنتُ أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبى طالب منى بإسلام أبى، التمس بذلك قرّة عينك.

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: صدقت (۳).

۱- شرح نهج البلاغة ۳: ۳۱۶.

۲- شرح نهج البلاغة ۳: ۳۱۶، الاستيعاب بهامش الإصابة ۴: ۳۸۱.

۳- المصدر نفسه ۳: ۳۲۲.

ص: ۱۴۹

وقد اشتهر عن المأمون العباسی أنّه قال: واللّه أسلم أبو طالب بقوله:

نصرتُ الرسول رسول الملیک ببیض تلألأ سمع البروق

أذبّ وأحمی رسول الإله حمایهٔ حام علیه شفیق... (۱)

أبو طالب ضحیّهٔ مؤامرهٔ قذرهٔ!:

بدایتها:

فی العصر الأوّل للإسلام لم یکن هناک أی اختلاف فی إیمان أبی طالب، وإنّما بدأ هذا بعد أن تفاقم الخلاف حتی وصل إلی الصراع بین علی ومعاویهٔ، فراحت الروایات الموضوعهٔ تقوّض مناقب، وتختلق أُخری، وتمیت مواقف، وتصنع غیرها، عبر أکثر من سبعین ألف منبر وخلال سبعین سنهٔ تحت شعار أن برئت الذمّهٔ ممن روی شیئاً فی فضل أبی تراب وأهل بیته... ولا تترکوا خبراً یرویه أحدٌ من المسلمین فی أبی تراب، إلّا وتأتونی بمناقض له فی الصحابهٔ، فإنّ هذا أحبّ إلیَّ وأقر لعینی، وأدحض لحجهٔ أبی تراب وشیعته (۲)، حتی قیل له: أما آن لک- یا معاویهٔ- أن تترک علیّاً وشأنه، وتأمر بترک مسبّته علی المنابر؟

قال معاویهٔ: لا، حتی یموت علیها الکبیر ویربو علیها الصغیر.

لم أجد وأنا أُقلّب صفحات التأریخ بحثاً عمّا یتعلّق بحیاهٔ شیخ قریش وسیّدها أبی طالب، ثغرهً للنفاذ منها إلی تأیید ما ذهب إلیه قوم من تکفیرهم له، وأنّه مات کافراً برسالهٔ السماء، التی حملها ابن أخیه وهو ینطلق من بین یدی أبی طالب نبیّاً رسولًا، مبشّراً نذیراً، ویدا أبی طالب تبارک له عمله وکدحه وجهاده، ویقف سدّاً منیعاً ضد من یرید الکید به قریباً کان أو بعیداً، لم أعثر علی شیء یؤیّد قولهم

۱- انظر شرح نهج البلاغهٔ ۳: ۳۱۷

۲- شرح نهج البلاغهٔ لابن أبی الحدید ۱۱: ۴۴- ۴۶.

ص: ۱۵۰

هـذا، ويقف دليلًا على ما زعموه، إلّاأنى خطر ببالى شىء، قد يكون هو لا غير وقلت فى نفسى: لو كان أبو طالب أبا أحد من رجالهم غير علىٍّ، لما تجرأوا واتهموه بهذا، ولوصفوه بأجمل خصائص الإيمان، وهو فعلًا ما حصل لأبى سفيان وأمثاله، ولملئت كتبهم وحناجرهم مدحاً له واطراءً وثناءً عليه، ولكن الرجل كان ضحيّة بغضهم لابنه علىٍّ، وكان جزءاً من تلك المؤامرة ومن ذلك النزاع، الذى نشب فى صفوف الأُمّة المسلمة بعد رحلة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى الرفيق الأعلى، ثمّ تعاظم حتى اكتمل بمؤامرة الشتم والتسقيط، التى أسّسها وقادها الحكم الأُموى فى الشام، وسخّروا لها كلّ ما من شأنه تزييف الحقائق وتضليل الناس، من مالٍ وسلاح وترغيب وتهديد، لتنال من المقام الشامخ للإمام علىٍّ عليه السلام، حتى كاد أن يكون، بل صار فعلًا الهدف الأوّل والرئيسى لحكمهم.

إنّه صراع بين إسلام رسالى انتهجه علىّ وبنوه وأتباعه، ونهج آخر سار عليه الأمويّون يقدمهم معاوية بن أبى سفيان.

نعم أكملوها بالطعن بأبيه، والغريب أنّ رسائل معاوية إلى علىٍّ عليه السلام خلت من هذا الطعن، بل وحتى أحاديثه، ولو وسعه- كما يقول عبد المفتاح عبد المقصود- لفعل، فأفحش فى القول، وأوفى الكيل، ثمّ لجاء من لدنه بكلّ ما يخسر ميزان الإمام...

ثمّ يتساءل قائلًا:

فلماذا لم يفعل؟

لا عن ولاء للقربى أحجم...

ولا- عن تعفف وتورّع، رعاية لنواميس الأخلاق. فمثله ما كان ليأخذ نفسه بالتفريط فى ذرة هباء تمتلكها يمينه، إن هو علم أنّ الناس سيحسبونها قطرة حقيقة فى خضم من الأكاذيب!

... فأما وقد كفّ ادعاءه، وابتلع خيلاءه، فذلك لأنّه لم يكن يملك فى إيمان أبى طالب أثارة شبهة أو دليل ينفذ من خلالها إلى نقض هذا الإيمان، سواء أكانت هذه

ص: ۱۵۱

الأثارة رأى شانئ معاصر عايش شيخ بنى عبد مناف، أم رواية راوية لاحق آثر الانحراف!

وراح عبد الفتاح يتحدّث بقوله: ولمن يشاء أن يحاج فى هذا الذى نراه، فليأتنا من رسائل ابن أبى سفيان إلى الإمام، أو فى أحاديثه التى ملأ بها آذان مناصريه، بكلمة تشير، من قريب أو من بعيد، إلى ما يخدش إيمان أبى طالب، وينال من صدق إسلامه (۱).

أقول: وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدل على أنّ إيمان أبى طالب فى العصر الأوّل لا يمكن أن يرتاب به أحد، أو أن يسمع من أحد الطعن فيه أو التشكيك أبداً، فهو أمر واضح بين كرائعة النهار، لهذا لم يتجاسر معاوية على الإقدام على مثل هذا الطعن، الذى سينقلب عليه، ورغم أنّه كان يتشبث بكلّ وسيلة للنيل من علىٍّ عليه السلام والطعن فيه، رغم رسائل الإمام إليه، التى لم يستطع معاوية الردّ عليها. ولو كان مرتاباً فى ايمان أبى طالب لكان موضع ردِّه على الإمام.

يقول الإمام على عليه السلام فى ردّه على إحدى رسائل معاوية، التى يقول فيها:

«ونحن بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل، إلّافضل يستدل به عزيز، ولا يُسترق حر... وقد أقذع الإمام له فى الردّ:

«كنّا ونحن وأنتم، على ما ذكرت من الإلفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم...

وإنّك واللّه لأغلق القلب!... وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال، حملتهم الشقاوة وتمنى الباطل على الجحود بمحمّد صلى الله عليه و آله، فصرعوا مصارعهم حيث علمت...

ثمّ واصل الإمام عليه السلام قوله:

۱- انظر مقدمة عبد المفتاح لكتاب إيمان أبى طالب لشمس الدين بن معد الموسوى ت ۶۳۰ ه ۲۲- ۲۳.

ص: ۱۵۲

منّا النبی ومنکم المکذّب، ومنّا أسد اللّه ومنکم أسد الأحلاف، ومنّا سیّد شباب أهل الجنة، ومنکم صبیة النار، ومنّا خیر نساء العالمین، ومنکم حمالة الحطب...

وأمّا قولک: إنّا بنو عبد مناف، فکذلک نحن...

... ولکن لیس أُمیّة لهاشم، ولا حرب کعبد المطلب، ولا أبو سفیان کأبی طالب، ولا المهاجر کالطلیق، ولا الصریح کاللصیق، ولا المحقّ کالمبطل، ولا المؤمن کالمدغل، وبئس الخلف خلف ینبع سلفاً هوی فی نار جهنم!..»

وهنا یقول عبد المفتاح معلقاً: إنّها مفاضلة تغنی عن کلّ تعلیق. فإن کان لابدّ، مع هذا من إیضاح، فمن هو هذا الخلف، سوی معاویة المقصود بالخطاب...

ومن السلف، أقرب السلف، غیر أبی سفیان؟! وهل من سبب لتفضیل أبی طالب علی معاصره أبی سفیان- وحدیث الإمام هنا یشیر إلی الهویّ فی النار- سوی سبب یدرأ من شر جهنم عن الفاضل ما لا یدرأ عن المفضول؟! (۱) وأقول: صحیح أنّه لم یخض شخصیاً فیما خاض به الذین عاصروه أو الذین جاؤوا من بعده، إلّاأنّهم خریجو مدرسته وهم من مرتزقته ومریدیه وأتباعه، فراحت ألسنتهم وأقلامهم تکید کیدهم. ومن کیدها هذا اتهام أبی طالب بهذه التهمة الظالمة.

إنَّ هذا لشیء عجاب:

کیف یموت کافراً- کما زعم الزاعمون- وهو یسمع ابن أخیه، الذی فداه بنفسه وماله وجاهه وأولاده... وعلی مساحة زمنیة استغرقت عشر سنوات یردّد «یا أیها الناس، إنّی رسول اللّه إلیکم، لتعبدوه، ولا تشرکوا به شیئاً» «إنّ هذه الأصنام لغو باطل، لا تملک لکم ضراً ولا نفعاً»، وهو المعروف بحکمته وحلمه...

۱- المصدر السابق.

ص: ۱۵۳

فکیف یفرط بنفسه وعاقبته؟!

قرآن ینزل، آیات تتلی، کلمات رسول اللَّه صلی الله علیه و آله تتردّد هنا وهناک، صنوف من التعذیب یصبّه مشرکو قریش علی المؤمنین، تهدید ووعید، محاصرة،... أکلّ هذه الأُمور لم تجد فی قلب أبی طالب لمسة خیر، ومنعطفاً لإیمانه..؟! إنَّ هذا لشیء عجاب! فأبو طالب صاحب هذه الحیاة المضیئة کیف یسوّغ لنفسه أن یموت غیر مؤمن بما سمعه من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، ولم تکن علی قلبه غشاوة، ولطفُ اللَّه لا- شک قریب من هؤلاء الذین یملکون قلباً کقلب أبی طالب، وشهامة کشهامة أبی طالب، وحلماً کحلم أبی طالب، قطعاً تدرکه رحمة السماء وقد سارع الی اعتناق الرسالة من هو أدنی منه رتبةً وأقلّ منه صفاءً وعطاءً؟!

فهکذا إنسان هذه حیاته بدءاً وخاتمةً، لا یستسیغ المنطق الرشید ولا العقل السدید أن یُتهم بتهمة العزوف عن اللَّه ورسالته، لیعیش کافراً ویموت کافراً، وهو صاحب الضمیر الحی والقلب النابض عاطفةً وحبّاً وحناناً...

إنّ من یقرأ حیاة هذا الرجل، یخرج بنتیجة عظیمة وحصیلة کبیرة، لا یجد لها مثیلًا فی حیاة أقرانه ومعاصریه، بل لا یجدها حتی عند من جاؤوا بعده، اللّهمّ إلّا عند النخبة التی اصطفاها اللَّه وحباها برعایته واختیاره، وارتضاه قدوة صالحة للمؤمنین، وهذه قلّة قلیلة تمثّلت بأهل بیت العصمة والطهارة، وعلیٌّ سیّدهم.

النتیجة تلک والحصیلة أنّ أبا طالب مات مسلماً مضحیاً مجاهداً، لم یُراوده شک أبداً فی أحقیة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وما هو علیه من مبادئ السماء، دلّنی علی من هو أکثر تضحیةً وتحملًا وصبراً وحکمةً وجهاداً من أبی طالب، وهو یعیش الأیام الأُولی والسنین الأول للتأسیس، والتأسیس من أخطر وأدق مراحل الدعوة الإسلامیة خاصةً وهی تعیش فی تلک الظروف، وذلک المجتمع الذی کان التعامل معه مریراً وقاسیاً بما یمتلکه من طبقیّة وعادات وتقالید وموروثات تجذّرت فی ترابه وفی نفوس أبنائه، فکیف یمکن انتشالهم من هذا الواقع المریر؟!

ص: ۱۵۴

إذ يتنازعون بينهم أمرهم:

لقد تنازعوا أمرهم فيه، وهكذا هو شأن العظماء، فاختلفت آراؤهم، وتشتت كلماتهم، وتفرقت أقلامهم فى الكتابة عنه فمنهم:

من قال: إنّ أبا طالب مات كافراً. إنّ أبا طالب مات مؤمناً.

فيما توقّف فريق ثالث فى أمره وتحيّر، كيف يقول بكفره وكلّ ما قدّمه يدلُ على إيمانه؟! وكيف يقول بإيمانه ولم يسمعه يردّد الشهادتين...؟! إلّاأنّهم جميعاً قد اتفقوا على أمر ثالث لا يراودهم الشكّ فيه ألا وهو: أنّ أبا طالب لم يبخل بجاه ولا مال ولا موقف ولا أى شىء إلّاوسخّره لخدمة الرسالة ورسولها الكريم، بل يكاد إجماعهم هذا يؤكد أن لا أحد خدم الإسلام كما خدمه أبو طالب طيلة عشر سنوات من الدعوة فى مكّة قضاها عبر مواقف تتسم تارةً باللين وأُخرى بالشدّة وثالثة بالدعوة إلى الإسلام من خلال تسخيره جميع مواقفه وما يمتلكه من وسائل ومنها وسيلة إعلامية لا ينكر أحد تأثيرها: كلماته البليغة وقصائده الشعرية الكثيرة، فقد كان الرجل مجيداً للشعر مكثراً منه، فسخّره فى الدعوة إلى اللَّه ورسوله، حتى كلّفته هذه المواقف التضحية بما يمتلكه من شبكة اجتماعية وعلاقات كثيرة، فَقَدَ على أثرها طاعة قريش حتى تجرّأت على محاصرته والتضييق عليه.

وإنّ من اللافت المؤسف والمؤلم أنّ أبا طالب مع كلّ مواقفه وكدحه المتواصل فى إرساء دعائم الإسلام وتثبيت أركانه، يموت كافراً- كما يزعم الزاعمون-، وأبا سفيان الذى كان من الطلقاء، ولم يقدّم شيئاً يذكر فى مسيرة الرسالة السماوية هذه، بل هو الذى عاش قبل نطقه الشهادتين وبعدهما زعيماً للتآمر على الإسلام ورسوله، ورجل الكيد والغدر، يموت مؤمناً!!

لقد تعرّض أبو طالب إلى مؤامرة قذرة رسمتها أيادٍ عرفت بالعداء للرسول ورسالته وبغضها لهذه العائلة الكريمة، فراحت تبذل قصارى جهودها وما تملكه من مال كثير وقدرات وخبرة فى سبيل تقويض أى مجهود لرموز هذه الاسرة

ص: ۱۵۵

الكريمة، فسخّرت أعلامها ورجالها والطامعين والوضاعين لتحقيق غاياتها ومصالحها. فلم ينجو حتى شعر أبى طالب من الاتهام بالوضع والاختلاق، لما رأوا فيه من القوّة والدعوة المخلصة إلى الإسلام، وغفل هؤلاء عن أنّ خصائص أبى طالب لو بقىمنهاجزء يسير، فإنّه كافٍ فى التدليل على عقيدته التوحيدية وإيمانه الخالص.

وإن تعجب فعجب قولهم:

لاـ أظنّ أنّ هناك حاجة إلى ذكر أدلّة القائلين بكفر أبى طالب، فحياته رضوان اللّه عليه دليل غنى على إيمانه، وما قدّمناه هو غيض من فيض، وإذا ركنا إلى أدلّتهم فكأنّنا عدلنا من اليقين إلى الشك ومن العلم إلى الظن. ولكنّنا مع هذا نكتفى هنا بدليل واحد من أدلّة القوم وبشكل مختصر، خوف الإطالة، ولمن أراد المزيد فعليه بما كتب عنه، وهو كثير جدّاً.

روى ابن سعد فى طبقاته (۱) بإسناده إلى على بن أبى طالب، قال: أخبرت رسول اللّه صلى الله عليه و آله بموت أبى طالب، فبكى، ثمّ قال: اذهب فغسّله وكفّنه وواره، غفر اللّه له.

قال: ففعلت ما قال، وجعل الرسول يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى (۲)

.

فقد ذهب جمع من المفسّرين– استناداً إلى هذه الرواية– إلى أنّ هذه الآية المذكورة نزلت فى استغفار النبىّ صلى الله عليه و آله لعمّه أبى طالب، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين (۳).

۱– طبقات ابن سعد ۱: ۱۲۳.

۲– سورة التوبة: الآية ۱۱۴.

۳– انظر جلال الدين السيوطى فى تفسيره وغيره.

ص: ۱۵۶

أين تقف رواية ابن سعد؟!

بعد أن نقل هذه الرواية فی الجزء الأوّل من طبقاته ص ۱۲۳، انظر ما قاله فی الصفحة ۱۲۵ منها: «توفی أبو طالب للنصف من شوّال فی السنة العاشرة من حین نُبِّئ رسول اللّه».

إذن:

فأبو طالب توفی فی السنة العاشرة للبعثة النبویة.

هاجر النبیّ صلی الله علیه و آله فی السنة الثالثة عشرة للبعثة، أی بعد وفاة أبی طالب بثلاث سنوات.

سورة التوبة نزلت فی المدینة، فهی مدنیة کلّها باستثناء الآیتین الأخیرتین منها.

انظر ما یقوله عنها المفسّرون ومنهم:

ابن کثیر: هذه السورة من أواخر ما نزل علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله کما روی البخاری عن البراء یقول: آخر آیة نزلت یستفتونک قُل اللّه یفتیکم فی الکلالة وآخر سورة نزلت براءة (۱).

الرازی فی تفسیره: فی عنوان السورة: سورة التوبة مدنیة إلّاالآیتین الأخیرتین فمکیّتان (۲).

الآلوسی فی تفسیره: سورة التوبة مدنیة... (۳) الطبرسی فی تفسیره: سورة التوبة مدنیة کلّها، وقال بعضهم: غیر آیتین: لقد جاءکم رسول من أنفسکم... إلی آخر السورة، نزلت سنة تسع من الهجرة،

۱- انظر الأساس فی التفسیر لسعید حوی ۴: ۲۲۱۳.

۲- انظر التفسیر الکبیر للفخر الرازی ۸: ۲۱۵.

۳- روح المعانی للآلوسی ۵: ۴۰.

ص: ۱۵۷

... وقال قتادة ومجاهد: وهى آخر ما نزلت على النبى صلى الله عليه و آله بالمدينة.

نكتفى بهذا القدر من المفسّرين، لنقول: إنّ الفترة الزمنية بين وفاة عمّ النبىّ صلى الله عليه و آله «أبو طالب» ونزول هذه الآية كانت اثنى عشر عاماً. فأين تقف رواية ابن سعد، التى عمل بها كثير من المفسّرين بلا تثبت ولا تحقيق، لأسباب لا أظنّها تخفى على القارئ اللبيب؟!

وختاماً:

ماذا ترانى أقول فيك يا أبا طالب، وما إن فتحت ملفّك التأريخى حتى انبهرت بكثرة ما فيه من مواقف عظيمة ومناقب جليلة... فألّفت فيك كتب كثيرة تجاوزت أكثر من مئة كتاب بين مطبوع ومخطوط باللغة العربية فضلًا عن اللغات الاخرى...، إضافةً إلى المقالات والأشعار، التى قيلت بحقّك.

وهذه مجموعة ممّا تيسّر:

الكتب العربية المطبوعة:

۱) أبو طالب بطل الإسلام، لحيدر محمّد سعيد عرفى.

۲) أبو طالب بن عبد المطلب والد أمير المؤمنين عليه السلام، لحسين جواد الكديمى.

۳) أبو طالب حامى الرسول وناصره، للعلّامة الميرزا نجم الدين جعفر عسكرى طهرانى.

۴) أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه و آله، للمحامى محمّد كامل حسن.

۵) أبو طالب عم النبى صلى الله عليه و آله، لعبد العزيز سيّد الأهل.

۶) أبو طالب عملاق الإسلام الخالد، للشيخ محمّد على أسبر.

۷) أبو طالب كفيل الرسول صلى الله عليه و آله، لسعيد عسيلى.

۸) أبو طالب كفيل الرسول صلى الله عليه و آله، لجمع من الكتّاب.

۹) أبو طالب مؤمن قريش، لعبد اللّه الخنيزى.

ص: ۱۵۸

۱۰) أبو طالب المسلم، لأحمد مغنية.

۱۱) أبو طالب مع الرسول صلى الله عليه و آله، لأحمد مغنية.

۱۲) أبو طالب وبنوه، للسيّد محمّد على آل سيّد على خان الحسينى.

۱۳) إسلام أبى طالب، للسيّد مهدى مكّى.

۱۴) إسلام أبى طالب، لوجيه بيضون.

۱۵) إسلام أبى طالب من خلال الآيات والأحاديث والأشعار والوقائع التأريخية، للبيب بيضون.

۱۶) أسنى المطالب فى إيمان أبى طالب، للشيخ كاظم حلفى.

۱۷) أسنى المطالب فى شرح خطبة أبى طالب، لعبد الكريم حبيب.

۱۸) أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب، للسيّد أحمد بن زينى دحلان.

۱۹) إيمان أبى طالب، للشيخ المفيد.

۲۰) إيمان أبى طالب وموقف الشيخ المفيد منه، للدكتور محمّد ابراهيم خليفة الشوشترى.

۲۱) إيمان أبى طالب، لشمس الدين أبى على فخار بن معد الموسوى.

۲۲) الرسول والرسالة فى شعر أبى طالب، لمعوض عوض ابراهيم.

۲۳) زهرة الأدباء فى شرح لامية شيخ البطحاء.

۲۴) الروض النزيه فى الأحاديث التى رواها أبو طالب عن ابن أخيه صلى الله عليه و آله، لابن طولون الدمشقى.

۲۵) السهم الصائب بكبد من آذى أبا طالب، لأبى الهدى الصيادى.

۲۶) سيّد البطحاء، للشيخ محمود البغدادى.

۲۷) شعر أبى طالب بن عبد المطلب وأخباره، لعبد اللَّه بن أحمد بن حرب العبدى.

۲۸) شيخ الأبطح أبو طالب، للسيّد محمّد على ابن السيّد عبد الحسين شرف الدين.

ص: ١٥٩

٢٩) شيخ بنى هاشم أبو طالب، لعبد العزيز سيّد الأهل.

٣٠) طلبة الطالب فى شرح لامية أبى طالب، لعلى فهمى.

٣١) عقيدة أبى طالب، للسيّد طالب الرفاعى.

٣٢) غاية الطالب من شرح ديوان أبى طالب، للشيخ محمّد خطيب المصرى.

٣٣) القصيدة الغرّاء فى إيمان أبى طالب شيخ البطحاء، للسيّد أحمد خيرى پاشا.

٣٤) منية الراغب فى إيمان أبى طالب، للشيخ محمّد رضا الطبسى النجفى.

٣٥) منية الطالب فى مستدرك ديوان سيّد الأباطح أبى طالب، لمحمّد باقر المحمودى.

٣۶) مواهب الواهب فى فضائل أبى طالب، للشيخ جعفر النقدى.

٣٧) بنوة أبى طالب عبد مناف، لمزمل حسين الغديرى الميثمى.

ومن الكتب العربية المخطوطة:

١) أبو طالب كافل النبىّ وناصره، للسيّد أحمد خيرى پاشا.

٢) اتحاف الطالب بنجاة أبى طالب، لمحمّد بن عبد السلام جنّون.

٣) إثبات إسلام أبى طالب، لمحمّد معين بن محمّد أمين السندى.

۴) إثبات إسلام أبى طالب، لعبد الرحمن بن أحمد الخزاعى النيشابورى.

۵) أخبار أبى طالب وعبد المطلب، للشيخ الصدوق.

۶) أخبار أبى طالب وولده، لأبى الحسن المدائنى.

٧) إسلام أبى طالب، للسيّد حسن بن ابراهيم شبر الحسينى.

٨) إيمان أبى طالب، لأحمد بن القاسم.

٩) إيمان أبى طالب، لأبى الحسين أحمد بن محمّد الكندى الجرجرائى.

١٠) إيمان أبى طالب، لأبى على الكوفى.

١١) إيمان أبى طالب، للسيّد أحمد بن موسى بن طاووس.

ص: ۱۶۰

۱۲) إيمان أبى طالب، لأبى محمّد الديباجى.

۱۳) إيمان أبى طالب، للسيّد ظفر حسن بن دلشاد النقوى.

۱۴) إيمان أبى طالب، لأبى نعيم على بن حمزة التميمى البصرى.

۱۵) إيمان أبى طالب، للقاضى نعمان بن محمّد المصرى.

۱۶) إيمان أبى طالب، للعلّامة ميرزا محسن قره‌داغى التبريزى.

۱۷) بحث فى إسلام أبى طالب، مجهول المؤلف.

۱۸) بغية الطالب فى إسلام أبى طالب، للسيّد مير محمّد عباس الشوشترى.

۱۹) بغية الطالب فى بيان أحوال أبى طالب، للسيّد محمّد بن حيدر الموسوى العاملى.

۲۰) بغية الطالب لإيمان أبى طالب، لجلال الدين السيوطى.

۲۱) بغية الطالب لإيمان أبى طالب، لمحمّد بن عبد الرسول البرزنجى الشافعى.

۲۲) بلوغ المآرب فى نجاة آبائه عليه السلام وعمّه أبى طالب، للشيخ سلمان أزهرى لاذقى.

۲۳) البيان عن خيرة الرحمن، للشيخ على بن بلال المصلّبى.

۲۴) حاشية على حجة الذاهب إلى إيمان أبى طالب، للشيخ شير محمّد الهمدانى.

۲۵) ديوان أبو طالب وشرح لاميته، للشيخ حيدر قلى سردار كابلى.

۲۶) رتبة أبى طالب وقريش، لأبى الحسن النسابة.

۲۷) رسالة فى إسلام أبى طالب، للسيّد ميرزا أبى القاسم أمين الدين الموسوى الزنجانى.

۲۸) رسالة فى صحة إيمان أبى طالب، مجهول المؤلف.

۲۹) الرغائب فى إيمان أبى طالب، للسيّد مهدى الغريفى البحرانى.

۳۰) شرح حديث إسلام أبى طالب بحساب الجمل، لملّا على بن ميرزا خليل المازندرانى.

۳۱) الشهاب الثاقب لرجم مكفّر أبى طالب، لميرزا نجم الدين جعفر بن ميرزا محمّد

ص: ۱۶۱

عسكرى الطهرانى.

۳۲) صفات أبى طالب عبد مناف، لمزمّل حسين الغديرى الميثمى.

۳۳) فصاحة أبى طالب، للشريف حسن بن على بن حسن بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام.

۳۴) فضل أبى طالب وعبد المطلب وأبى النبىّ صلى الله عليه و آله، لأبى القاسم سعد بن عبداللَّه بن أبى خلف الأشعرى القمى.

۳۵) فيض الواهب فى نجاة أبى طالب، للشيخ أحمد فيضى بن حاج على عارف جورومى.

۳۶) القول الواجب فى إيمان أبى طالب، للشيخ محمّد على بن ميرزا جعفر الهندى.

۳۷) كافل اليتيم أبو طالب، للعلّامة ميرزا نجم الدين جعفر العسكرى الطهرانى.

۳۸) ما قيل فى أبى طالب، للسيّد على بن الحسين الهاشمى الخطيب.

۳۹) منى الطالب فى إيمان أبى طالب، للشيخ مفيد النيشابورى.

۴۰) منية الطالب فى حياة أبى طالب، للسيّد حسن بن على القپانچى النجفى.

۴۱) نجاة أبى طالب، للشيخ كاظم آل نوح النجفى.

۴۲) نسب أبى طالب، لهشام بن محمّد بن سائب بن بشير الكلبى.

۴۳) نصّ أبى طالب على النبى صلى الله عليه و آله، لبعض الكتّاب الإسماعيلية.

۴۴) واقع أبى طالب المؤمن، للسيّد عبد الكريم آل سيّد على خان.

۴۵) الياقوتة الحمراء فى إيمان سيّد البطحاء، للسيّد طالب آل سيّد على خان.

إضافة إلى عشرات الكُتب المطبوعة والمخطوطة والمقالات وبلغات شتّى.

لقد تنازعوا أمرهم فيك، وبعد أن يَئسوا من أن يجدوا شيئاً يلوذون به للطعن فيك بغضاً وحسداً، لجأوا إلى كتمان إيمانک، الذى ما كان إلّالمصالح كثيرة للرسالة والرسول، فعثروا على ضالّتهم،- كما يظنّون- أنّ أبا طالب ماتَ كافراً،

ص: ۱۶۲

فأنساهم شيطانهم أو أنّهم تناسوا وتغافلوا عمّا قدّمت يداك المباركتان من خير عميم، ودعم كريم، ودفاع عظيم، وتضحية لا نظير لها عن الرسالة والرسول ومن تبعه من المؤمنين والصالحين، حتى ورد فى الخبر الذى ذكره ابن أبى الحديد: «أنّه لما توفى أبو طالب، أوحى اللَّه إلى رسوله صلى الله عليه و آله أن أخرج فقد مات ناصرك». أكلّ هذا العطاء وطيلة عشر سنوات يأتى من كافر؟! أى عاقل يصدق دعواهم هذه ومزاعمهم تلك؟! إنّه عطاء لا يمكن أن يأتى إلّامن آمن برسالة السماء!

ونختم حديثنا بما قاله عبد الفتاح عبد المقصود:

ثمّ ما حاجتنا إلى الإكثار من التدليل على إيمان رأس الطالبيين، ولا حاجة ثمة إلى تدليل؟

ثمّ يواصل قوله:

إنّ المنقول عن إيمانه، الذى توالى الجدال فيه أعصراً طويلة، وما زال إلى اليوم موضوع نقاش جارٍ، لأحرى بأن يغنى عن المعقول. وإنّ المعقول الذى يوافق المنطق السوى، ولا ينافى واقع الحال، ليضاهى هذا المنقول... فإذا خطر لامرئ أن يعدل عن منقولات الأحاديث والأقوال الشاهدة بإيمانه، والواردة على ألسنة الثقات البررة من آل البيت وشيعتهم نقلًا عن الرسول صلى الله عليه و آله إلى الوقائع والأحداث، التى تصوّر مواقف عمّ النبى وأبى الوصى، وترسم ألوان سلوكه، إذن لوجد من أفعال الرجل الجليل ما هو ترجمان صدق عملى لتلك الأقوال...

ثمّ يقول:

أمّا ما أثر عنه من شعر... دالًا على إيمانه، ومؤيداً ابن أخيه، وداعياً لدينه، فإنّه أدنى إلى قرينة منه إلى برهان قاطع، لأنّنا قد لا نعدم أن نجد من بعض النقّاد من يرى فيه مجّرد تصوير جمالى ... أو من يدّعى انتسابه إلى غير صاحبه، أو وقوعه فى مظنة التحريف والتغيير والإضافة، استناداً إلى مقاييس- إن هى اعتبرت

ص: ۱۶۳

قرينـة- فإنّهـا لا تسـلم من التبانى، وربّما التضارب، نتيجـة لاختلاف الأذواق، وكثيراً ما اتّهم شـعراء فى قصائـد لهم بأنّها منحولـة، أو لا ترقى إلى مستواهم، أو لا توافق سمات عصرهم الشعرية...

ويتنازل عن هـذا الـدليل فيقول: ودع الشـعر فإنّه فى قضـيتنا نافلـة... وكفانا أن نلقى نظرة عابرة إلى فضائل الشـيخ التى تناقلتها الألسـن ونفذت إلينا- على الرغم من القهر السياسى- كأنّما من سم الخياط!

فليس منّا من لا يعلم أنّ «السـياسة» طوال عهود الإسـلام وعلى تعـدّد دوله، قد افترست، أو كادت، كلّ كلمة إنصاف قيلت فى حقّ آل البيت النبوىّ الكريم.

لـذلك بحسـبنا فى «المقولات»- كمثـال- أن بلغنـا، عبـد مؤخر القهر والنكال، التى ضـربت حول شـيعة الرسول، كلمـة صـفى محمّد ووصيه، التى تقول:

«ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول اللّه من نفسه الرضا»

وتلك شهادة من لا يكتم الشهادة، ولا يلبسها ببهتان...

هـذا ما ورد على ألسـنة الشـيعة وأئمتهم نقلًا عن علىّ: فإذا كان لابدّ من الوجه الآخر للعملة! فلنصغ إلى حديث أبى بكر، أوّل الخلفاء، إذ جاء بأبيه: أبى قحافة يقوده، وقد أسن وعمى، ليسـلم بين يدى رسول اللّه صـلى الله عليه و آله، فقال الرسول: ألا تركت الشـيخ حتى نأتيه؟!

قـال أبو بكر: أردت يا رسول اللّه أن يأجرنى اللّه. ثمّ أضاف: أما والـذى بعثك بالحقّ، لأنا كنت أشـد فرحاً بإسـلام عمّك أبى طالب منى بإسلام أبى.

ثمّ يختم حديثه بقوله: ثمّ بحسـبنا فى المعقولات- كمثال أيضاً- أنّ أبا طالب، بكلّ المعايير، قد نصـر الإسـلام ونبيّه، كما لم يكن مثله نصير فى العالمين...

فإذا رأى راءٍ تحرّى مواقف الشـيخ.- فداءً وحمايةً وتعزيزاً- تجاه الإسـلام ورسول اللّه، فالمصادر تجلّ عن الحصـر، والصـحف المنيرة فيها كثيرة...

ثمّ راح يتساءل: أم ماذا يقال فى رجل يقف وحده فى وجه الشرك وقومه

ص: ۱۶۴

أجمعين، ليدرأ عن ابن أخيه- مبعوث اللَّه- أن يناله طاغية منهم بمكروه؟

ما الرأى فيه إذ يحث آله على مسانـدهٔ محمّـد وشدّ أزره، واتباع دينه، ويدفع بولديه: علىّ وجعفر ليكونا جناحيه، اللذين يحلق بهما فى سماء الدعوهٔ؟

بأى معيار نعاير حرصه على سـلامهٔ رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله إبان محنـهٔ الشِّعب، إذ يغمى على الناس مرقـده، ليلهٔ بعد ليلهٔ، فينأبه عنه، ويـأمر ولـده علياً فيبيت فيه، ليكون هو المقتول لو سـعى عـدوّ إلى اغتيال الرسول؟... (۱) وأخيراً لا ـ يسـعنا إلّاأن نقول لهم ما قاله يعقوب لبنيه:

بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّه الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (۲).

۱- المصدر نفسه.

۲- سورهٔ يوسف: الآيهٔ ۱۸.

ص: ۱۶۵

أدب الحجّ فى الحجاز و الجزيرة العربية

(من العصر الجاهلى وحتى نهاية العصر الاموى «۱۳۲ ه»)

د. ابراهيم بن عبد العزيز الجميح

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إلقاء الضوء على أدب الحج فى الحجاز والجزيرة العربية عموماً فى الفترة من العصر الجاهلى إلى نهاية العصر الاموى (۱۳۲ ه). ويشمل أدب الحج فى هذه الدراسة الشعر والأمثال والخطب.

وقد قسّمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام، يتناول القسم الأوّل تعريف معنى الحج فى اللغة والدين. ويوضّح القسم الثانى أدب الحج فى الشعر الجاهلى، والنثر كالأمثال والخطب. أمّا القسم الثالث فيركّز على أدب الحج فى العصر الإسلامى من ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر الاموى، ويشمل الشعر والخطب، وما ظهر فى الحياة العلمية فى مواسم الحج فى العصر الاموى من نثر دينى تمثّل فى تفسير القرآن والسنّة النبويّة والفتوى فى أحكام الحج والعمرة.

۱- الحجّ فى اللغة والدين:

يُقصد بأدب الحج فى هذه الدراسة ما صنّف وأُلّف عن الحج سواء كان ذلك شعراً أو نثراً. ويشمل الشعر الجاهلى والإسلامى والخطب والأمثال. وهو يُعبّر عن خواطر الأُدباء وقرائح الشعراء فى الحجاز والجزيرة العربية عموماً.

ص: ۱۶۶

وللحج مفهوم فی اللغة العربیة والدین الإسلامی، فما هو معنی الحج لغةً ودیناً؟

إنّ الحج فی اللغة هو القصد، یُقال: حجّ فلان أی قدم وحجّه یحجّه حجّاً: أی قصده. وحججت فلاناً فی قصدته. ورجل محجوج أی مقصود. وقد حجّ بنو فلان فلاناً إذا أطالوا الاختلاف إلیه، وفی هذا المعنی یقول الشاعر الجاهلی:

وأشهد من عوف حلولًا کثیرة یحجّون سب الزبرقان المزعفرا

والمعنی هنا أی یقصدونه ویزورنه.

ثمّ أصبح الحجّ فی العُرف یعنی القصد إلی مکّة للنسک والحج إلی البیت الحرام خاصة (۱). وجمع الحج: حُجّاج وحجیج، ویجمع أیضاً علی حُج بالضم وحِج بالکسر. یقول الشاعر:

کأنّما أصواتها بالوادی أصوات حجٍ من عُمان عادی

والمُفرد: حاج، والمفردة: حاجّة وجمعها حواج (۲).

وأشهر الحج هی شوال وذو القعدة وعشر من ذی الحجة وهی وقت الحج.

یقول تعالی: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (۳)

.

والحج هو الرکن الخامس من أرکان الإسلام، التی یتحقّق بها استسلام العبد

۱- انظر: محمّد بن مکرم ابن منظور، لسان العرب، بیروت: دار صادر، د. ت، ۲: ۲۲۶.

۲- محمّد بن أبی بکر الرازی، مختار الصحاح، ت. محمود خاطر، القاهرة: دار المعارف، د. ت: ۱۲۲- ۱۲۳. ابن منظور، لسان ۲: ۲۲۶- ۲۲۷.

۳- البقرة: ۱۹۷.

ص: ۱۶۷

وخضوعه لربّه تعالی، وهو جامع لما تضـمنته الأرکان الاخری، فهو عبادهٔ بدنیهٔ کالصـلاهٔ والصـیام، وعبادهٔ مالیّهٔ یشبه الزکاهٔ؛ لما یتطلبه من الإنفاق فی سبیل اللّه، وهو أیضاً مجاهدهٔ للنفس والبدن.

والحج فی اصطلاح الفقهاء: قصد البیت الحرام؛ لأداء الأفعال المفروضهٔ من الطواف بالکعبهٔ والوقوف بعرفهٔ محرماً بنیّهٔ الحج (۱).

وقـد عرف العرب الحج قبل الإسـلام، منذ أن أمر اللّه عزّوجل نبیّه إبراهیم علیه السـلام بأن یشـرعه للناس، وکانت العرب قبل الإسـلام تحـج الـبیت علی دین إبراهیم علیه السـلام، فتلبّی تلبیـهٔ الحـج وتطوف البیت وتسـعی وتقف بعرفـهٔ، وتؤدی جمیع مناسـک الحـج من المبیت بمزدلفهٔ ورمی الجمار والنحر وتعظیم الأشهر الحرم (۲).

ثمّ حرّف العرب قبل الإسـلام شـریعهٔ إبراهیم علیه السـلام، فعبدوا الأصنام، وطاف بعضهم حول البیت عرایا (۳)، إلی أن جاء الإسلام، وفُرض الحج، فتغیّر مفهوم الحج وما کان علیه العرب قبل الإسلام.

وقـد ورد ذکر الحـج ومـا یتفرّع من لفظه فی القرآن الکریم اثنتی عشـرهٔ مرّهٔ منها ثمانی مرّات فی سورهٔ البقرهٔ. ومن ذلک قوله تعالی: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَهَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّه فَمَنْ حَجَّ الْبَیْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَیْهِ أَنْ یَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَیْرًا فَإِنَّ اللَّه شَاکِرٌ عَلِیمٌ (۴)

.

وجاء ذکر الحج فی سورهٔ «آل عمران» فی موضع واحد فی قوله تعالی: وَللَّه

۱- نور الدین عتر، الحج والعمرهٔ فی الفقه الإسلامی، حلب: المکتبهٔ العربیهٔ، ۱۳۸۹ ه/ ۱۹۶۹ م: ۷- ۸.

۲- انظر: محمّد بن عبد اللّه بن أحمد الأزرقی، أخبار مکّهٔ وما جاء فیها من الآثار، ت. رشدی الصالح ملحی، ط ۳، مکّهٔ المکرمهٔ: مطابع دار الثقافهٔ، ۱۳۹۸ ه/ ۱۹۷۸ م ۱: ۶۶- ۷۴. وانظر: أحمد بن جعفر بن وهب الیعقوبی، تاریخ الیعقوبی، بیروت: دار صادر، ۱۴۱۲ ه/ ۱۹۹۲ م ۱: ۲۵۴- ۲۵۵.

۳- الیعقوبی، تاریخ ۱: ۲۵۴- ۲۵۷.

۴- سورهٔ البقرهٔ: الآیهٔ ۱۵۸.

ص: ۱۶۸

عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (۱)

.

وذكر الحج فی سورة «التوبة» فی موضعين، ومنهما قوله تعالی: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّه وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّه بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (۲).

وورد لفظ الحج فی سورة الحج فی قوله تعالی: وَأَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (۳)

.

وتحتوی الآيات القرآنية عن الحج علی معانٍ أدبية عظيمة عن الحج، تشمل شعائر الحج كالصفا والمروة والطواف والأهلّة، والهدی، والمسجد الحرام، والبيت المطهّر، وحرمات اللّه، والشعائر المقدّسة، والمناسک وغيرها من معانی الحج ومناسكه وشعائره.

وتحتوی آيات الحج أيضاً علی معانٍ كبيرة عن آداب الحج، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فی الحج. كما تصوّر آيات الحج الحُجاج، الذين يقدمون خاشعين من كلّ فجّ؛ ليشهدوا منافع لهم فی الحج، وغيرها من الصور البيانيّة عن هذه الفريضة: الركن الخامس من أركان الإسلام.

وتحتوی كتب التفسير، كجامع البيان فی تفسير القرآن للطبری، والكشّاف للزمخشری، والجامع لأحكام القرآن للقرطبی، وتفسير القرآن الكريم لابن كثير وغيرهما من كتب التفسير علی أدب نثری يوضّح آيات الحج، ويفسّرها فی صور بيانية نثرية راقية تربط نزول الآية بأسبابها ومكان نزولها. وما زالت تلک الصور البيانيّة عن الحج فی كتب التفسير معيناً لمن أراد فهم هذه الفريضة؛ الركن الخامس من الإسلام.

۱- سورة آل عمران: الآية ۹۷.

۲- سورة التوبة: الآية ۳.

۳- سورة الحج: الآية ۲۷.

ص: ۱۶۹

۲- الحجّ فی الأدب الجاهلی فی الحجاز والجزیرة العربیة:

ارتبط تاریخ اللغة العربیة بتاریخ مکّة المکرّمة منذ أن بنی إبراهیم علیه السلام الکعبة (البیت الحرام) فی الوادی المبارک بمکّة المکرّمة، فنشأت اللغة العربیة العدنانیّة نسبة إلی عدنان بن إسماعیل بن إبراهیم علیه السلام، ولم تنشأ هذه اللغة مصادفة، بل لقد کان للحج دور فی تکوینها وتطویرها وتحسینها، متفاعلًا فی ذلک مع الأسواق العربیة التجاریّة والأدبیة التی تقام فی مواسم الحج، فی عکاظ ومجنة وذی المجاز وغیرها من الأسواق العربیة (۱)، التی کانت تُقام قریباً من مکّة المکرّمة وفی الطریق إلی الحج أو فی الطریق من الحج، حیث یظل الحج أیضاً عاملًا هاماً فی هذه الأسواق، وفی کل ما جلبته من الخیر علی اللغة العربیة، فقد کانت تفعل فعلها البطیء فی تجمیع العرب وتقریب مجتمعاتهم، فکانت تعتبر إرهاصاً ببوادر الدعوة النبویّة علی ید الرسول محمّد بن عبداللَّه صلی الله علیه و آله (۲).

وکانت أکثر هذه الأسواق حولیة تُقام فی أیام معلومات فی کلّ عام، وکانت میداناً لغیر البیع والشراء والتجارة؛ فقد کان فیها تناشد الأشعار، وکان فیها تفاخر وتأثّر، وتنافر ومقارعة ومعاظمة، فیفوز فی هذا أقوام ویخسر آخرون، وتحتفل العرب لها الاحتفال اللائق بها، وکان لهم حکّام معلومون یفضّون المشاکل بین القبائل، ولهم محکّمون یحتکم إلیهم الناس فی مناظراتهم وأشعارهم، کما لهم فی هذه الأسواق خطباء (۳).

۱- حول أسواق العرب فی الجاهلیة، انظر: سعید الأفغانی، أسواق العرب فی الجاهلیة والإسلام، القاهرة: دارالکتب الإسلامی، ۱۴۱۳ ه/ ۱۹۹۳ م: ۱۹۳- ۳۵۹.

۲- انظر: عبد العزیز الرفاعی، الحج فی الأدب العربی، بحوث المؤتمر الأوّل للأُدباء السعودیین، جامعة الملک عبد العزیز، جدة: شرکة المدینة للطباعة والنشر، د. ت. ۳: ۱۰۰۷- ۱۰۰۸. وانظر أیضاً: الرفاعی، الحج فی الأدب العربی، ط ۲، المدینة المنوّرة ۱۳۹۷ ه/ ۱۹۷۷ م: ۱۵- ۱۸.

۳- الأفغانی: أسواق العرب: ۲۰۵.

ص: ۱۷۰

والواقع، أنّ الاختلاط القائم بين القبائل العربيـة فى أسواق الحـج الموسـمية، أثّر فى اللغة والدين والعادات، فقد ترتب على قيام قريش على هـذه الأسواق لأعوام طويلـة قبل البعثـة النبويـة، أن تتبوّأ فى اللغـة المكان الأعلى؛ لأنّ لغات القبائل عامّة من اليمن وعُمان والشام والعراق ونجـد وتهامـة، تطرق مسامع قريش على الدوام، فتختار منها ما يحسن، وتنفى ما يقبح، وقد كانت على هذا الاصـطفاء اللغوى زمناً كافياً حتى خلصت لها هـذه اللغـة الممتازة، وتهيأت لينزل بها القرآن الكريم على أفصح وجه وأبلغه وأتمّه كمالًا وسـلاسةً وجمالًا (۱).

وكـان الشـعراء الـذين ينظمون الشـعر؛ لينشـدوه بعكاظ وغيرها من الأسواق فى الجزيرة العربيـة، يتوخون اللغـة المجمع على فصاحتها، والتى صار لها النفوذ والشيوع، فكانت لهجة قريش هى اللهجة الرسمية بين لهجات الجزيرة العربية كلّها (۲).

كما أثّرت هـذه الأسواق التى تُقام فى مواسم الحـج فى التبادل اللغوى، وفى العادات بين أبناء القبائل العربية فى الجزيرة العربية، ذلك أنّ أى اختلاـط بين فريقين لابـدّ أن ينتهى بـأثر فى كـلّ منهمـا، فـاليمنى يأخـذ شـيئاً من أخلاق الحجازى، والنجـدى يحمل ألواناً من عادات العُمانى وهلّم جرا (۳).

وبالإضافـة إلى الأدب المُتمثّل فى الشـعر والنثر، والعادات، لعبت الأسواق العربية التى تُقام فى مواسم الحج، دوراً كبيراً فى الدين لقيام جميع تلك القبائل بمناسك واحدة يؤمّهم فيها قريش أهل الحرم (۴).

۱- الأفغانى، أسواق العرب: ۲۰۶- ۲۰۷.

۲- المصدر نفسه: ۲۰۷.

۳- المصدر نفسه: ۲۰۷.

۴- المصدر نفسه: ۲۰۷.

ص: ۱۷۱

الحج فی الشعر الجاهلی:

کان للحـج وما یتّصل به من مشاعر، ومواطن، ومعان، مکانـة رفیعـة فی شـعر قریش، فهی إنّما تصـدر فی ذلک عن طبیعـة بیئتها، فلقد کان فی مکّة البیت الحرام، والمشاعر المقدّسة، ولقریش تبعة حمایة الکعبة وحرماتها والسقایة والرفادة، وکان کلّ ذلک مصدر اعتزاز قریش.

وکانت قریش فی أشعارها تفتخر بمکانتها من البیت وتعتزّ بحمایته وخدمته، وکذلک فعلت قبیلة جرهم من قبل، التی تحسّرت حینما فقدت هذه المکانة، یقول شاعرهم فضاض بن عمرو بن الحارث الجُرهمی:

کأن لم یکن بین الحجون إلی الصفا أنیس ولم یسمر بمکّة سامر

بلی نحن کنا أهلها فأزالنا صروف اللیالی والجدود العواثر

وکنّا ولاة البیت من بعد نابت نطوف بذاک البیت والخیر ظاهر

فسحّت دموع العین تبکی لبلدة بها حرم آمن وفیها المشاعر

وتبکی لبیت لیس یوذی حمامُه یظلّ به أمناً وفیه العصافر (۱)

والواقع أنّ شعر قریش قد خلّد مسمیات الأماکن المقدسة، فی المشاعر المقدسة وبعض الأماکن والمنازل، مما یحیط بمکّة المُکرّمة أو یقرب منها، کما خلّد الشُعراء الآخرون المنازل التی تقع فی طریق الحج وتتصل به.

ففی المشاعر المقدّسة کان صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد بن سعد بن

۱- انظر: أبو محمّد عبد الملک بن هشام، السیرة النبویّة، ت. مصطفی السقا وآخرون، بیروت: دار إحیاء التراث العربی، د. ت ۱: ۱۲۰- ۱۲۱، وانظر: عبـد اللّه بن محمّـد اسـحاق الفاکهی، أخبار مکّـة فی قـدیم الدهر وحدیثه، ت. عبدالملک بن دهیش، ط ۲، بیروت: دار خضر، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۴ م ۳: ۱۴۳.

ص: ۱۷۲

زيد بن مناة بن تميم، هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة، وفى ذلك يقول أوس ابن تميم السعدى:

لا يبرح الناس ما حجّوا مُعرفهم حتى يُقال أجيزوا آل صفوانا (۱)

وفى مكّة أقام عبد المطلب سـقاية زمزم للحجيج بعد حفره لبئر زمزم. يروى ابن اسـحاق أنّه قيل لعبد المطلب بن هشام حين أمر بحفر زمزم:

ثمّ أدعُ بالماء الروى غير الكدر يَسقى حجيج اللّه فى كل بَر

ليس يخاف منه شيء ما عَمرَ (۲) ويمدح الشاعر مسافر بن أبى عمرو بن أُميّة بن عبد شـمس، عبد المطلب بن هشام؛ لسـقايته ورفادته وحفره زمزم، فيقول:

فأى مناقب الخيرات لم تشدد به عضدا

ألم تسق الحجيج وتنحر المدلابه الرفدا

وزمزم من أرومته وتملأ عين من حسدا (۳)

وقال حذيفة بن غانم عن سقاية عبد المطلب بن هاشم، وهى أبيات من قصيدة يرثيه بعد وفاته:

وساقى الحجيج ثمّ للخير هاشم وعبد مناف ذلك السيّد الفهرى

طوى زمزماً عند المقام فأصبحت سقاية فخراً على كل ذى فخر (۴)

۱- ابن هشام، السيرة ۱: ۱۲۷.

۲- ابن هشام، السيرة ۱: ۱۵۳، الفاكهى، أخبار مكّة ۲: ۱۸.

۳- الأزرقى، أخبار، مكة ۲: ۴۷.

۴- ابن هشام، السيرة ۱: ۱۵۹، ۱۸۵.

ص: ۱۷۳

وعند ظهور دعوة الرسول صلى الله عليه و آله، خاف عمّه أبو طالب أن تلحق قريش والعرب به وبقومه الأذى، فقال قصيدته التى تعوّذ فيها بحُرمة مكّة، رافضاً أن يسلّم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حتى يهلك دونه، ولعلّ هذه القصيدة أجمع قصيدة فى العصر الجاهلى ضمت ذكر مشاعر مكّة قبل الإسلام وهى القصيدة اللاميّة الطويلة التى أوردها ابن هشام فى السيرة النبويّة، واحتوت على ذكر البيت والحجر الأسود والصفا والمروة وحجّاج البيت والمشاعر، كعرفة والمزدلفة ومنى والجمرة الكُبرى.

ومن أبياتها ما يلى:

ولمّا رأيت القوم لأود فيهم وقد قطعوا كلّ العُرى والوسائل

ثمّ يأخذ فى تعداد معالم مكّة ومشاعرها متعوذاً بربّ الناس قائلًا:

أعوذ بربّ الناس من كلّ طاعن علينا بسؤ أو مُلحّ باطلِ

وبالبيت، حق البيت، من بطن مكّة وباللَّه إنّ اللَّه ليس بغافل

وبالحجر المُسود إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطى إبراهيم فى الصخر رطبه على قدميه حافياً غير ناعل

وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة وتماثل

ومن حجّ بيت اللَّه من كل راكب ومن كل ذى نذر ومن كل راجل

ص: ۱۷۴

وبالمشعر الأقصی [المزدلفة] والمنازل من منی وهل فوقها من حُرمة ومنازل

وبالجمرة الکُبری إذا صمدوا لها یؤمون قذفاً رأسها بالجنادل (۱)

وذکر الشُعراء الجاهلیون الحج فی أشعارهم، وذلک لقدومهم لمکّة، ولارتیادهم مناطق الحجّ حیث المُلتقی الأدبی فی عکاظ وغیره من أسواق العرب، وکانت الآمال تداعب مشاهیرهم؛ لیأخذ شعرهم طریقه إلی جوف الکعبة ویصبح من المعلقات.

ومن الشُعراء الجاهلیین الذین عنوا بذکر الحج وما یتّصل به من مشاهد، الشاعر الجاهلی النابغة الذبیانی، وینسب إلی قبیلة ذُبیان الغطفانیة القیسیة، وتسکن شرق الجزیرة العربیة. فهو فی قصیدة له یعتذر للنعمان بن المُنذر ویستعطفه حالفاً بمن أمن الطیر فی الحرم تمرّ به رکبان مکّة:

والمؤمین العائذات السیر تمسحها رُکبان مکّة بین الغیل والسعد (۲)

وهو یکرر هذا الحلف فی اعتذاره أیضاً للنعمان بن المُنذر، وهی من بدیع اعتذاراته حیث یقول:

حلفتُ فلم أترک لنفسک ریبة وهل یأثمنَ ذو أمةٍ وهو طائع

بمصطبحات من لصاف وثبرة یزرن إلالًا، سیرهن التدافع

۱- ابن هشام، السیرة ۱: ۲۹۱- ۲۹۳.

۲- شوقی ضیف، العصر الجاهلی، ط ۵، القاهرة، دار المعارف، د. ت: ۲۸۶.

ص: ۱۷۵

عليهم شعث عامدون لحجّتهم فهم كأطراف الحَنِيَّ خواضع (۱)

والنابغـة هنا، يحلف بالنوق التى تجـد فى سـيرها وتقطع الفِيافى إلى الحج، تتدافع مدافعة، وقد أضـمرها طول السـير، وعلى الإبل أُناس شعث مغبرون يقصدون الحج.

وتشـتمل قصـيدة أُخرى للنابغـة الـذبيانى، على أبيات عديـدة يُـذكر فيها وصف رحلـة الحج التى قام بها، ويذكر المواضع التى مرّ بها، ويعتـذر لصـاحبته؛ لأنّه فى رحلـة مقدّسـة لا ـ يحـل له فيهـا لهو النسـاء، فهو عزم على الـدين أو الحـج، فى ركـب من إبـل يرجون الـبرّ والمعروف، ويقول فى قصـيدته: إنّ إبله بـاتت ثلاـث ليـالى التشـريق، ونفرت فى الرابعـة إلى سوق ذى المجـاز. تلتمس لهـا طريقاً فى الزحام، والأبيات هى كالتالى:

قالت: أراك أخا رحل و راحلة تغشى متالف لن ينظرنك الهرما

حياكِ وُدّ: فانا لا يحل لنا لهو النساء وإن الدين قد عزما

مشمرين على خوص مزممة نرجو الإله ونرجو البرّ والطعما

ويقول عن إبله:

باتت ثلاث منى من ثم واحدة بذى المجاز تراعى منزلا زيما (۲)

ويقسم الشاعر الجاهلى زهير بن أبى سلمى، وهو من قبيلـة مُزينـة التى تنزل بنجـد شـرقى المدينـة، بالبيت، فى معلقته، ويذكر الطواف حوله مُشيراً إلى قريش وجرهم الذين بنوه، فيقول:

۱- ضيف، العصر الجاهلى: ۲۸۹.

۲- الرفاعى، الحج فى الأدب العربى: ۲۸- ۳۰.

ص: ۱۷۶

فأقسمت بالبیت الذی طاف حوله رجال بَنَوهُ من قریش وجرهم (۱)

ویُشیر الشاعر عمرو بن کلثوم، فی معلقته إلی الأبطح بمکّة، ویفخر بقومه إذا ضرب العرب خیامهم بالابطح بمکّة فیقول:

وقد علِمَ القبائل من قصَدَ إذا قُببٌ بأبطحها بُنینا (۲)

أمّا الشاعر الجاهلی لبید بن ربیعة العامری من قبیلة عامر بشرق الجزیرة، فیذکر فی معلقته منی، والأشهر الحرم، فیقول:

عفت الدیار محلها فمقامها بمنی تأبد غولها فرجامها

دمنّ تجرم بعد عهد أنیسها حجّج خَلون حلالها وحرامها

فهو هنا، یذکر توحّش الدیار بمنی بعد عهد الذین یسکنون بها، وحلالها وهی الشهور الحل، وهی ثمانیة أشهر، وحرامها وهی الشهور الحرم، وهی أربعة أشهر، رجب وذو القعدة وذو الحجّة والمحرم (۳) أمّا الشاعر الجاهلی امرؤ القیس بن حجر وهو من قبیلة کندة الیمنیة، فهو یحزن لفراق مکّة والُمحصب، فیقول:

فلله عینا من رأی من تفرق أشتّ، وأنأی من فراق الُمحصبِ (۴)

ویذکر الشاعر الجاهلی قیس بن الخطیم، وهو من الأوس بیثرب، فی شعره

۱- محمّد بن القاسم الأنباری، شرح القصائد السبع الطوال الجاهلیات، ت. عبد السلام محمّد هارون، القاهرة، ۱۹۶۳: دار المعارف: ۲۵۳.

۲- الأنباری، شرح القصائد السبع: ۴۱۷.

۳- الأنباری، شرح القصائد السبع: ۵۱۷- ۵۲۱.

۴- الفاکهی، أخبار مکّة ۴: ۷۷.

ص: ۱۷۷

منى، فيقول:

ديار التى كانت ونحن على منى تحل بنا نجاء الركائب

تراءت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولم أرها إلّاثلاثاً على منى وعهدى بها عذراء ذات ذوائب (۱)

وبالإضافة إلى الشعر الجاهلى، وما يحتويه من مشاهد عن الحج والبيت الحرام وحرمته، والمشاعر فى الحج كمنى وعرفات والمزدلفة، احتوى أيضاً النثر الجاهلى فى الخطب والأمثال على العديد من معانى الحج ومشاهده.

الحج فى النثر الجاهلى:

كان للحج تأثير فى الأدب النثرى عند العرب قبل الإسلام، وتمثّل ذلك فى الخطابة والأمثال. وكانت مكّة والمشاعر المقدسة تنعكس فى النثر الأدبى.

وتُعبّر بعض الخطب فى العصر الجاهلى عن دين العرب والأشهر الحرم والبيت المحجوج، فعندما قدم النعمان بن المُنذر على كسرى خطب خطبة عدّد فيها مناقب العرب، وذكر دينهم وشريعتهم ومما قاله: «وأمّا دينها وشريعتها، فإنّهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم نسكه بدينه، أنّ لهم أشهراً حرماً، وبلدة مُحرماً، وبيتاً محجوجاً، ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره، وإدراك رَغمه منه، فيحجزه كرمه، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى» (۲).

وافتخر خطباء بنى هاشم فى مكّة بحرمة البيت وزوّاره. فكان هاشم بن

۱- محمّد بن سلام الجمحى، طبقات الشُعراء، بيروت: دار الكُتب العلمية، ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰ م: ۸۹.

۲- أحمد بن محمّد بن عبد ربّه، العقد الفريد، ت. محمّد محيى الدين عبد الحميد، ط ۳، بيروت: دار الكتب العلمية، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷ م. ۱: ۲۷۵- ۲۷۷.

ص: ۱۷۸

عبد مناف يقوم أوّل نهار اليوم الأوّل من ذى الحجّة، فيسند ظهره إلى الكعبة ويخطب فى قريش قائلًا: «يا معشر قريش، أنتم سادة العرب، أحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً... يا معشر قريش، أنتم جيران بيت اللَّه... واسألكم بحرمة هذا البيت ألا يُخرج رجل منكم من ماله، لكرامة زوّار بيت اللَّه ومعونتهم إلّا طيباً،...» (۱).

وعندما تولّى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمّه المطلب، وأصبح له الشرف فى قومه وعظم شأنه. قام بحفر زمزم، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، التى أسقاه اللَّه منها. وتشير بعض الروايات فى سبب حفرها أنّ عبد المطلب قال: «بينما أنا نائم بالحجر إذ أتانى آت... فقال: احفر زمزم، إنّك إن حَفرتها لا تندم، فقلت وما زمزم؟ قال: «تراث أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تندم، تَسقى الحجيج الأعظم...» (۲).

وحين خطب أبو طالب فى زواج الرسول صلى الله عليه و آله بالسيدة خديجة رضى اللَّه عنها قال: «الحمد للَّهالذى جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً...» (۳).

وبالإضافة إلى الخطب عند العرب قبل الإسلام، تحتوى كتب اللغة كلسان العرب لابن منظور وكتب الأمثال كمجمع الأمثال للميدانى، على أمثال تتعلّق بالحج، حيث ذُكر الحج فى أمثال العرب القديمة، فقيل: «أقبل الحاجُ والداجُ»، والحاج هم الذين يحجّون، والداج هم الذين يأتون معهم من الأجراء والمكارين والأعوان ونحوهم، وقيل هم الذين يدبّون فى أثر الحاج من التجّار وغيرهم ولم

۱- أحمد زكى صفوت، جمهرة خطب العرب العصر الجاهلى و عصر صدر الإسلام، ط ۲، القاهرة: مكتبة ومطبعة البابى الحلبى، ۱۳۸۱ ه/ ۱۹۶۲ م، ۱: ۷۴.

۲- ابن هشام، السيرة ۱: ۱۵۱، صفوت، جمهرة خطب العرب ۱: ۱۰۱- ۱۰۲.

۳- صفوت، جمهرة خطب العرب ۱: ۷۷.

ص: ۱۷۹

يكن الحج قصدهم (۱). وفى نفس المعنى يُقال: «ما حجّ ولكنّه دج» (۲).

ومن أمثال العرب أيضاً فى الحج قولهم: «لجَّ فحَجَّ»، ومن معانيه أن رجلًا خرج يطوف فى البلاد، فاتفق حصوله بمكّة فحج من غير رغبة منه، فقيل: لَجّ فى الطّواف حتى حج، ويضرب المثل للرجل يبلغ من لجاجته أن يخرج إلى شىء ليس من شأنه (۳). ومن معانيه أيضاً أنّه لجّ وتمادى به لجاجه، وأداه اللجاج إلى أن يحج البيت الحرام، وقيل فى معناه أيضاً: إنّه هاجَر أهله بلجاجه حتى خرج حاجاً (۴).

ومن أمثال العرب فى الحج قولهم: «كارهاً حَجَّ بَيْطرٌ» وبيطر اسم رجل، ويضرب هذا المثل لمن يصنع المعروف كارهاً لا رغبة له فيه (۵). واستمرت هذه الأمثال تستعمل عند العرب بعد الإسلام، وما زال بعضها يستعمل حتى اليوم.

ومن أمثال العرب المولدة، التى استحدثت ولم تكن من كلامهم فيما سبق، قولهم: «أنفقت مالى وحَجَّ الجملُ» وقولهم: «من تلذُّذ الحَجَّ ضربُ الجمالِ» (۶).

۳- الحج فى الأدب الإسلامى فى الحجاز والجزيرة العربية إلى نهاية العصر الاموى:

يحتوى أدب الحج الإسلامى فى الحجاز والجزيرة العربية، سواء كان شعراً أو نثراً على العديد من الألفاظ والمعانى التى تتناول الحج والبيت الحرام، والمشاعر، كمنى وعرفة ومزدلفة والجمرات؛ وركب الحجيج، والتغزّل بالحاجات.

۱- ابن منظور، لسان العرب ۲: ۲۲۷، ۲۶۳- ۲۶۴.

۲- أحمد بن محمّد الميدانى، مجمع الأمثال، ت. محمّد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة: مطبعة السُنّة المحمديّة، ۱۳۷۴ ه/ ۱۹۵۵ م، ۲: ۲۸۵. ابن منظور، لسان العرب ۲: ۲۲۷.

۳- الميدانى، الأمثال: ۱۹۷.

۴- ابن منظور، لسان العرب ۲: ۲۲۸.

۵- الميدانى، الأمثال ۲: ۱۶۰.

۶- المصدر نفسه ۲: ۳۲۹، ۳۵۸.

ص: ۱۸۰

والجدیر بالذکر، أن شعر الحج فی عصر النبوّهٔ والراشدین یختلف عن شعر الحج فی العصر الاموی. حیث ظهر فی العصر الاموی الشعر الذی یتغنّی بالحاجات، والذی سجّلته کتب التاریخ والأدب.

الحج فی الشعر الإسلامی فی عصر النبوّهٔ والراشدین:

کان الشعر فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله ینصبّ علی الدفاع عن الرسول صلی الله علیه و آله ودعوهٔ الإسلام، والردّ علی مشرکی قریش وشعرائهم. ولکن الحج ومشاهده مع ذلک ورد فی شعر ذلک العصر بالرغم من أنّ المشرکین کانوا یتولون الحج إلی العام التاسع من الهجرهٔ (۶۳۱ م)، وهی أوّل حجّهٔ فی الإسلام، وقد أناب الرسول صلی الله علیه و آله أبا بکر أولًا ثمّ أرسل مکانه علیّ بن أبی طالب؛ لیقرأ علیهم سورهٔ براءهٔ (۱)، التی یتبرأ فیها الرسول صلی الله علیه و آله ممن یحجّ من المُشرکین بعد هذا العام إلی مکّهٔ.

وبعد هجرهٔ الرسول صلی الله علیه و آله واستقراره بالمدینهٔ وظهور الدین الإسلامی، یذکر الشاعر أبو قیس صِرْمهٔ فی قصیدهٔ له ما خصّ اللَّه سبحانه وتعالی أهل یثرب وأکرمهم بنزول الرسول صلی الله علیه و آله علیهم، فیقول:

ثوی فی قریش بضع عشرهٔ حجهٔ یذکّر لو یلقی صدیقاً مواتیاً

ویعرض فی أهل المواسم نفسه فلم یرَ من یؤوی ولم یرَ داعیاً

فلمّا أتانا أظهر اللَّه دینه فأصبح مسروراً بطیبهٔ راضیاً (۲)

وخلال غزوات الرسول صلی الله علیه و آله لنشر الإسلام وتدعیم الدعوهٔ الإسلامیهٔ والحفاظ علی سیادتها فی الجزیرهٔ العربیهٔ، تناول بعض الشعراء انتصارات الرسول صلی الله علیه و آله شعراً، وذکروا فیه معانی ومشاهد عن الحج. فهذا الشاعر حسّان بن

۱- سورهٔ التوبهٔ، الآیهٔ ۹.

۲- ابن هشام، السیرهٔ ۲: ۱۵۸، الأزرقی، أخبار مکّهٔ ۲: ۱۴۷- ۱۴۸.

ص: ١٨١

ثابت يحلف فی قصيدة له بربّ الإبل الماشية فی منی بالمشعر الحرام. حيث يقول:

كلّا وربّ الراقصات إلی منی يقطعن عُرض مخارم الأطواد (١)

وعندما قدم الوفود علی الرسول صلی الله عليه و آله بالمدينة فی العام التاسع من الهجرة، كان منهم وفد همدان، فعاهدوا الرسول صلی الله عليه و آله وبايعوه، فكتب لهم الرسول صلی الله عليه و آله كتاباً، فقال فی ذلك أحدهم وهو مالك بن نَمَط أبياتاً يمدح فيها الرسول صلی الله عليه و آله ويحلف بربّ الإبل التی تسير فی منی، حيث يقول:

حلفت بربّ الراقصات إلی منی صوادر بالركبان من هضب مَرْددِ

بأنّ رسول اللّه فينا مُصدَّق رسولٌ أتی من عند ذی العرش مهتدی (٢)

وبعد وفاة الرسول صلی الله عليه و آله قام حسّان بن ثابت يبكی الرسول صلی الله عليه و آله فی قصيدة طويلة، ومنها أبيات يذكر فيها الحرم والجمرة الكبری، فيقول:

أمست بلاد الحرم وحشا بقاعها لغيبة ما كانت من الوحی تعهد

وبالجمرة الكُبری له ثم أوحشت ديارٌ وعَرصات وربع ومولد (٣)

وفی عهد الخُلفاء الراشدين يرد الحج علی لسان الشُعراء فی مناسبات عديدة.

ففی عهد الخليفة عُمر بن لخطاب، يشتكی أحد الشُعراء الخليفة من بعض الولاة فيقول:

١- ابن هشام، السيرة ٣: ٢٩٨.

٢- ابن هشام، السيرة ۴: ٢۴۵- ٢۴۶.

٣- ابن هشام، السيرة ۴: ٣١٧- ٣١٩.

ص: ۱۸۲

نحج إذا حجّوا ونغزوا إذا غزوا فأنّی لهم وفر ولسنا بذی وفر (۱)

ویقول الشاعر الُمخضرم أُمیّة بن حرثان اللیثی، وکان شیخاً کبیراً، وکان ولداه هاجرا إلی البصرة زمن الخلیفة عمر بن الخطّاب، فقال یشتکی عمر ویطلبه أن یعید له ابنه کلابا، ذاکراً الحج فی شِعره ویقول:

سأستعدی علی الفاروق ربا له عمد الحجیج إلی بُساق

إذا الفاروق لم یرد کلابا إلی شیخین هامهما زواقی (۲)

فلمّا سمع الخلیفة هذین البیتین، أرسل إلی أمیر البصرة أن یرد کلابا إلی شیخیه ففعل.

الحج فی الشعر الإسلامی فی العصر الاموی:

تطوّر الشعر وفنونه فی العصر الاموی (۴۱– ۱۳۲ ه) وازدهرت الحیاة الأدبیة فی الحجاز خاصّة والجزیرة العربیة عامّة. وصوّر الشعراء الحجّ ومناسکه ومشاعره فی قصائدهم، وخاصّة فی الشعر الغزلی بالنساء خلال أداء مناسک الحج، کالطواف ورمی الجمار وأیام مُنی. وتحتوی کُتب الأدب ودواوین الشعر علی الکثیر من هذا الشعر، الذی یصوّر الحج وما یحدث فیه من مشاهد.

وقد نشأ فی مکّة المکرّمة والمدینة المنوّرة فی العصر الاموی الشعر الغزلی وتناول فی جوانبه مشاهد الحج، وکان الشاعر عمر بن أبی ربیعة المخزومی صاحب هذه المدرسة الشعریة الجدیدة، تبعه فی ذلک تلمیذه العرجی وهو عبداللّه بن عمرو

۱– یحیی الجبوری، شعر المخضرمین، مکتبة النهضة، بغداد، ۱۹۶۴ م، ص ۳۲۲. وانظر ایضاً: هزاع الشمری، الخُلفاء الراشدون فی الشعر العربی، ط ۲، القاهرة: مطابع التقدّم، ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰ م: ۸۹– ۹۰.

۲– ابن سلام، طبقات الشعراء: ۷۲– ۷۳.

ص: ۱۸۳

ابن عثمان، الذی کان یسکن منطقة العَرْج قرب الطائف، وغیرهما من الشُعراء الذین صوّروا الحج ومشاهده فی شعرهم.

وکان طبیعیاً أن یتأثّر شُعراء الحجاز بعمر بن أبی ربیعة والعرجی وغیرهما بالبیئة القرشیة الجدیدة، والتغیر الذی أصاب الحیاة فی الحجاز نتیجة للفتوحات الإسلامیة، وإنسیاب الأموال علی الحجاز، والتغیر الاجتماعی الذی أصاب مجتمع الحجاز نتیجة لذلک.

وقام أصحاب هذا الشعر الغزلی یصفون الحج، ویلهجون بأسماء مشاهد الحج وبعض النساء الحسناوات من الحواج، کما ذکروا أوصاف مواسم الحج والإبل والهوادج، ومشاهد الحج فی عرفة ومنی والصفا والمروة والمطاف ورمی الجمرات، والإفاضة إلی آخر ما فی الحج من مواقف ومشاهد (۱).

ویحتوی دیوان الشاعر عمر بن أبی ربیعة علی العدید من الأبیات الشعریّة التی تصف الحج، کما توجد أشعاره التی تصف الحج فی العدید من کُتب الأدب.

ویتناول عمر بن أبی ربیعة فی قصیدة له الحج ومشاهده، ویمتزج فی هذه القصیدة الحنین إلی مکّة، ومعالم الحج، بالذکریات التی اقترنت بمواقفه الغزلیة، بعد أن قضی ردحاً من الزمن بالیمن، وفی هذه القصیدة یقول عمر بن أبی ربیعة:

هیهات من أُمةِ الوهاب منزلنا إذ حللنا بسیف البحر من عدن

واحتل أهلک «أجیاداً» ولیس لنا إلّا التذکّر أو حظ من الحزن (۲)

ویستمر عمر بن أبی ربیعة فی قصیدته ذاکراً مشاهد الحج فی غزله بمحبوبته فیقول:

۱- الرفاعی، الحج فی الأدب العربی: ۳۴- ۳۶.

۲- انظر: علی بن الحسین الأصبهانی، کتاب الأغانی، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الکُتب، القاهرة: د. ت ۱: ۱۱۱.

ص: ۱۸۴

ما أنسى لا أنسى يوم الخيف موقفها وموقفى وكلانا ثمّ ذو شجن

إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن (۱)

وبالرغم من تغزّل عمر بن أبى ربيعة بصاحباته فى الأماكن المقدّسة، إلّاأنّه كان يشعر بالتحرّج والتأثّم؛ لما يتطلبه الموقف العظيم فى الحج من خشوع، يقول فى إحدى قصائده:

نظرت إليها بالمحصب من منى ولى نظر لولا التحرّج عارمُ (۲)

وفى أبيات أُخرى يقول عمر بن أبى ربيعة:

أفسد الحج علينا نسوة من عبد شمس كن للموسم زينا (۳)

وبالرغم من ذلك، يتمنّى عمر بن أبى ربيعة أن يتكرّر الحج على مدار السنة؛ لتعلّق قلبه بحبيبته التى يراها فى منى، حيث يقول:

أيّها الراكب الُمجِدُّ ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا

من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادى بالخيف أمسى معارا

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كلّ يومين حجّة واعتمارا (۴)

ويتغزّل الشاعر عمر بن أبى ربيعة بعائشة بنت طلحة بن عبيداللّه التيمى، بعد أن رأها ترمى الجمار، وكان يطوف حولها ويتعرّض لها، وهى تكره أن يرى وجهها، وفيها يقول:

۱- الأصبهانى، الأغانى ۱: ۱۱۱.

۲- المصدر نفسه ۱: ۱۲۷، ۲۶۰.

۳- الفاكهى، أخبار مكّة ۱: ۳۱۴.

۴- الأصبهانى، الأغانى ۱: ۱۶۷.

ص: ۱۸۵

فمکثن حیناً ثمّ قلن توجهت للحج، موعدها لقاء الأخشب

فلقیتها تمشی تهادی موهنا ترمی الجمار عشیة فی موکبِ (۱)

أما الشاعر العرجی فیتغزّل بمحبوبته وهی نافرة من منی فیقول معاتباً:

عُوجی علیَّ فسلمّی جبرُ فیما الصدود و أنتم سفرُ

ما نلتقی إلّاثلاث منی حتی یُفرق بیننا النفرُ (۲)

کما یذکر العرجی بعض النساء اللاتی یحججن لیفتن الرجال، حیث یقول:

أماطت کساء الخز عن حُر وجهها وأدنت علی الخدّین برداً مُهللًا

من اللاتی لم یحججن یبغین حسبة ولکن لیقتلن البریء المُغفلا (۳)

وعنـدما تولّی الخلافـة هشام بن عبدالملک (۱۰۵- ۱۲۵ ه) عیّن خـاله محمّـد ابن هشام والیاً علی مکّـة المُکرّمـة، وکتب إلیه أن یحج بالناس، فهجاه العرجی بأشعار کثیرة، ومنها قوله:

کأن العام لیس بعام حج تغیّرت المواسم والشکُولِ

ومنها قوله:

ألا قل لمن أمسی بمکّة قاطناً ومن جاء من عمق و نقب المسُللِ

۱- الأصبهانی، الأغانی ۱: ۲۰۱.

۲- المصدر نفسه ۱۸: ۳۳۲- ۳۳۳.

۳- الفاکهی، أخبار مکّة ۱: ۳۱۴. الأصبهانی، الأغانی ۱: ۴۰۴.

ص: ۱۸۶

دعوا الحج لا تستهلكوا نفقاتكم فما حجُ هذا العام بالمتقبلِ

وكيف يُزكى حج من لم يكن له إمامٌ لدى تجميره غيرُ دلدلِ (۱)

ويشبب العرجى بَجيْدَاء وهى أُم محمّد بن هشام ويذكرها بمنى فيقول:

نلبث حولًا كاملًا ما نلتقى إلّاعلى منهجِ

فى الحجّ إن حجت وماذا منى وأهله إن هى لم تُحجُجِ

وعندما أنشد عالم مكّة عطاء بن أبى رباح قول العرجى هذا، قال:

الخير واللَّه كلّه بمنى وأهله حجت أو لم تُحجّ (۲)

ويذكر الشاعر عبيد اللَّه بن قياس الرقيات فى شعره البيت الحرام ومنى والجمار وبعض طُرق الحج ومناهله فى قصيدة فى ديوانه يمدح فيها مصعب بن الزبير ويفتخر بقريش حيث يقول:

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدى فالركنُ فالبطحاء

فمنى فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدح فحِراءُ

فالخيام التى بعسفان فالجحفة منهم فالقاع فالابواءُ

قد أراهم وفى المواسم إذ يغدون حلمٌ ونائلٌ وبهاءُ

ليس للَّهحُرمة مثل بيت نحن حجابه عليه الملاءُ

خصّه اللَّه بالكرامة فالبادون والعاكفون فيه سواءُ (۳)

۱- الأصبهانى، الأغانى ۱: ۴۰۶.

۲- المصدر نفسه ۱: ۴۰۷.

۳- عبيد اللَّه بن قيس الرقيات، ديوان، ت. محمّد يوسف نجم، بيروت: دار صادر ودار بيروت، ۱۳۷۸ ه/ ۱۹۵۸ م: ۸۷- ۸۸، ۹۵.

ص: ۱۸۷

وفی قصیدهٔ أُخری فی دیوانه، یمدح عبیداللّه بن قیس الرقیات عبداللّه بن الزبیر، وقد خرج إلیه وافِداً فی مکّهٔ فیذکر البیت وعرفات حیث یقول:

أنت ابن مُعتلج البطاح کدیها فکدائها

فالبیت ذی الأرکان فالمستنَّ من بطحائها

فمحلَّ أعلاها إلی عرفاتِها فحرائها

أو فی قریش بالعلی فی حکمها وقضائها (۱)

ولم یخل دیوان عبداللّه بن قیس الرقیات من الغزل فی مواسم الحج. یقول فی الثریاء:

حبذاء الحجُ والثریا ومن بالخیف من أجْلِها ومُلقی الرحالِ

درهٔ من عقائِل البحر بکر لم تنلها مثاقب اللآلِ

قطنت مکّهٔ الحرام فشطتْ وَعَدَتنی نوائب الأشغالِ (۲)

ویتناول الشاعر عمرو بن أذینهٔ، واسمه یحیی بن مالک بن الحارث اللیثی، وهو من شعراء المدینهٔ، فی شعره البیت الحرام، وزمزم ومشاعر الحج کمنی، فیقول فی أبیات:

نزلوا ثلاث مِنی بمنزل غبطةٍ وهم علی غَرَضٍ لعمرک ماهُمُ

متجاورین بغیر دار إقامهٔ لو قَد أجَدّ رحیلهم لم یندموا

ولهنّ بالبیت الحرام لُبانهٔ والبیتُ یعرفهنّ لو یتکلّمُ

۱- ابن قیس الرقیات، دیوان: ۱۱۷.

۲- ابن قیس الرقیات، دیوان: ۱۱۲- ۱۱۳. الأصبهانی، الأغانی ۱: ۲۱۳.

ص: ۱۸۸

ولو كان حياً قبلهنّ ظعائناً حيا الحطيم وجوههنّ وزمزمُ (۱)

أمّا الشاعر الحجازی كثیر وهو من خزاعهٔ وینزل المدینهٔ، فیذكر تفرّق الحجیج من منی بعد أیّام التشریق حیث یقول:

تفرق أهواء الحجیج علی مِنی وصدعهم شعب النوی صُبح رابعِ

فریقان: منهم سالك بطن نخلهٔ وآخر منهم سالك بطن تضرعِ

فلم أر داراً مثلها دار غبطهٍ وملتقی إذا التف الحجیج بمجمعِ (۲)

وفی نفس المعنی یقول أحد الشعراء:

ولما قضینا من منی كلّ حاجهٔ ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحادیث بیننا وسالت بأعناق المطی الأباطح (۳)

ویتغزّل الشاعر ذو الرمهٔ، وهو غیلان بن عقبهٔ بن حارثهٔ، بخرقاء إحدی نساء بنی عامر بن ربیعهٔ أثناء حجّها، فیقول فیها:

تمام الحجّ أن تقف المطایا علی خرقاء واضعهٔ اللثامِ (۴)

أمّا الشاعر مجنون بنی عامر وهو قیس بن الملوح، فقد تعلّق قلبه بلیلی وهام بها، وقد حجّ به أبوه لیشـفیه، وفی منی سـمع صائحاً یصیح فی اللیل قائلًا: یا لیلی،

۱- الفاكهی، أخبار مكّهٔ ۱: ۳۱۴- ۳۱۵. الأصبهانی، الأغانی ۱۸: ۲۱۳.

۲- الأصبهانی، الأغانی ۱۸: ۳۳۲- ۳۳۳.

۳- الفاكهی، أخبار مكّهٔ ۱: ۳۴۶. حیث یورد هـذه الأبیات یتغنّی بها بعض الحجّاج بعـد أن أداء مناسک الحـجّ. انظر ایضاً: یاقوت بن عبد اللّه الحموی، معجم البلدان، بیروت: دار صادر، ۱۳۹۹ ه/ ۱۹۷۹ م. ۵: ۱۹۸- ۱۹۹.

۴- الأصبهانی، الأغانی ۱۸: ۳۶- ۳۸.

ص: ۱۸۹

یبحث عن تائهة اسمها لیلی، فسقط مجنون لیلی مغشیاً علیه، وعندما أصبح أنشد یقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخیف من منی فهیج أحزان الفؤاد وما یدری

دعا باسم لیلی غیرها فکأنّما أطار بلیلی طائراً کان فی صدری

دعا باسم لیلی ضلل اللّه سعیه ولیلی بأرضٍ عنه نازحة قفر (۱)

وفی قصیدة اخری، یقول مجنون بنی عامر عن لیلی، وهی بمنی ترمی الجمار الأبیات التالیة:

ولم أرَ لیلی بعد موقف ساعةٍ بخیف منی ترمی جِمار المحصبِ

ویُبدی الحصی منها إذا قذفت به من البُردِ أطراف البنان المخضبِ

فأصبحت من لیلی الغداة کناظر مع الصبح فی أعقاب نجم مُغربِ

ألا إنّما غادرت یا أمّ مالک صدی أینما تذهب به الریحُ یذهبِ (۲)

ویصوّر شعراء النقائض کجریر والفرزدق الکثیر من معانی الحج ومشاهده فی دیوانیهما. وذلک فی المدح والهجاء والفخر. فالشاعر جریر المولود بالیمامة من نجد، یُشیر إلی الحج ومواسمه فی شعره، فیقول من قصیدة یمدح فیها الخلیفة عمر بن عبد العزیز الأبیات التالیة:

کم بالمواسم من شعثاء أرملة ومن یتم ضعیف الصوت والبصرِ

یدعوک دعوة ملهوف کأن به خبلًا من الجن أو خبلًا من النشرِ (۳)

۱- الأصبهانی، الأغانی ۲: ۲۱- ۲۲. الرفاعی، أدب الحج: ۴۱- ۴۲.

۲- الأصبهانی، الأغانی ۲: ۳۳.

۳- جریر بن عطیة الخطفی، شرح دیوان جریر، ط ۱، ت. إیلیا حاوی، بیروت: دار الکتاب اللبنانی، ۱۹۸۲: ۳۳۲- ۳۳۴، الأصبهانی، الأغانی

ص: ۱۹۰

ویمـدح الشاعر جریر، خالـد بن عبـد اللَّه القسـری- وکان والیاً علی مکّـهٔ فی عهـد الخلیفهٔ الاموی الولید بن عبد الملک-، ویقول: إن أجداده کانوا یمتدحون عندما یجتمع الحجیج فی مکّهٔ، وفی أبیات من قصیدته یقول:

إذا عُدّ أیام المکارم فافتخر بآبائک الشم الطوال السواعد

یسرّک أیام المحصب ذکرهم وعند مقام الهدی ذات القلائد (۱)

ویمدح جریر الوالی الاموی الحجّاج بن یوسف الثقفی، بأنّه أمن سبل الحُجاج فلم یعد یغیر علیهم اللصوص فیقول:

ولقد کسرت سنان کلّ منافق ولقد منعت حقائب الحُجاجِ (۲)

ویفخر جریر علی الفرزدق، ویطلب منه أن یسأل الحُجاج عن مکانته ومکانهٔ قبیلته فیقول:

وإذا الحجیجُ إلی المشاعر أوجفوا فسأل کنانهٔ وأسأل الأنصارا (۳)

ویهجو جریر الفرزدق وقومه، ویقول: إنّ الحُجاج بالمشاعر فی منی وعرفهٔ نادوا بغدرهم بعبداللَّه بن الزبیر، فیقول:

ألم تر أنّ اللَّه أخزی مُجاشعاً إذا ضم أفواج الحجیج المعرفُ

ویوم منی نادت قریش بغدرهم ویوم الهدایا فی المشاعر عُکفُ (۴)

۱- جریر، دیوان: ۲۰۷، ۲۱۰.

۲- المصدر نفسه: ۱۱۲.

۳- المصدر نفسه: ۲۷۵.

۴- المصدر نفسه: ۴۶۰.

ص: ١٩١

أمّا الشاعر الفرزدق، فيحتوى ديوانه على العديد من صور الحج ومشاهده، ففى قصيدة له فى هجاء جرير يقول:

حلفت بربّ مكّة والمصلى و أعناق الهدى مقلدات (١)

ويهجو الشاعر الفرزدق الشاعر الطرمّاح الطائى، فيقول:

سألت حجيج المسلمين فلم أجد ذبيحة طائى لمن حج حلت (٢)

ويمدح الفرزدق الخليفة سليمان بن عبد الملك، فيقول: إنّ المسلمين نذروا أن يحجّوا حفاة ويصوموا سنتين إذا وُلىَّ الخلافة، فيقول:

كم فيک إن ملکت يداک لنا يوماً نواصينا من النذر

من حَجّ حافيةٍ و صائمة سنتين أم أفيرخ زُعرِ (٣)

ويمدح الفرزدق الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز ويريد الحج وزيارته فى مكّة فيقول:

تريد معه الحجّ ابن ليلى كلاهما لصاحبه خير تُرجى فواضله

زيارة بيت اللّه وابن خليفة تحلب كفاه الندى وأنامله (۴)

ويمدح الفرزدق والى البصرة، الحكم بن أيوب بن أبى عقيل فيقول:

١- همام بن غالب بن صعصعة الفرزدق، ديوان الفرزدق، ت. أكرم البستانى، بيروت: دار بيروت، ١۴٠٠ ه/ ١٩٨٠ م، ١: ١٠٨.

٢- الفرزدق، ديوان ١: ١١۵.

٣- المصدر نفسه ١: ٢۶٣.

۴- المصدر نفسه ٢: ٨١.

ص: ۱۹۲

حلفت بما حجّت قريش و نحرت غداة مضى العشر المجللة الهدلا

لقد أدركت كفاك نفس بعدما هويت ولم تثبت بها قدمٌ نعلا (۱)

ولم تخل المشاعر من الفخر بين جرير والفرزدق، فقد التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان، فقال الفرزدق لجرير:

فإنّك لاقٍ بالمنازل من مِنىً فخاراً فخبرنى بما أنت فاخرُ

فقال له جرير: «لبيك اللهم لبيك» فاستُحسن هذا الجواب من جرير وأعجب الناس برده (۲).

والملاحظ، أنّ بعض الولاة كانوا يتّخذون مواقف نتيجة لشعراء الغزل فى الحجاز. فعندما وُلى خالد بن عبد اللّه القسرى مكّة المكرّمة، فى عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك، بلغه قول الشاعر:

يا حبذا الموسم من موفد وحبذا الكعبة من مشهد

وحبذا اللاتى يزاحمننا عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد: أمّا إنّهن لا يزاحمنّك بعد هذا، فأمر بالتفريق بين النساء والرجال فى الطواف، فكان أوّل من فرّق بين الرجال والنساء فى الطواف (۳).

وصوّر بعض الشعراء الأحداث السياسية التى حصلت فى مواسم الحج، وأشاروا إلى الحُجاج فى شعرهم، فعندما تغلّب أبو حمزة الخارجى على مكّة المُكرّمة فى موسم حج عام ۱۲۹ ه، وفرّ واليها عبد الواحد، وتركها لأبى حمزة

۱- الفرزدق، ديوان ۲: ۱۲۸.

۲- الأصبهانى، الأغانى ۸: ۳۳- ۳۴.

۳- الأزرقى، أخبار مكّة ۲: ۲۰- ۲۱.

ص: ۱۹۳

الخارجی، قال أحد الشعراء فی مکّة:

زار الحجیج عصابة قد خالفوا دین الإله ففرّ عبد الواحد

ترک الحلائل والإمارة هارباً و مضی یخبط کالبعیر الشارد (۱)

الحج فی النثر الإسلامی فی عصر النبوّة والراشدین:

کان للحجّ ومشاعره تأثیر کبیر فی النثر الإسلامی منذ عصر النبوّة والخلفاء الراشدین إلی نهایة العصر الاموی. وتمثّل ذلک فی الخطب التی احتوت علی العدید من معانی الحج وصوره.

وتشیر کُتب السیرة، کسیرة ابن هشام، وکُتب التاریخ کتاریخ الطبری، وغیرها إلی خطب الرسول صلی الله علیه و آله عندما فتح مکّة وما ذکره من حرمتها، ثمّ براءته من المُشرکین فی حج عام ۹ من الهجرة، وحجّة الوداع وخطبته فیها.

فعندما فتح الرسول صلی الله علیه و آله مکّة فی العام الثامن من الهجرة، أبطل مآثر قریش ما عدا سدانة البیت، أی خدمة الکعبة المُشرّفة، وسقایة الحج، فقال علیه الصلاة والسلام یوم فتح مکّة، وکان واقفاً علی باب الکعبة:

«لا إله إلّااللّه وحده لا شریک له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا کل مأثرة أو دم أو مال یُدعی، فهو تحت قدمی هاتین، إلّا سدانة البیت، وسقایة الحاج...» (۲).

وبعد فتح مکّة أعاد الرسول صلی الله علیه و آله للبیت حرمته، ففی الیوم الثانی من فتح مکّة خطب الرسول صلی الله علیه و آله فبین حرمة مکّة، وکانت خزاعة قد عَدَت علی رجل من هُذیل فقتلوه وهو مشرک، فخطب الرسول صلی الله علیه و آله قائلًا:

۱- محمّد بن جریر الطبری، تاریخ الرسل والملوک، ت. محمّد أبو الفضل إبراهیم، ط ۴، القاهرة: دار المعارف، د. ت ۷: ۳۷۵- ۳۷۶. الأصبهانی، الأغانی ۲۳: ۲۲۹.

۲- ابن هشام، السیرة ۴: ۵۴.

ص: ۱۹۴

«یـا أیها الناس، إنَّ اللَّه حرّم مکّهٔ یوم خلق السـموات والأرض، فهی حرام من حرام إلی یوم القیامـهٔ، فلا یحلّ لامرئ یؤمن باللَّه والیوم الآخر أن یسـفک فیه دماً، ولا یعضـد فیها شـجراً، لم تحلل لأحد کان قبلی، ولا تحلّ لأحد یکون بعدی، ولم تحلل لی إلّاهذه الساعهٔ، غضباً علی أهلها، ألا، ثمّ قد رجعت کحرمتها بالأمس...» (۱).

وفی السـنهٔ التاسـعهٔ من الهجرهٔ النبویّـهٔ، أصـبح الحـج إلی مکّهٔ یشـمل عدداً کبیراً من عرب الجزیرهٔ، وعُرف «بالحج الأکبر» وهی أوّل حجّهٔ فی الإسـلام، وقـد بعث الرسول صـلی الله علیه و آله أبا بکر أمیراً علی الحج لیُقیم للمسـلمین حجّهم، وکان المشـرکون یحجّون أیضـاً، ثمّ نزلت سورهٔ براءهٔ فی نقض ما بین الرسول صـلی الله علیه و آله وبین المُشـرکین من عهـد. یقول تعالی: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّه وَرَسُولِهِ إِلَی الَّذِینَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۲)

.

ویقول تعالی: وَأَذَانٌ مِنَ اللَّه وَرَسُولِهِ إِلَی النَّاسِ یَوْمَ الْحَجِّ الْأَکْبَرِ أَنَّ اللَّه بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ وَإِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّکُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللَّه وَبَشِّرِ الَّذِینَ کَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِیمٍ (۳)

.

ثمّ دعـا الرسـول صـلی الله علیه و آله علی بن أبی طـالب، فقـال: «أخرج بهـذه القصّـهٔ من صـدر براءهٔ، وأذّن فی النـاس یـوم النحر إذا اجتمعوا بمنی، إنّه لا یـدخل الجنّهٔ کافر، ولا یحـج بعد العام مشـرک، ولا یطوف بالبیت عریان، ومن کان له عند رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله عهد فهو إلی مدّته»، ففعل علی ذلک (۴).

وفی السنهٔ العاشرهٔ من الهجرهٔ، قام الرسول صلی الله علیه و آله بحجّته التی عُرفت بحجّهٔ الوداع، وکان یُحیط به عدد کبیر من المسلمین العرب جاءوا من أنحاء الجزیرهٔ.

۱- ابن هشام، السیرهٔ ۴: ۵۸.

۲- التوبهٔ: الآیهٔ ۱. وانظر: ابن هشام، السیرهٔ ۴: ۱۸۸.

۳- سورهٔ التوبهٔ: الآیهٔ ۳. وانظر: ابن هشام، السیرهٔ ۴: ۱۸۸.

۴- ابن هشام، السیرهٔ ۴: ۱۹۰- ۱۹۱. الطبری، تاریخ ۳: ۱۲۲- ۱۲۳.

ص: ١٩٥

فحجّ بالناس وأراهم مناسكهم وأعلمهم سُنن حجّهم، وخطب فيهم خطبته المشهورة فى يوم عرفة (يوم الحجّ الأكبر) وقال فيها: «إنّ اللَّه حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة بلدكم هذا». وقال: «إنّ اللَّه قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا» (١).

و يروى ابن هشام فى السيرة النبويّة، أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حيث وقف بعرفة قال: «هذا الموقف، للجبل الذى عليه، وكل عرفة موقف. وقال حين وقف على قُزح صبيحة المزدلفة: هذا الموقف وكل المزدلفة موقف. ثمّ لما نحر بالمنحر بمنى قال: هذا النحر، وكل منى منحر. فقضى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الحج وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض اللَّه عليهم من حجّهم: من الموقف، ورمى الجمار، وطواف البيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرّم عليهم، فكانت حجّة البلاغ، وحجّة الوداع، وذلك أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لم يحجّ بعدها» (٢).

ويروى الفاكهى فى كتابه أخبار مكّة، عن عمرو بن يثربى الضمرى قوله: «رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر، ويوم عرفة بعرفة حين زاغت الشمس على راحلته قبل الصلاة، والغد من يوم النحر بمنى بعد الظهر» (٣).

وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى المدينة يصلّى صلاة عيد الأضحى، ثمّ يعظ الناس ويوصيهم ويأمرهم. يروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى أنّه قال: «كان رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى، فأوّل شىء يبدأ به الصلاة، ثمّ ينصرف، فيقوم مُقابل الناس- والناس جلوس على صفوفهم- فيعظهم ويوصيهم،

١- ابن هشام، السيرة ۴: ٢٥١- ٢٥٢. الطبرى، تاريخ ٣: ١٥١- ١٥٢.

٢- ابن هشام، السيرة ۴: ٢٥٣. الطبرى، تاريخ ٣: ١٥٢.

٣- الفاكهى، أخبار مكّة ٣: ١٣٢.

ص: ۱۹۶

ويأمرهم. فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه أو يأمر بشيء أمر به، ثمّ ينصرف» (۱).

والواقع أنّ الخطابة تطوّرت بعد ظهور الإسلام، فقد اتخذها الرسول صلى الله عليه و آله أداة للدعوة إلى الدين والوعظ والإرشاد، وكانت خطابة الرسول صلى الله عليه و آله متمّمة للذكر الحكيم، ومن ثمّ كانت فرضاً مكتوباً فى صلاة الجمع والأعياد ثمّ مواسم الحج (۲).

وتحتفظ كتب الحديث بما اتخذه الرسول صلى الله عليه و آله من أحكام الحج وتعاليمه وسننه، التى يسير عليها المسلمون إلى اليوم. ففى صحيح البخارى وموطأ الإمام مالك بن أنس، ومسند الإمام أحمد، والمسند الصحيح لمسلم بن الحجاج، والسُنن لأبى داود، وغيرها من كُتب الحديث معلومات عن فريضة الحج، وشروطه، وأركانه، وواجباته، وسننه، ومحظوراته، والهدى والأضحية، وأنواع الحج والعمرة، وهى فرائض وتعليمات وآداب مبتيّة على القرآن وسُنّة الرسول محمد صلى الله عليه و آله. وهى تصوّر أدب الحج فى عهد الرسول صلى الله عليه و آله وعهد الخلفاء الراشدين وعصر الصحابة والتابعين.

وكان الخلفاء فى العصر الراشدى يقيمون للناس حجّهم ويخطبون فيهم، وإذا لم يحجّوا يخطبون فيهم ويصلّون بهم فى المدينة المنوّرة صلاة العيد. يقول عبداللّه بن عباس: «شهدت العيد مع رسول اللّه وأبى بكر وعمر وعثمان، فكلّهم كانوا يصلّون قبل الخطبة» (۳).

وفى مواسم الحج كان الخُلفاء الراشدون والولاة يخطبون فى اليوم السابع من ذى الحجّة بمكّة لتعليم الحاج مناسك الحج وسننه، وذلك اقتداء بما كان يفعله الرسول صلى الله عليه و آله، فقد خطب قبل التروية بيوم فى حجّة الوداع، وعندما بعث على بن أبى طالب فى العام التاسع للهجرة، قام على قبل التروية بيوم فعلّم

۱- محمّد بن اسماعيل البخارى، صحيح البخارى، ت. عبد العزيز بن بار، بيروت: دار الفكر، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۴ م، ۱: ۱۰۵.

۲- انظر هنا: شوقى ضيف، العصر الإسلامى، ط ۶، القاهرة: دار المعارف، د. ت: ۱۰۶- ۱۰۷

۳- البخارى، صحيح ۱: ۶.

ص: ۱۹۷

المسلمين مناسكهم (۱).

الحج فی النثر الإسلامی فی العصر الأُموی:

كان الولاة والخلفاء يقومون بالخطبة يوم التروية ويوم عرفة فی العصر الأموی (۴۱- ۱۳۲ ه). فعندما حجّ عتبة بن أبی سفيان بالناس سنة ۴۱ ه، خطب بعرفة فقال:

«أمّا بعد، أيُّها الناس فقد ولّيت هذا الأمر الذی يُضاعف اللَّه فيه للمُحسن الأجر، وعلى المسیء فيه الوزر، ونحن على طريقة قصدنا، فأقبلوا العافية فينا ما قبلناها منكم، وأنا أسأل اللَّه- تعالى- أن يعين كُلّا على كلّ» (۲).

وعندما سيطر عبداللَّه بن الزبير على مكّة المُكرّمة (۶۴- ۷۳ ه)، كان يخطب فی الناس يوم السابع من ذی الحجّة يعلّمهم المناسك (۳).

يروی أبو نعيم الأصبهانی فی كتابه حلية الأولياء عن محمّد بن عبداللَّه الثقفی قوله:

«شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم، فلبّى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثمّ حمد اللَّه وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد فإنّكم جئتم من آفاق شتّى وفوداً إلى اللَّه عزّوجل، فحقّ على اللَّه أن يكرم وفده. فمن كان جاء يطلب ما عند اللَّه فإنّ طالب اللَّه لا يخيب، فصدقوا قولكم بفعل، فإنّ ملاك القول الفعل، والنيّة النيّة القلوب القلوب، اللَّه اللَّه فی أيامكم هذه، فإنّها أيام تُغفر فيها الذنوب. جئتم من آفاق شتّى فی غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا، ترجون ما هنا. ثمّ لبّى ولبّى الناس، فما رأيت يوماً قط كان أكثر

۱- الفاكهی، أخبار مكّة ۳: ۱۳۱- ۱۳۲.

۲- المصدر نفسه ۳: ۱۳۶- ۱۳۷.

۳- المصدر نفسه ۳: ۱۳۳.

ص: ۱۹۸

باكياً من يومئذ» (۱).

وكان الخلفاء الأُمويون يحجّون، فيخطبون يوم السابع من ذی الحجّة، ففی أول حجّة حجّها الخليفة عبدالملك بن مروان (۶۵- ۸۵ ه) فی خلافته سنة ۷۵ ه خطب فی المسلمين فی اليوم السابع من ذی الحجّة، وكان المسلمون قد أشكل عليهم الهلال لشهر ذی الحجة.

يروی الفاكهی فی أخبار مكّة، أنّ الخليفة عبدالملك خطب فحمد اللَّه تعالی وأثنی عليه ثمّ قال:

«أيّها الناس، إنّ اللَّه- عزّوجل- جعل أمر الأُمم من غيركم إلی أنفسهم يدبرون الأوان، ويقيمون الزمان، فيصرفون أعيادهم أنی شاءوا بظن وحسبان، ألا- وإنَّ اللَّه- عزّوجل- ملك عليكم أمركم، فجعل الأهلّة مواقيت الناس، ألا وإنَّ اللَّه- عزّوجل- أخفی عليكم هذا ليبتليكم...» (۲).

وكان الولاة الأُمويون عندما يحجّون يخطبون فی أهل مكّة، يقسمون المال عليهم وقت الضيق والحاجة، وإن لم يجدوا مالًا يستدينون من الحُجّاج. يروی الفاكهی، أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفی- عامل بنی أُمية- خطب عندما قدم إلی مكّة المُكرّمة وهو والی الحج فقال فی خطبته:

«يا أهل مكّة، إنّا قد أرملنا، ولكنی سأبعث إليكم- إن شاء اللَّه- فأنظرونا.

فقام رجل فقال: لا- أنظر اللَّه من أنظرك، ولا- عذر من عذرك، أمير العراقيين، وابن عظيم القريتين، ويقول: انظرونی!! قال: فقال الحجّاج: صدقت، لا عَذَرَ اللَّه من عذرنی، وما أنظر من نظرنی، ثمّ نزل، فتسلّف من وجوه اهل العراق ممن وافی الحجّ أربعين منهم، فجمع مالًا فقسّمه علی أهل مكّة» (۳).

۱- أبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه الأصبهانی، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ۵، بيروت: دار الكتاب العربی، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷ م، ۱: ۳۳۵- ۳۳۶.

۲- الفاكهی، أخبار مكّة ۳: ۱۳۲- ۱۳۳.

۳- المصدر نفسه ۳: ۱۳۷- ۱۳۸.

ص: ١٩٩

وشهد العصر الأُموى ازدهار النثر الدينى فى مواسم الحجّ، والقائم على تفسير القرآن الكريم، وتوضيح السنّة النبويّة والفتوى فى مناسك الحجّ والعُمرة، حيث انتعشت فى مواسم الحجّ فى العصر الأُموى العلوم الإسلامية كالتفسير والسنّة والفتوى (١). وتحتوى المصادر التاريخية على الكثير من أدب الحجّ المُتعلّق بهذه العلوم، وهو أدب نثرى يتناول كلّ علم من هذه العلوم.

ولا يتّسع المجال هنا، للتوسّع فى هذه العلوم وأبرز علمائها، ولكن ستُعطى أمثلة على كل علم من العلوم الدينية فى مواسم الحجّ فى العصر الأُموى، وأبرز من اشتهر فيه من الصحابة والتابعين.

ففى علم تفسير القرآن الكريم كان الصحابة والتابعون فى مكّة المكرّمة مقصداً للحُجاج لأخذ التفسير ومن هؤلاء عبداللَّه بن العباس (ت ۶۸ ه)، وعبداللَّه ابن الزبير (ت ٧٣ ه)، وعبداللَّه بن عمر بن الخطاب، (ت ٧۴ ه).

وبرز من هؤلاء الصحابة فى تفسير القرآن الكريم فى مواسم الحجّ فى العصر الأُموى الصحابى الجليل عبداللَّه بن عباس (ت ۶۸ ه). حيث كان يخطب خلال المواسم فى الحُجاج ويقرأ عليهم القرآن ويفسّره، يروى ابن سعد عن أبى وائل أنّه قال: «خطبنا ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسّر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت» (٢).

وكان الحُجّاج وطلبة العلم يقدمون لمكّة المُكرّمة لأخذ التفسير من عبداللَّه

١- انظر: إبراهيم بن عبد العزيز الجميح، الحياة العلمية فى مواسم الحج فى العصر الأُموى ۴١- ١٣٢ ه/ ۶۶١- ٧۵٠، دراسة قُدمت إلى مجلس البحث العلمى ومُعدّة للنشر، جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ١۴٢٢ ه/ ٢٠٠٢ م: ١- ١١١.

٢- الأصبهانى، حلية الأولياء ١: ٣٢۴، وانظر أيضاً: يوسف بن عبداللَّه النمرى القرطبى، جامع بيان العلم وفضله، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت ١: ١١۵.

ص: ۲۰۰

ابن العبـاس، کمـا کـان عبـداللَّه بن العبـاس أیضـاً مقصـداً لعلمـاء المسـلمین من الیمن وأنحـاء الجزیرة والعراق، حیث یقـدمون للحجّ ویستفیدون من علم ابن عباس بالسماع والمحاورة، ومن هؤلاء عالم الیمن طاوس بن کیسان (ت ۱۰۶ ه) (۱).

وعندما سُئل بأنّه ترک أکابر الصحابة ولزم ابن عباس قال: «إنّی رأیت سبعین من أصحاب رسول اللَّه- صلی الله علیه و آله إذا تدارؤوا [اختلفوا] فی أمر صاروا إلی قول ابن عباس» (۲).

ومن التابعین الـذین برزوا فی تفسـیر القرآن الکریم مجاهـد بن جبر المکّی (ت ۱۰۴ ه) وهو مقرئ ومفسِّر، وقد اسـتفاد من ابن عباس وأخذ عنه تفسـیر القرآن. یقول مجاهد: «عرضت المصحف علی ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلی خاتمته، أوقفه عند کلّ آیة منه وأسأله عنها» (۳).

وکانت السُـنّة النبویّة من العلوم الدینیة المزدهرة فی مواسم الحجّ فی العصـر الأُموی. وقد استحوذت السُنّة النبویّة علی اهتمام المسلمین فی العصر الأُموی.

وکانت مواسم الحـج فرصة لدراسة السُـنّة النبویّة وفهمها حیث یلتقی المسـلمون، علماء وطلبةً بأصـحاب الرسول صـلی الله علیه و آله- والتابعین فی مکّة المکرّمـة والمدینـة المنوّرة؛ لسؤالهم والأخـذ منهم عن سُـنّة رسول اللَّه- صـلی الله علیه و آله- عن الحـجّ ومناسـکه وسُننه.

واشـتهر فی مواسم الحجّ فی العصـر الأُموی عدد من أصـحاب الرسول صـلی الله علیه و آله والتابعین بفهم السـنّة النبویّة وحفظها، ومن هؤلاء عبـداللَّه بن العباس، وعبـداللَّه بن عمرو بن العاص (ت ۶۵ ه)، وعبـداللَّه بن الزبیر (ت ۷۳ ه) وغیرهم. وکان یحـدّثون فی الحج ویجیبون عن أسئلة الحُجّاج اعتماداً علی سنّة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله.

۱- انظر: محمّد بن سعد بن منیع البصری، الطبقات الکُبری، بیروت: دار صادر، د. ت ۲: ۳۶۶- ۳۶۷. و ۵: ۵۴۰.

۲- ابن سعد، الطبقات ۲: ۳۶۶- ۳۶۷.

۳- الأصبهانی، حلیة ۳: ۳۷۹- ۳۸۰.

ص: ۲۰۱

وتحتوى كُتب الحديث والتاريخ والطبقات على الكثير من النثر الديني المتعلّق بسُنن الحجّ وأحكامه، الذى احتوته صدور الصحابة أخذاً عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، كان عبداللَّه بن عمرو بن العاص، مقصداً للحُجاج خلال مواسم الحج. حيث يقدمون للحج، وفى نفس الوقت يستمعون إليه يحدث عن رسول اللَّه- صلى الله عليه و آله-. يقول عروة بن الزبير (ت ۹۴ ه): إنّه جلس إلى عبداللَّه بن عمرو بن العاص- عن حجّ وسمعه يحدّث عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله (۱). وقد كتب عبداللَّه بن عمرو بن العاص الكثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله فى صحيفة كان يسميها «الصادقة» (۲).

ومن تابعى المدينة الذين برزوا فى فهم سُنّة الرسول صلى الله عليه و آله وحدّثوا بها فى مواسم الحجّ فى العصر الأُموى، سعيد بن المسيب (ت ۹۴ ه)، وأبان بن عثمان بن عفان (ت ۱۰۵ ه)، والقاسم بن محمّد بن أبى بكر (۱۰۸ ه).

ومن تابعى مكّة المكرّمة الذين برزوا فى فهم السنّة النبويّة، وكانوا مقصداً للحُجاج عمرو بن دينار (ت ۱۲۶ ه). (۳).

كما نصح عالم اليمن طاوس بن كيسان (ت ۱۰۶ ه) ابنه إذا قدم لمكّة أن يلزم عمرو بن دينار حيث قال له: «إذا قدمت مكّة فعليك بعمرو بن دينار...» (۴).

وفى الفتوى فى مواسم الحجّ فى العصر الأُموى، اشتهر بعض الصحابة

۱- القرطبى، جامع ۲: ۱۳۳.

۲- ابن سعد، الطبقات ۴: ۲۶۲.

۳- محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبى، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير والأعلام ۱۲۱- ۱۴۰ ه، ت. عمر عبد السلام التدمرى، ط ۱، بيروت: دار الكتاب العربى، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۰ م.: ۱۸۸.

۴- ابن سعد، الطبقات ۵: ۴۷۹.

ص: ۲۰۲

والتابعين فى مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة بالفتوى، وكانوا مقصداً للحجّاج حيث يفتوهم ويبينون لهم مناسك الحجّ والعُمرة.

ومن الصحابة الذين اشتهروا بالفتوى عبداللّه بن العباس، وعبداللّه بن الزبير وعبداللّه بن عمر بن الخطاب. وعلى سبيل المثال لا الحصر، كان عبداللّه بن الزبير يفتى المسلمين خلال مواسم الحج، فعندما صُرع معبد بن حزابة المخزومى وهو فى طريقه إلى الحجّ، أفتاه عبداللّه بن الزبير: «أن يبدأ بما لابدّ منه ويفتدى، ثمّ يجعلها عُمرة، ويحجّ عاماً قابلًا ويهدى» (۱).

واشتهر من تابعى الصحابة فى الفتوى عطاء بن أبى رباح (ت ۱۱۵ ه) وإليه انتهت فتوى أهل مكّة المكرّمة فى زمانه (۲). ولقد وصلت شهرة عطاء بن أبى رباح الآفاق حتى أنّه ما قال شيئاً بالحجاز إلّاوقبل منه (۳). وترتّب على شهرته المبنية على معرفته بأحكام الحجّ ومناسكه، أن قدر الخلفاء الأُمويون له ذلك. فقد كان الخُلفاء الأُمويون فى تلك الفترة يأمرون فى الحاجّ صائحاً يصيح بأن لا يفتى الناس إلّا عطاء بن أبى رباح (۴).

خاتمة:

كان الهدف من هذه الدراسة هو محاولة إعطاء صورة عن أدب الحجّ، شعراً ونثراً فى الحجاز والجزيرة العربية من العصر الجاهلى إلى نهاية العصر الأُموى (۱۳۲ ه).

۱- انظر: محمّد بن جرير الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، بيروت: دار الفكر، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸ م، ۲: ۲۲۱.

۲- ابن سعد، الطبقات ۵: ۴۷۰.

۳- انظر: يعقوب بن سفيان البسوى، المعرفة والتاريخ، ت. أكرم ضياء العمرى، ط ۸، المدينة المنوّرة: مكتبةالدار، ۱۴۱۰ ه. ۲: ۱۸.

۴- الفاكهى، أخبار مكّة ۲: ۳۴۷.

ص: ۲۰۳

وقـد بیّنت الدراسـة فی بـدایتها معنی الحـجّ فی اللغـة العربیـة والـدین. فوضّـحت أنّ الحجّ کان یعنی القصد والزیارة، ثمّ تطوّر لیصـبح مفهومه زیارة البیت الحرام وأداء نسک الحجّ فی المشاعر المقدّسة علی أساس دین إبراهیم علیه السلام.

ثمّ وضّـحت الدراسـة ما طرأ علی الحـجّ من تغیر بعد الإسـلام، حیث أبطل الإسـلام عادات العرب وتقالیدهم عن الحج، فأصـبح الحجّ رکناً من أرکان الإسلام الخمسة، وفریضة علی المسلمین من استطاع إلیه سبیلًا.

و وضّحت الدراسة أنّ أدب الحج فی الجاهلیة یشمل الشعر والنثر والأمثال.

ففی الشـعر الجـاهلی ذکر العرب البیت الحرام وسـقایة الحـاج والمشـاعر، کمنی وعرفـات ومزدلفـة، وأشـاروا إلی بعض مشاهـد الحج کالإبل التی تحمل الحجّاج قادمین لمکّة لأداء الحج، وکرمی الجِمار. وغیرها من مشاهد الحجّ وأیامه.

وفی النثر عبّر العرب قبل الإسلام عن فخرهم وسیادتهم، وحرمة البیت الذی یلونه، وعن حفر بئر زمزم وسقایتهم للحجیج ورفادتهم له.

وفی أمثالهم کان الحجّ عنصراً مؤثراً، فذکروه فی أمثالهم التی ما زالت متداولة إلی الیوم.

ثمّ وضّحت الدراسة أدب الحجّ فی الحجاز والجزیرة العربیة فی العصر الإسلامی. فتناولت أدب الحجّ المتمثّل فی الشعر والنثر فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله وعصر الخُلفاء الراشدین والعصر الأُموی إلی نهایته.

ففی عصـر الرسول صـلی الله علیه و آله، ذکر الشُـعراء العرب الحـج فی شـعرهم، حیث تنـاولوا القسم بـاللَّه سـبحانه وتعالی، رب الإبل القاصدة بالحجّاج منی لأداء مناسک الحج، والحرم، والجمرة الکبری.

وبیّنت الدراسة تطوّر أدب الحج المُتمثّل فی الشعر فی العصر الأُموی، وذلک لتغیرات اجتماعیة طرأت علی الحیاة فی الحجاز. فذکرت شُعراء الحجاز وشعرهم الغزلی الذی یصفون فیه الحج ومشاعره ومشاهده، کعرفة ومنی ورمی الجمرات

ص: ۲۰۴

والطواف، وما یحثّ فی هذه المشاهد وغیرها من لقاء وفراق ووصل وهجر.

وأشارت إلی شُعراء النقائض کجریر والفرزدق وما یحتویه شعرهما ممّا یتعلّق بالحج ومناسکه، کمنی والنعم المقلّدهٔ، والطواف واستلام الحجر الأسود وغیرها من صور الحجّ ومشاهده.

ثمّ تناولت الدراسهٔ الحج فی النثر الإسلامی فی عصر النبوّهٔ والراشدین، فبینت احتواء هذا النثر علی معانی الحج الإسلامیهٔ، التی أرساها القرآن الکریم وأکّدها الرسول صلی الله علیه و آله، فعندما فتح الرسول صلی الله علیه و آله مکّهٔ أبطل عادات العرب الجاهلیهٔ، ولم یبقِ إلّاعلی سقایهٔ الحاج وسدانهٔ البیت، ثمّ حرمهٔ البیت الحرام.

وفی أوّل حجّهٔ فی الإسلام فی العام التاسع للهجرهٔ، أبطل الرسول صلی الله علیه و آله عادات العرب الدینیهٔ عن الحج، فأمر علی بن أبی طالب، أن یقرأ علی الناس فی منی سورهٔ براءهٔ، التی یتبرأ فیها المسلمون من المشرکین، وأن یعلمهم بأنّه لا یدخل الجنّهٔ کافر، ولا یحجّ بعد هذا العام مُشرک، ولا یطوف بالبیت عریان.

وفی حجّهٔ الوداع أکّد الرسول صلی الله علیه و آله حرمهٔ البیت الحرام ودماء المسلمین، وبیّن للناس مناسکهم، واعلمهم ما فرض اللَّه علیهم فی حجّهم، من الوقوف بعرفهٔ ورمی الجمار والطواف بالبیت وما یحلُ وما یُحرم.

واستمر الخُلفاء الراشدون یخطبون للمسلمین إذا حجّوا، فی منی فی الیوم التاسع، وإذا لم یحجّوا یخطبون للمسلمین فی المدینهٔ المُنوّرهٔ بعد صلاهٔ عید الأضحی. وکذلک فعل العمال والولاهٔ.

وبیّنت الدراسهٔ أنّ الخلفاء الأُمویین وولاتهم علی مکّهٔ، کانوا یخطبون فی الناس فی الیوم السابع ویعلّمون الناس مناسک الحجّ.

کما أوضحت الدراسهٔ ازدهار النثر الدینی المُتمثل فی الخطب الدینیهٔ والمجالس العلمیّهٔ فی العصر الأُموی، والذی شمل تفسیر القرآن الکریم وتوضیح السُنّهٔ النبویّهٔ والافتاء فی أحکام الحج وسننه. وهو أدب للحج یعکس تطوّر

ص: ۲۰۵

الحیاة العلمیة وازدهارها فی مواسم الحج فی العصر الأُموی.

وهکذا، إذن، کان أدب الحج فی الحجاز والجزیرة العربیة، منذ عصر ما قبل الإسلام إلی نهایة العصر الأُموی، زاخراً وغنیاً ومتنوعاً نظماً ونثراً. وتمثّل فیه بعض ما ظهر من أسرار وحکم وفوائد الحج، بل کان فیه منفعة من عدّة منافع عن الحج ذکرها اللَّه فی محکم کتابه حیث یقول: وَأَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجَالًا وعَلَی کُلِّ ضَامِرٍ یَأْتِینَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ (۱)

.

۱- سورة الحج: الآیة ۲۷.

ص: ۲۰۶

علل الحج فى كتب الصدوق أبواب علل الأحكام وغيرها (۴)

فارس حسّون كريم

۳۰- باب علّة إحرام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من مسجد الشجرة، ولم يحرم دون ذلك

۱- عن الحسين بن الوليد، عمّن ذكره، قال: قلت لأبى عبداللَّه عليه السلام: لأىّ علّة أحرم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من مسجد الشجرة ولم يحرم من موضع دونه؟

قال: لأنّه لمّا اسرى به إلى السماء وصار بحذاء الشجرة وكانت الملائكة تأتى إلى البيت المعمور بحذاء المواضع التى هى مواقيت سوى الشجرة، فلمّا كان فى الموضع الذى بحذاء الشجرة نودى: يا محمّد، قال: لبّيك. قال: ألم أجدك يتيماً فآويت، ووجدتك ضالّاً فهديت؟

قال النبى صلى الله عليه و آله: إنّ الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك لبّيك، فلذلك أحرم من الشجرة دون المواضع كلّها (۱).

۲- عن معاوية بن عمّار، قال: قال أبو عبداللَّه عليه السلام: اعلم أنّ من تمام الحجّ والعمرة أن تحرم من الوقت الذى وقته رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لا تتجاوز إلّاوأنت محرم فإنّه

۱- من لا يحضره الفقيه ۲: ۲۰۰ ضمن ح ۲۱۳۴، علل الشرائع: ۴۳۳ ب ۱۶۹ ح ۱، روضة المتّقين ۴: ۳۸، وسائل الشيعة ۱۱: ۳۱۱ ح ۱۳، بحار الأنوار ۱۸: ۳۷۰ ح ۷۶، و ۹۹: ۱۲۸ ح ۱۲.

ص: ۲۰۷

وقّت لأهل العراق ولم یکن یومئذ عراق بطن العقیق من قبل العراق، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل المغرب الجحفة وهی مکتوبة عندنا مهیعة، ووقت لأهل المدینة ذا الحلیفة، ووقت لأهل الیمن یلملم ومن کان منزله بخلف هذا المواقیت ممّا یلی مکّة فوقته منزله (۱).

۳- عن أبی أیّوب الخزّاز، قال: قلت لأبی عبداللَّه علیه السلام: حدّثنی عن العقیق وقت وقّته رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أو شیء صنعه الناس؟

فقال: إنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وقّت لأهل المدینة ذا الحلیفة، ووقّت لأهل المغرب الجحفة، وهی عندنا مکتوبة مهیعة، ووقّت لأهل الیمن یلملم، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل نجد العقیق وما أنجدت (۲).

۳۱- باب علّة الاشعار والتقلید

۱- عن السکونیّ، عن جعفر بن محمّد علیه السلام أنّه سئل: ما بال البدنة تقلّد النعل وتشعر؟

قال: أمّا النعل فتعرف أنّها بدنة ویعرفها صاحبها بنعله، وأمّا الإشعار فإنّه یحرم ظهرها علی صاحبها من حیث أشعرها، ولا یستطیع الشیطان أن یمسّها (۳). (۴) ۲- عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام، قال: إنّما استحسنوا (۵) الإشعار للبدن (۶)

۱- علل الشرائع: ۴۳۴ ب ۱۶۹ ح ۲، بحار الأنوار ۹۹: ۱۲۸ ح ۱۳.

۲- علل الشرائع: ۴۳۴ ح ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۱۲۸ ح ۱۴.

۳- فی بعض المصادر: یتسنّمها. أی یرکب علی سنامها حقیقة أو مجازاً بوسوسة أبدالها ورکوبها والانتفاع بها أو ذبحها.

۴- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۰۰ ذ ح ۲۱۳۴، علل الشرائع: ۴۳۴ ب ۱۷۰ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۲۳۸ ح ۱۴۳، روضة المتّقین ۴: ۳۹، وسائل الشیعة ۱۱: ۲۷۹ ح ۲۲، بحار الأنوار ۹۹: ۱۰۱ ح ۳، ملاذ الأخیار ۸: ۷۹ ح ۱۴۳.

۵- أی جعله اللَّه حسناً، أو النبیّ والأئمّة صلوات اللَّه علیهم.

۶- المراد: لیکون تعجیلًا للمغفرة، لأنّه إذا کان یغفر اللَّه تعالی عند أوّل قطرة تقطر من دمها وهذا أیضاً من دمها یغفر اللَّه لصاحبها معجّلًا.

ص: ۲۰۸

لأنّه أوّل قطرة تقطر من دمها یغفر اللَّه عزّوجلّ له علی ذلک (۱).

۳- عن الحلبیّ، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: أیّ رجل ساق بدنة فانکسرت قبل أن تبلغ محلّها، أو عرض لها موت أو هلاک فلینحرها إن قدر علی ذلک، ثمّ لیلطّخ نعلها التی قلّدت به بدم حتّی یعلم من مرّ بها أنّها قد ذکّیت فیأکل من لحمها إن أراد، وإن کان الهدی الذی انکسر أو هلک مضموناً فإنّ علیه أن یبتاع مکان الذی انکسر أو هلک، والمضمون هو الشیء الواجب علیک فی نذر أو غیره، وإن لم یکن مضموناً وإنّما هو شیء تطوّع به، فلیس علیه أن یبتاع مکانه إلّاأن یشاء أن یتطوّع (۲).

۳۲- باب علّة رمی الجمار

۱- عن علیّ بن جعفر، عن أخیه موسی بن جعفر علیه السلام، قال: سألته عن رمی الجمار لِمَ جعل؟ قال: لأنّ إبلیس اللعین کان یتراءی لإبراهیم علیه السلام فی موضع الجمار فرجمه إبراهیم، فجرت السنّة بذلک (۳).

۲- عن معاویة بن عمّار، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: أوّل من رمی الجمار آدم علیه السلام وقال: أتی جبرئیل علیه السلام إبراهیم فقال: إرم یا إبراهیم، فرمی جمرة العقبة، وذلک إنّ الشیطان تمثّل له عندها (۴).

۱- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۱۴ ح ۲۱۹۳ وص ۳۲۳ ح ۲۵۷۰، علل الشرائع: ۴۳۴ ب ۱۷۰ ح ۲، روضة المتّقین ۴: ۶۸ و ۳۶۳، وسائل الشیعة ۱۱: ۲۷۸ ح ۱۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۰۱ ح ۱.

۲- علل الشرائع ۹۹: ۱۰۱ ح ۲، وسائل الشیعة ۱۴: ۱۴۲ ح ۴، بحار الأنوار ۹۹: ۱۰۱ ح ۲.

۳- قرب الاسناد: ۲۳۸ ح ۹۳۴، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۰۰ صدر ح ۲۱۳۵، علل الشرائع: ۴۳۷ ب ۱۷۷ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۴۰، وسائل الشیعة ۱۴: ۲۶۳ ح ۳ وص ۲۶۴ ح ۷، بحار الأنوار ۱۲: ۱۱۰ ح ۳۲، و ۹۹: ۲۷۳ ح ۱۰.

۴- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۰۰ ذیل ح ۲۱۳۵، علل الشرائع: ۴۳۷ ب ۱۷۷ ح ۲، روضة المتّقین ۴: ۴۰، وسائل الشیعة ۱۴: ۲۶۴ ح ۴، بحار الأنوار ۱۲: ۱۱۰ ح ۳۳، و ۹۹: ۲۷۳ ح ۱۱.

ص: ۲۰۹

۳۳- باب علّة الاضحية

۱- عن إسماعيل بن مسلم السكونى، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: إنّما جعل اللّٰه هذا الأضحى لتتّسع (۱) مساكينكم من اللحم، فأطعموهم (۲). (۳) ۲- عن أبى بصير، عن أبى عبداللّٰه عليه السلام، قال: قلت له: ما علّة الاضحية؟

فقال عليه السلام: إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطرة تقطر من دمها إلى الأرض، وليعلم اللّٰه تعالى من يتّقيه بالغيب، قال اللّٰه تعالى: لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ (۴)

، ثمّ قال: انظر كيف قبل اللّٰه قربان هابيل، وردّ قربان قابيل (۵).

۳- عن أبى جميلة، عن أبى عبداللّٰه عليه السلام، قال: سألته عن لحم الأضاحى، فقال: كان علىّ بن الحسين وابنه محمّد عليهم السلام يتصدّقان بالثلث على جيرانهما، وبثلث على المساكين، وثلث يمسكانه لأهل البيت (۶).

۳۴- باب علّة استحباب استفراه الضحايا

۱- عن موسى بن إبراهيم، عن أبى الحسن موسى عليه السلام، قال: قال

۱- فى بعض المصادر: ليشبع.

۲- المراد: إطعام البعض منهم، ويمكن أن يكون المراد: استحباب إطعام الزائد على المسمّى للأكل.

۳- من لا يحضره الفقيه ۲: ۲۰۰ صدر ح ۲۱۳۶، ثواب الأعمال: ۸۴ ح ۵، علل الشرائع: ۴۳۷ ب ۱۷۸ ح ۱، روضة‌المتّقين ۴: ۴۰، وسائل‌الشيعة ۱۰: ۵۰۱ ح ۱۲، و ۱۴: ۲۰۵ ح ۴ و: ۲۰۶ ح ۱۰، بحارالأنوار ۹۹: ۲۹۶ ح ۱۵.

۴- سورة الحجّ: ۳۷.

۵- علل الشرائع: ۴۳۷ ب ۱۷۸ ح ۲، وسائل الشيعة ۱۴: ۴۰۷ ح ۱۱، بحار الأنوار ۷۰: ۲۷۶، و ۹۹: ۲۹۶ ح ۱۷.

۶- الكافى ۴: ۴۹۹ ح ۳، من لا يحضره الفقيه ۲: ۴۹۳ ح ۳۰۵۴، المقنع: ۲۷۵، علل الشرائع: ۴۳۸ ح ۳، روضة المتّقين ۴: ۴۰، و ۵: ۱۶۰، وسائل الشيعة ۱۴: ۱۶۳ ح ۱۳، بحار الأنوار ۴۶: ۳۰۰ ح ۴۰، و ۹۹: ۲۹۶ ح ۱۶، مرآة العقول ۱۸: ۱۸۱ ح ۳، عوالم العلوم ۱۸: ۱۳۴ ح ۱.

ص: ۲۱۰

رسول اللّه صلى الله عليه و آله: استفرهوا ضحاياكم (۱) فإنّها مطاياكم على الصراط (۲). (۳) ۳۵- باب علّةعدم جواز إطعام المساكين فی كفّارة اليمين من لحوم الأضاحی

۱- عن إسماعيل بن أبی زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام أنّ عليّاً عليه السلام سُئل: هل يطعم المساكين فی كفّارة اليمين من لحوم الأضاحی؟

قال: لا، لأنّه قربان للّه‌تعالی (۴).

۳۶- باب علّة النهی عن حبس لحوم الأضاحی فوق ثلاثة أيّام، ثمّ اطلق فی ذلك

۱- عن محمد بن مسلم، عن أبی جعفر عليه السلام، قال: كان النبی صلى الله عليه و آله نهى أن تحبس لحوم الأضاحی فوق ثلاثة أيّام من أجل الحاجة، فأمّا اليوم فلا بأس به (۵).

۲- عن جميل بن درّاج، قال: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن حبس لحوم الأضاحی فوق ثلاثة أيّام بمنى.

قال: لا بأس بذلك اليوم، إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله إنّما نهى عن ذلك أوّلًا لأنّ الناس كانوا يومئذٍ مجهودين، فأمّا اليوم فلا بأس.

وقال أبو عبداللّه عليه السلام: كنّا ننهی‌الناس عن إخراج لحوم الأضاحی بعد ثلاثة أيّام

۱- أی اجعلوها نفيسة سمينة غير معيوبة.

۲- أی تحملكم بعينها أو بثوابها، فكلّما كانت أنفس يكون جوازكم على الصراط بها أسهل.

۳- من لا يحضره الفقيه ۲: ۲۱۳ ح ۲۱۹۰، علل الشرائع: ۴۳۸ ب ۱۷۹ ح ۱، روضة المتّقين ۴: ۶۷، وسائل الشيعة ۱۴: ۲۰۹ ب ۶۲ ح ۱، بحار الأنوار ۷: ۲۷۶، و ۹۹: ۲۹۷ ح ۱۸.

۴- الكافی ۷: ۴۶۱ ح ۹، علل الشرائع: ۴۳۸ ب ۱۸۰ ح ۱، وسائل الشيعة ۱۴: ۲۰۹ ب ۶۳ ح ۱، و ۲۲: ۳۹۰ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۲۹۷ ح ۲۰، مرآة العقول ۲۴: ۳۵۵ ح ۹.

۵- المحاسن للبرقیّ ۲: ۴۰ ح ۵۶، علل الشرائع: ۴۳۸ ب ۱۸۱ ح ۱، تهذيب الأحكام ۵: ۲۲۶ ح ۱۰۳، الاستبصار ۲: ۲۷۴ ح ۹۷۳، وسائل الشيعة ۱۴: ۱۶۹ ح ۳ و ۴، بحار الأنوار ۹۹: ۲۸۵ ح ۴۳، ملاذ الأخيار ۸: ۵۹ ح ۱۰۳.

ص: ۲۱۱

لقلّةاللحم وکثرةالناس، فأمّااليومفقدكثر اللحم وقلّ الناس، فلا بأس بإخراجه (۱).

۳- عن محمـد بن عبـداللَّه بن موسـی بن عبـداللَّه، عن أبيه، عن خاله زيد بن علی، عن أبيه، عن جدّه، عن علیّ عليه السـلام، قال: قال رسول اللَّه صـلی الله عليه و آله: نهيتكم عن ثلاث: نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، ونهيتكم عن إخراج لحوم الأضاحی من منی بعد ثلاث ألا فكلوا وادّخروا، ونهيتكم عن النبيذ ألا فانبذوا، وكلّ مسكر حرام- يعنی الذی ينبذ بالغداة ويشرب بالعشیّ، وينبذ بالعشیّ ويشرب بالغداة، فإذا غلی فهو حرام (۲).

۳۷- باب علّة جواز أن يعطی الاضحيّة من يسلخها بجلدها

۱- عن صفوان بن يحيی الأزرق (۳)، قال: قلت لأبی إبراهيم عليه السلام: الرجل يعطی الضحية من يسلخها بجلدها؟

قال عليه السلام: لا بأس به، إنّما قال عزّوجلّ: فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا (۴)

والجلد لا يؤكل ولا يطعم (۵). (۶)

۱- المحاسن للبرقیّ ۲: ۴۰ ح ۵۷، علل الشرائع: ۴۳۹ ح ۲، وسائل الشيعة ۱۴: ۱۷۰ ح ۵ و ۶، بحار الأنوار ۹۹: ۲۸۵ ح ۴۵ و ۴۶.

۲- علل الشرائع: ۴۳۹ ح ۳، وسائل الشيعة ۱۴: ۱۷۰ ح ۷، بحار الأنوار ۹۹: ۲۸۵ ح ۴۸.

۳- قال المجلسی رحمه الله: اعلم أنّ النسخ التی عندنا «عن صـفوان بن يحيی، عن يحيی» لأنّه لم يوصف صفوان ولاأبوه بالأزرق، بل صفوان يروی عن يحيی بن عبـد الرحمان الأزرق، وهو أيضاً ثقة، وهذه الرواية فی التهذيب وقعت مراراً، ويظهر من الفقيه أنّ صـفوان يروی عن يحيی بن حسّان الأزرق، وهو إن لم يكن موثّقاً لكنّ الصدوق رحمه الله اعتمد علی كتابه وذكر طريقه إليه.

۴- سورة الحجّ: ۳۶.

۵- يحتمل أن يكون المراد عـدم جری العادة بأكله لا حرمته، وأيضاً الجلـد الذی يعطی الجزّار، وهو ما عدا جلد الرأس، والذی يؤكل جلد الرأس.

۶- من لا يحضره الفقيه ۲: ۲۰۱ ضمن ح ۲۱۳۹، علل الشرائع: ۴۳۹ ب ۱۸۲ ح ۱، روضة المتّقين ۴: ۴۲، وسائل الشيعة ۱۴: ۱۷۵ ح ۷ و ۸، بحار الأنوار ۶۶: ۴۲ ح ۲۲، و ۹۹: ۲۹۷ ح ۲۱.

ص: ۲۱۲

۳۸- باب علّة وجوب استقراض ثمن الاضحیّة علی مَن لا یجد

۱- عن موسی بن إبراهیم، عن أبی الحسن موسی علیه السلام، قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله لُامّ سلمة وقد قالت له: یارسول اللّه، نحضر الأضحی ولیس عندی ما اضحّی به فأستقرض واضحّی؟

قال: فاستقرضنی فإنّه دین مقضیّ (۱). (۲) ۲- عن شریح بن هانئ، عن علی علیه السلام أنّه قال: لو علم الناس ما فی الأضحیّة لاستدانوا وضحّوا، إنّه لیغفر لصاحب الأضحیّة عند أوّل قطرة تقطر من دمها (۳).

۳۹- باب العلّة التی من أجلها تُجزئ البدنة عن نفسٍ واحدةٍ، وتجزئ البقرة عن خمسة أنفس

۱- عن الحسین بن خالد، عن أبی الحسن علیه السلام، قال: قلت له: عن کم تجزئ البدنة؟

قال: عن نفس واحدة.

قلت: فالبقرة؟

قال: تجزئ عن خمسة إذا کانوا یأکلون علی مائدة واحدة.

قلت: وکیف صارت البدنة لا تجزئ إلّاعن واحدة، والبقرة تجزئ عن خمسة؟

قال: لأنّ البدنة لم یکن فیها من العلّة ما کان فی البقرة، إنّ الّذین أمروا قوم موسی علیه السلام بعبادة العجل کانوا خمسة أنفس، وکانوا أهل بیت یأکلون علی خوان

۱- أی یقضیه اللّه تعالی.

۲- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۱۳ ح ۲۱۹۱ و ۴۸۹: ح ۳۰۴۵، علل الشرائع: ۴۴۰ ب ۱۸۳ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۶۷، و ۵: ۱۵۱، وسائل الشیعة ۱۴: ۲۱۰ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۲۹۷ ح ۱۹.

۳- علل الشرائع: ۴۴۰ ح ۲، روضة المتّقین ۴: ۶۷، وسائل الشیعة ۱۴: ۲۱۰ ح ۲، بحار الأنوار ۹۹: ۲۹۷ ح ۲۲.

ص: ۲۱۳

واحـد، وهـم: اذیبویهٔ، وأخوه مذویهٔ (۱)، وابن أخیه وابنته وامرأته هم الّـذین أمروا بعبادهٔ العجل، وهم الّـذین ذبحوا البقرهٔ الّتی أَمر اللَّه تعالی بذبحها (۲). (۳) ۴۰- باب العلّهٔ التی من أجلها یجزئ فی الهدی الجَذَع من الضأن (۴)، ولا یجزئ الجذع من المعز

۱- عن حمّاد بن عثمان، قال: قلت لأبی عبداللَّه علیه السلام: أدنی ما یجزئ فی الهدی من أسنان الغنم؟

قال: فقال: الجذع من الضأن.

قال: قلت: الجذع من الماعز.

فقال: لا یجزئ.

۱- اختلف فی ضبط هذین الاسمین، ففی بعض المصادر: اذینونهٔ، میذونهٔ. وفی بعضها: اذینوه، میذویه.

۲- قال الشیخ الصـدوق رحمه الله: جاء هـذا الحـدیث هکـذا فأوردته کما جاء لما فیه من ذکر العلّهٔ، والّذی افتی به وأعتمده انّ البقرهٔ والبدنهٔ تجزئان عن سبعهٔ نفر من أهل بیت واحد ومن غیرهم.

حدّثنا بذلک محمد بن الحسن بن أحمد بن الولید، حدّثنا محمد بن الحسن الصـفّار، قال: حدّثنا محمد ابن الحسـین بن أبی الخطّاب، عن وهیب بن حفص، عن أبی بصـیر، عن أبی عبداللَّه علیه السـلام، قال: البقرهٔ والبدنهٔ تجزئان عن سبعهٔ إذا اجتمعوا من أهل بیت ومن غیرهم.

[الخصال: ۳۵۶ ح ۳۸، بحار الأنوار ۹۹: ۲۹۵ ح ۱۰].

حـدّثنا أبی، قال: حدّثنا سـعد بن عبداللَّه، عن بنان بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن یونس بن یعقوب، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن البقرهٔ یضحّی بها.

قال: فقال: تجزئ عن سبعهٔ متفرقین.

[الخصال: ۳۵۶ ح ۳۷، وسائل الشیعهٔ ۱۴: ۱۲۲ ح ۱۹، بحار الأنوار ۹۹: ۲۹۶ ح ۱۳].

۳- المحاسن للبرقیّ ۲: ۳۶ ح ۴۴، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۰۰ ضمن ح ۲۱۳۶، الخصال: ۲۹۲ ح ۵۵، علل الشرائع: ۴۴۰ ب ۱۸۴ ح ۱، عیون أخبار الرضا علیه السـلام ۲: ۸۳ ح ۲۲، روضهٔ المتّقین ۴: ۴۱، وسائل الشیعهٔ ۱۴: ۱۲۱ ح ۱۸، بحار الأنوار ۱۳: ۲۱۶ ح ۸، و ۹۹: ۲۹۵ ح ۹.

۴- الجذع من الضأن هو ما کمل له ستّهٔ أشـهر؛ وقیل: إنّه ما کمل له سـبعهٔ أشـهر؛ وقیل: إنّ ولد الضأن إنّما یجذع ابن‌سـبعهٔ أشهر إذا کان أبواه شابّین ولو کانا هرمین لم یجذع حتّی یستکمل ثمانیهٔ أشهر.

ص: ۲۱۴

قال: فقلت له: جعلت فداک، ما العلّة فیه؟

قال: فقال: لأنّ الجذع من الضأن یلقح والجذع من المعز لا یلقح (۱).

۴۱- باب علّة سقوط الذبح عمّن تمتّع عن امّه، وأهلّ بحجّة عن أبیه

۱- عن الحارث بن المغیرة، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: سألته عن رجل تمتّع عن امّه وأهلّ بحجّة عن أبیه.

قال: إن ذبح فهو خیر له، وإن لم یذبح فلیس علیه شیء، لأنّه تمتّع عن امّه وأهلّ بحجّة عن أبیه (۲) . (۳) ۴۲- باب العلّة التی من أجلها صیّر الموقف بعرفات ولم یصیّر بالحرم

۱- عن سعد بن عبداللَّه، قال: حدّثنی محمد بن الحسن الهمدانی، قال: سألت ذا النون المصری قلت: یا أبا الفیض، لِمَ صیّر الموقف بالمشعر (۴) ولم یصیر بالحرم؟

قال: حدّثنی من سأل الصادق علیه السلام ذلک فقال: لأنّ الکعبة بیت اللَّه والحرم حجابه والمشعر بابه، فلمّا أن قصده الزائرون وقفهم بالباب حتّی أذن لهم بالدخول، ثمّ وقفهم بالحجاب الثانی وهو مزدلفة، فلمّا نظر إلی طول تضرّعهم أمرهم بتقریب قربانهم، فلمّا قرّبوا قربانهم وقضوا تفثهم (۵) وتطهّروا من الذنوب التی کانت لهم

۱- المحاسن للبرقی ۲: ۷۰ ح ۱۲۷، الکافی ۴: ۴۸۹ ح ۱، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۰۱ ضمن ح ۲۱۳۶، علل الشرائع: ۴۴۱ ب ۱۸۵ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۴۱، وسائل الشیعة ۱۴: ۱۰۳ ح ۴، بحار الأنوار ۹۹: ۲۸۷ ح ۵۲، مرآة العقول ۱۸: ۱۶۰ ح ۱.

۲- قال الشیخ الحرّ العاملی: العمرة هنا محمولة علی المفردة، والحجّ علی حجّ الافراد، ووجه المجاز تقدّم العمرة علی الحجّ.

۳- علل الشرائع: ۴۴۱ ب ۱۸۶ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۲۳۹ ح ۱۴۶، وسائل الشیعة ۱۴: ۸۰ ح ۵، بحار الأنوار ۹۹: ۲۸۶ ح ۵۱، ملاذ الأخیار ۸: ۸۱ ح ۱۴۶.

۴- قال المولی محمد تقی المجلسی رحمه الله: أی بعرفات، فإنّه أیضاً مشعر العبادة، والظاهر أنّه سهو من النسّاخ.

۵- التفث: ما یفعله المحرم عند إحلاله کقصّ الشارب والظفر. وقیل: هو ذهاب الشعث والدرن والوسخ مطلقاً. «مجمع البحرین ۲: ۲۳۸- تفث-».

ص: ۲۱۵

حجاباً دونه أمرهم بالزیارة علی طهارة قال: فقلت: فلِمَ کره الصیام فی أیّام التشریق؟

فقال: لأنّ القوم زوّار اللَّه وهم أضیافه وفی ضیافته ولا ینبغی للضیف أن یصوم عند من زاره وأضافه (۱) قلت: فالرجل یتعلّق بأستار الکعبة ما یعنی بذلک؟

قال: مثل ذلک مثل الرجل یکون بینه وبین الرجل جنایة فیتعلّق بثوبه یستخذی له رجاء أن یهب له جرمه (۲).

۴۳- باب علّة عدم کتابة ذنب علی الحاجّ أربعة أشهر

۱- عن الحسین بن خالد، قال: قلت لأبی الحسن علیه السلام (۳): لأیّ شیء صار الحاجّ لا یکتب لهم ذنب أربعة أشهر؟

قال: لأنّ اللَّه تبارک وتعالی أباح للمشرکین أشهر الحرم أربعة أشهر، إذ یقول: فَسِیحُوا فِی الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ (۴)

فمن ثمّ وهب لمن حجّ من المؤمنین البیت الذنوب أربعة أشهر (۵).

۱- زاد فی الفقیه: وروی أنّها أیّام أکل وشرب وبعال.

۲- الکافی ۴: ۲۲۴ ح ۱، من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۷- ۱۹۸ ح ۲۱۲۹ وصدر ح ۲۱۳۰، علل الشرائع: ۴۴۳ ب ۱۹۰ ح ۱، کنز الفوائد ۲: ۸۱، تهذیب الأحکام ۵: ۴۴۸ ح ۲۱۱، مناقب ابن شهرآشوب ۲: ۳۷۸، روضة المتّقین ۴: ۲۹، وسائل الشیعة ۱۰: ۵۱۷ ح ۶، و ۱۱: ۲۲۵ ح ۱۸، بحار الأنوار ۹۹: ۳۴ ح ۱۲ و: ۳۵ ح ۱۳، مرآة العقول ۱۷: ۶۷ ح ۱، ملاذ الأخیار ۸: ۴۸۳ ح ۲۱۱.

۳- فی بعض المصادر: عن أبی عبداللَّه علیه السلام.

۴- سورة التوبة: ۲.

وقال المجلسی رحمه الله: هی أشهر السیاحة ولیس فی أشهر الحرم، وذلک أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لمّا بعث سورة براءة مع أمیر المؤمنین علیه السلام إلی مکّة أمره أن ینبذ إلی المشرکین عهودهم ویمهلهم بعده أربعة أشهر لیرجعوا إلی بلادهم ومأمنهم، وذلک من یوم النحر فی تلک السنة، العاشر من ربیع الآخر.

۵- الکافی ۴: ۲۵۵ ح ۱۰، من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۸ ذیل ح ۲۱۳۰، علل الشرائع: ۴۴۳ ب ۱۹۱ ح ۱، عیون أخبار الرضا علیه السلام ۲: ۸۳ ح ۲۳، روضة المتّقین ۴: ۳۱، وسائل الشیعة ۱۱: ۹۷ ح ۹، بحار الأنوار ۹۹: ۱۷ ح ۶۰، مرآة العقول ۱۷: ۱۲۵ ح ۱۰.

ص: ۲۱۶

۴۴- باب العلّة التی من أجلها أفاض رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله من المشعر خلاف أهل الجاهلیّة

۱- عن معاویة بن عمّار، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: کان أهل الجاهلیّة یقولون:

أشرق ثبیر- یعنون الشمس- کیما نغیر (۱)، وإنّما أفاض رسول اللّه صلی الله علیه و آله من المشعر لأنّهم کانوا یفیضون (۲) بإیجاف الخیل وإیضاع الإبل (۳)، فأفاض رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله بالسکینة والوقار والدعة، وأفاض بذکر اللّه تعالی والاستغفار وحرکة لسانه (۴).

۴۵- باب علّة إقامة الحدّ علی الجانی فی الحرم، ولا یقام علی الجانی فی غیر الحرم إذا فرّ إلی الحرم

۱- عن حفص بن البختری، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن الرجل یجنی الجنایة فی غیر الحرم ثمّ یلجأ إلی الحرم یقام علیه الحدّ.

قال: لا، ولا- یطعم ولا یسقی ولا یکلّم ولا یبایع، فإنّه إذا فعل ذلک به یوشک أن یخرج فیقام علیه الحدّ، وإذا جنی فی الحرم جنایة اقیم علیه الحدّ فی الحرم لأنّه لم یر للحرم حرمة (۵).

۲- عن معاویة بن عمّار، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن رجل قتل رجلًا فی الحلّ ثمّ دخل الحرم؟

فقال علیه السلام: لا یقتل ولا یطعم ولا یسقی ولا یبایع ولا یؤوی حتّی یخرج من

۱- أی نذهب سریعاً؛ وقیل: أراد: نغیر علی لحوم الأضاحی من الاغارة والنهب؛ وقیل: أی نسرع إلی النحر. وثبیر هو الجبل المعروف عند مکّة.

۲- أی انّهم کانوا یسرعون فی السیر بعد الإفاضة فی الموقف أیضاً قبل البلوغ إلی وادی محسر.

۳- أی إسراعها فی سیرها.

۴- علل الشرائع: ۴۴۴ ب ۱۹۲ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۱۹۲ ح ۱۴، وسائل الشیعة ۱۴: ۲۶ ح ۵، بحار الأنوار ۹۹: ۲۶۷ ح ۵، ملاذ الأخیار ۷: ۵۵۰ ح ۱۴.

۵- تفسیر القمّی ۱: ۱۰۸، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۰۵ ذیل ح ۲۱۴۸، و ۴: ۱۱۵ ح ۵۲۲۹، علل الشرائع: ۴۴۴ ب ۱۹۳ ح ۱، تهذیب الأحکام ۱۰: ۲۱۶ ح ۶، روضة المتّقین ۴: ۴۹، و ۱۰: ۳۴۳، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۲۷ ح ۴ و ۵، و ۲۸: ۵۹ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۷۳ ح ۹ و: ۷۴ ح ۱۰، ملاذ الأخیار ۱۶: ۴۵۷ ح ۶.

ص: ۲۱۷

الحرم فیقام علیه الحدّ.

قلت: فما تقول فی رجل قتل فی الحرم أو سرق؟

قال علیه السلام: یقام علیه الحدّ فی الحرم صاغراً لأنّه لم یر للحرم حرمة، وقد قال اللّه عزّوجلّ: فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (۱)

فقال: هذا هو فی الحرم، وقال: فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (۲)

. (۳) ۳- عن الحلبیّ، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: سألته عن قول اللّه عزّوجلّ:

وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً (۴)

قال: إذا أحوت العبد فی غیر الحرم جنایة ثمّ فرّ إلی الحرم لم یسع لأحد أن یأخذه فی الحرم ولکن یمنع من السوق ولا یبایع ولا یطعم ولایسقی ولا یکلّم، فإنّه إذا فعل ذلک به یوشک أن یخرج فیؤخذ، وإذا جنی فی الحرم جنایة اقیم علیه الحدّ فی الحرم، لأنّه لم یدع للحرم حرمته (۵).

۴۶- باب‌علّة أکل‌المحرم الصید إذا اضطرّ إلیه، وعلّة من روی أنّه یأکل المیتة

۱- عن العمرکی، عن علیّ بن جعفر، عن أخیه موسی بن جعفر علیه السلام، قال:

سألته عن المحرم إذا اضطرّ إلی أکل صید ومیتة، وقلت: إنّ اللّه تعالی حرّم الصید وأحلّ المیتة، قال: یأکل ویفدیه فإنّما یأکل من ماله (۶).

۲- عن أبی أیّوب، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن رجل اضطرّ وهو محرم إلی صید ومیتة، من أیّهما یأکل؟

۱- سورة البقرة: ۱۹۴.

۲- سورة البقرة: ۱۹۳.

۳- الکافی ۴: ۲۲۷ ح ۴، تهذیب الأحکام ۵: ۴۱۹ ح ۱۰۲ و: ۴۶۳ ح ۲۶۰، روضة المتّقین ۱۰: ۳۴۳، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۲۵ ح ۱، ملاذ الأخیار ۸: ۴۲۴ ح ۱۰۲ و: ۵۱۸ ح ۲۶۰.

۴- سورة آل عمران: ۹۷.

۵- الکافی ۴: ۲۲۶ ح ۲، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۲۶ ح ۲، مرآة العقول ۱۷: ۷۱ ح ۲.

۶- علل الشرائع: ۴۴۵ ب ۱۹۵ ح ۱، وسائل الشیعة ۱۳: ۸۶ ح ۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۱ ح ۱۹.

ص: ۲۱۸

قال: یأکل من الصید.

قلت: فإنّ اللّه قد حرّمه علیه وأحلّ له المیتة، قال: یأکل ویفدی فإنّما یأکل من ماله (۱).

۳- عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبی عبداللّه علیه السلام: محرم قد اضطرّ إلی صید وإلی میتة فمن أیّهما یأکل؟

قال: یأکل من الصید.

قلت: ألیس قد أحلّ اللّه المیتة لمن اضطرّ إلیها؟

قال: بلی، ولکن‌یفدی، ألاتری أنّه إنّما یأکل من ماله و یأکل الصید و علیه فداؤه.

وروی أنّه یأکل المیتة، لأنّها احلّت له، ولم یحلّ له الصید (۲).

۴۷- باب علّة کراهة المقام بمکّة

۱- عن أبی الصباح الکنانی، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن قول اللّه تعالی:

وَمَنْ یُرِدْ فِیهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِیمٍ (۳)

فقال: کلّ ظلم یظلم به الرجل نفسه بمکّة من سرقة أو ظلم أحد أو شیء من الظلم فإنّی أراه إلحاداً ولذلک کان ینهی أن یسکن الحرم (۴).

۲- عن أحمد بن محمد السیّاری، قال: روی جماعة من أصحابنا، رفعوه إلی أبی عبداللّه علیه السلام أنّه کره المقام بمکّة، وذلک أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله اخرج عنها والمقیم بها یقسو قلبه حتّی یأتی فی غیرها (۵).

۱- علل الشرائع: ۴۴۵ ب ۱۹۵ ح ۲، وسائل الشیعة ۱۳: ۸۶ ح ۶، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۲ ح ۲۰.

۲- علل الشرائع: ۴۴۵ ح ۳، وسائل الشیعة ۱۳: ۸۶ ح ۷ و ۸، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۲ ح ۲۱.

۳- سورة الحجّ: ۲۵.

۴- الکافی ۴: ۲۲۷ ح ۳، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۵۲ ح ۲۳۳۰، علل الشرائع: ۴۴۵ ب ۱۹۶ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۱۵۹، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۳۲ ح ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۸۰ ح ۲۴، مرآة العقول ۱۷: ۷۴ ح ۳.

۵- من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۴ ضمن ح ۲۱۲۱ و: ۲۵۴ ح ۲۳۳۹، علل الشرائع: ۴۴۶ ب ۱۹۶ ح ۲، روضة المتّقین ۴: ۲۱، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۳۴ ح ۸، بحار الأنوار ۹۹: ۸۰ ح ۲۵.

ص: ۲۱۹

۳- عن محمـد بن جمهور، رفعه إلی أبی عبـداللّه علیه السـلام قال: إذا قضـی أحـدکم نسکه فلیرکب راحلته ولیلحق بأهله فإنّ المقام بمکّة یقسی القلب (۱).

۴- عن محمد بن مسلم، عن أبی جعفر علیه السلام، قال: لا ینبغی للرجل أن یقیم بمکّة سنة قلت: فکیف یصنع؟

قال: یتحوّل عنها إلی غیرها، ولا ینبغی لأحدٍ أن یرفع بناءه فوق الکعبة (۲).

۵- قال الصادق علیه السلام: لا احبّ للرجل أن یقیم بمکّة سنة، وکره المجاورة بها، وقال: ذلک یقسی القلب (۳).

۴۸- باب علّة کراهة الاحتباء (۴) فی المسجد الحرام

۱- عن حمّاد بن عثمان، قال: رأیت أبا عبداللّه علیه السلام یکره الاحتباء للمحرم.

قال: ویکره الاحتباء فی المسجد الحرام إعظاماً للکعبة (۵).

۲- وإنّما یکره الاحتباء فی المسجد الحرام تعظیماً للکعبة (۶).

۱- الکافی ۴: ۲۳۰ ذیل ح ۱، علل الشرائع: ۴۴۶ ب ۱۹۶ ح ۳، روضة المتّقین ۴: ۱۶۳، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۳۴ ح ۶ و: ۲۳۵ ح ۹، بحار الأنوار ۹۹: ۸۱ ح ۲۶.

۲- الکافی ۴: ۲۳۰ ح ۱، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۵۴ ح ۲۳۳۸، علل الشرائع: ۴۴۶ ب ۱۹۶ ح ۴، تهذیب الأحکام ۵: ۴۴۸ ح ۱۵۶۳ و: ۴۶۳ ح ۱۶۱۶، روضة المتّقین ۴: ۲۱ وص ۱۶۳، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۳۳ ح ۵ و: ۲۳۵ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۶۰ ح ۲۶ و: ۸۱ ح ۲۷، ملاذ الأخیار ۸: ۴۸۳ ح ۲۰۹ و: ۵۱۹ ح ۲۶۲.

۳- المقنعة: ۷۰، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۳۵ ح ۱۱.

۴- وقیل أیضاً: الاحتذاء.

قال المولی محمد تقی المجلسی رحمه الله: یقال: احتبی بالثوب: اشـتمل وجمع بین ظهره وساقیه بعمامة، والظاهر أنّ کراهته لاستقبال العورة بالکعبة، سیّما إذا لم یکن له سراویل.

وعلی الاحتذاء یکون المراد به لبس النعل مطلقاً، أو غیر العربیّ، ولا ریب فی منافاته لتعظیم المسجد الحرام، بل للکعبة أیضاً.

۵- الکافی ۴: ۳۶۶ ح ۸، علل الشرائع: ۴۴۶ ب ۱۹۷ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۳۱، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۶۶ ح ۲ و: ۲۶۷ ح ۲، بحار الأنوار ۹۹: ۶۰ ح ۲۷.

۶- من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۸ ح ۲۱۳۱، روضة المتّقین ۴: ۳۱، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۶۷ ح ۵.

ص: ۲۲۰

۴۹- باب علّة کون الرکوب فی الحجّ أفضل من المشی

۱- عن رفاعة بن موسی النخّاس، عن أبی عبداللَّه علیه السلام أنّه سئل عن الحجّ ماشیاً أفضل أم راکباً.

قال: بل راکباً فإنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله حجّ راکباً (۱).

۲- عن سیف التّمار، قال: قلت لأبی عبداللَّه علیه السلام: إنّا کنّا نحجّ مشاة فبلغنا عنک شیء فما تری؟

قال: إنّ الناس یحجّون مشاة ویرکبون.

قلت: لیس ذلک أسألک.

فقال: عن أیّ شیء تسألنی؟

قلت: أیّما أحبّ إلیک أن نصنع؟

قال: ترکبون أحبّ إلیّ فإنّ ذلک أقوی لکم علی العبادة والدعاء (۲).

۳- عن أبی بصیر، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن المشی أفضل أو الرکوب.

فقال: إذا کان الرجل موسراً فمشی لیکون أقلّ لنفقته فالرکوب أفضل (۳).

۴- عن سلیمان، قال: قلت لأبی عبداللَّه علیه السلام: إنّا نرید أن نخرج إلی مکّة مشاة

۱- الکافی ۴: ۴۵۶ ح ۴ و ۵، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۱۸ ح ۲۲۱۷، علل الشرائع: ۴۴۶ ب ۱۹۸ ح ۱- ۳، تهذیب الأحکام ۵: ۱۲ ح ۳۱ و: ۴۷۸ ح ۱۶۹۱، روضة المتّقین ۴: ۷۵، وسائل الشیعة ۱۱: ۸۱ ح ۱ و ۲ و: ۸۲ ح ۴، حلیة الأبرار ۳: ۵۷ ح ۸ بحار الأنوار ۹۹: ۱۰۴ ح ۶- ۸، مرآة العقول ۱۸: ۱۱۰ ح ۴ و ۵، ملاذ الأخیار ۷: ۲۰۰ ح ۳۱، و ۸: ۵۴۹ ح ۳۳۷.

۲- الکافی ۴: ۴۵۶ ح ۲، علل الشرائع: ۴۴۷ ب ۱۹۸ ح ۴، تهذیب الأحکام ۵: ۱۲ ح ۳۲ و: ۴۷۸ ح ۱۶۹۰، وسائل الشیعة ۱۱: ۸۳ ح ۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۰۴ ح ۹، مرآة العقول ۱۸: ۱۰۹ ح ۲، ملاذ الأخیار ۷: ۲۰۰ ح ۳۲، و ۸: ۵۴۸ ح ۳۶.

۳- الکافی ۴: ۴۵۶ ح ۳، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۱۹ ح ۲۲۱۸، علل الشرائع: ۴۴۷ ب ۱۹۸ ح ۵، مستطرفات السرائر: ۳۵ ح ۴۶، روضة المتّقین ۴: ۷۵، وسائل الشیعة ۱۱: ۸۵ ح ۱۰ و ۱۱، بحار الأنوار ۹۹: ۱۰۴ ح ۱۰، مرآة العقول ۱۸: ۱۰۹ ح ۳.

ص: ۲۲۱

فقال: لا تمشوا، اخرجوا رکباناً.

فقلنا: أصلحک اللَّه انّا بلغنا عن الحسن بن علیّ صلوات اللَّه علیه أنّه حجّ عشرین حجّة ماشیاً فقال: إنّ الحسن بن علی علیه السلام کان یحجّ وتساق معه الرحال (۱).

۵۰- باب علّة کون التکبیر أیّام التشریق بمنی فی دبر خمس عشرة صلاة، وبالأمصار فی دبر عشر صلوات

۱- عن زرارة، قال: قلت لأبی‌جعفر علیه السلام: التکبیر أیّام التشریق فی دبر الصلاة.

قال: التکبیر بمنی فی دبر خمس عشرة صلاة من صلاة الظهر یوم النحر إلی صلاة الغداة، فقال: تقول فیه: اللَّه أکبر اللَّه أکبر لا إله إلّااللَّه واللَّه أکبر اللَّه أکبر علی ما هدانا واللَّه أکبر علی ما رزقنا من بهیمة الأنعام، والحمد للَّه‌علی ما أبلانا، وإنّما جعل فی سائر الأمصار فی دبر عشر صلوات التکبیر، لأنّه إذا نفر الناس فی النفر الأوّل أمسک أهل الأمصار عن التکبیر وکبّر أهل منی ما داموا بمنی إلی النفر الأخیر(۲). (۳).

۱- قرب الاسناد: ۱۷۰ ح ۶۲۴، الکافی ۴: ۴۵۵ ح ۱، علل الشرائع: ۴۴۷ ب ۱۹۸ ح ۶، تهذیب الأحکام ۵: ۱۲ ح ۳۳، الاستبصار ۲: ۱۴۲ ح ۴۶۵، وسائل الشیعة ۱۱: ۸۳ ح ۶ و: ۸۴ ح ۷، حلیة الأبرار ۳: ۵۷ ح ۷ و: ۵۸ ح ۹، بحار الأنوار ۹۹: ۱۰۳ ح ۱ و ۲، ملاذ الأخیار ۷: ۲۰۱ ح ۳۳، مرآة العقول ۱۸: ۱۰۹ ح ۱.

۲- قال المولی محمد تقی المجلسی رحمه الله: الظاهر أنّ المراد انّه شرع أصالة بمنی عوضاً عن تفاخر الناس فی الجاهلیة بآبائهم، فإذا نفر الناس من منی إلی مکّة انقطع التکبیر، فانقطاعه فی غیرها من البلدان أولی.

وقال ابنه محمد باقر المجلسی رحمه الله: حاصل التعلیل أنّ أصل التکبیر إنّما هو لأهل منی، وأهل الأمصار تبع لهم، فإذا سقط وجوب الکون بمنی عن بعضهم سقط عن أهل الأمصار لئلّا یزید الفرع علی الأصل.

۳- الکافی ۴: ۵۱۶ ح ۲، من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۹ صدر ح ۲۱۳۳، علل الشرائع: ۴۴۷ ب ۱۹۹ ح ۱، الخصال: ۵۰۲ ح ۴، تهذیب الأحکام ۵: ۲۶۹ ح ۹۲۱، و ۳: ۱۳۹ ح ۳۱۳، الاستبصار ۲: ۲۹۹ ح ۱۰۶۹، روضة المتّقین ۴: ۳۳، وسائل الشیعة ۷: ۴۵۸ ح ۲، بحار الأنوار ۹۱: ۱۲۴ ح ۱۷ و: ۱۲۵ ح ۱۸، و ۹۹: ۳۰۷ ح ۱۲، مرآة العقول ۱۸: ۲۰۸ ح ۲، ملاذ ا لأخیار ۵: ۱۹۵ ح ۴۵، و ۸: ۱۳۷ ح ۳۴.

ص: ۲۲۲

۵۱- باب علّة كون الركن الشامى متحرّكاً فى الشتاء والصيف

۱- عن العرزمىّ، قال: كنت مع أبى عبداللّه عليه السلام جالساً فى الحجر تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلًا وأحدهما يقول لصاحبه: واللّه ما ندرى من أين تهبّ الريح، فلمّا أكثر عليه قال له أبو عبداللّه عليه السلام: هل تدرى من أين تهبّ الريح؟

فقال: لا، ولكنّى أسمع الناس يقولون، فقلت أنا لأبى عبداللّه عليه السلام: من أين تهبّ الريح؟

فقال: إنّ الريح مسجونة (۱) تحت هذا الركن الشامىّ، فإذا أراد اللّه تعالى أن يرسل منها شيئاً أخرجه إمّا جنوباً فجنوب، وإمّا شمالًا فشمال، وإمّا صباء فصباء، وإمّا دبوراً فدبور، ثمّ قال: وآية ذلك إنّك لا تزال ترى هذا الركن متحرّكاً (۲) أبداً فى الشتاء والصيف والليل والنهار (۳).

۵۲- باب علّة كون البيت مرتفعاً يُصعد إليه بالدرج

عن أبان بن تغلب، قال: لمّا هدم الحجّاج الكعبة فرّق الناس ترابها، فلمّا صاروا إلى بنائها وأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حيّة فمنعت الناس البناء حتى انهزموا، فأتوا الحجّاج فأخبروه، فخاف أن يكون قد منع بناءها، فصعد المنبر، ثمّ أنشد الناس وقال: انشد اللّه عبداً عنده ممّا ابتلينا به علم لما أخبرنا به.

قال: فقام إليه شيخ، فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى

۱- يحتمل أن يكون كناية عن قيام الملائكة الّذين بهم تهبّ تلك الرياح فوقه عند إرادة ذلك.

۲- أى حركة الثوب المعلّق عليه.

۳- الكافى ۸: ۲۷۱ ح ۴۰۱، من لا يحضره الفقيه ۲: ۱۹۳ ضمن ح ۲۱۱۶، علل الشرائع: ۴۴۸ ب ۲۰۰ ح ۱، معانى الأخبار: ۳۸۴ ح ۱، روضة المتّقين ۴: ۱۴، بحار الأنوار ۶۰: ۸ ح ۷، مرآة العقول ۲۶: ۲۷۶ ح ۴۰۱.

ص: ۲۲۳

الکعبة فأخذ مقدارها ثمّ مضی.

فقال الحجّاج: من هو؟

فقال: علیّ بن الحسین علیه السلام.

فقال: معدن ذلک. فبعث إلی علیّ بن الحسین علیه السلام، فأتاه فأخبره بما کان من منع اللّه إیّاه البناء، فقال علی بن الحسین علیه السلام: یا حجّاج، عمدت إلی بناء إبراهیم وإسماعیل فألقیته فی الطریق وانتهبته، کأنّک تری أنّه تراث لک، اصعد المنبر فانشد الناس أن لا یبقی أحد منهم أخذ منه شیئاً إلّاردّه.

قال: ففعل، وأنشد الناس أن لا یبقی أحد منهم أخذ منه شیئاً إلّاردّه.

قال: فردّوه، فلمّا رأی جمیع التراب أتی علیّ بن الحسین فوضع الأساس وأمرهم أن یحفروا، قال: فتغیّبت الحیّة عنهم، وحفروا حتی انتهوا إلی موضع القواعد، فقال لهم علیّ بن الحسین علیه السلام: تنحّوا، فتنحّوا فدنا منها فغطّاها بثوبه، ثمّ بکی، ثمّ غطّاها بالتراب بید نفسه، ثمّ دعا الفعلة، فقال: ضعوا بناءکم، فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت حیطانه أمر بالتراب فالقی فی جوفه، فلذلک صار البیت مرتفعاً یصعد إلیه بالدرج (۱).

۵۳- باب علّة هدم الکعبة من قِبل قریش

۱- عن ابن أبی عمیر، عمّن ذکره، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: إنّما هدمت قریش الکعبة، لأنّ السیل کان یأتیهم من أعلی مکّة فیدخلها فانصدعت (۲). (۳)

۱- الکافی ۴: ۲۲۲ ح ۸، من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۳ ضمن ح ۲۱۱۶، علل الشرائع: ۴۴۸ ب ۲۰۱ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۱۵، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۱۸ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۵۲ ح ۱، مرآة العقول ۱۷: ۶۵ ح ۸.

۲- أی أنّ قریشاً لم یتعمّدوا خرابها، بل انصدعت وانشقّت بسبب السیل فهدموها وأعادوا البناء من جدید.

۳- الکافی ۴: ۲۱۷ ح ۴، من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۴ ح ۲۱۲۰، علل الشرائع: ۴۴۹ ب ۲۰۲ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۲۰، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۱۵ ح ۱۰، بحار الأنوار ۹۹: ۵۳ ح ۴، مرآة العقول ۱۷: ۵۷ ح ۴.

ص: ۲۲۴

۵۴- باب العلّة التی من أجلها كان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله يمرّ فی كلّ حجّة من حججه بالمأزمين فينزل فيبول، وعلّة كون الدخول إلى المسجد الحرام من باب بنی شيبة، وعلّة كون التكبير يُذهب بالضغاط (۱)، وعلّة كون الصرورة يستحبّ له دخول الكعبة، وعلّة كون الحلق على الصرورة واجباً، وعلّة الاستحباب للصرورة أن يطأ المشعر برجله

۱- عن سليمان بن مهران، قال: قلت لجعفر بن محمّد علیه السلام: كم حجّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؟

فقال: عشرين مستتراً (۲) فی حجّه يمرّ بالمأزمين (۳) فينزل فيبول (۴).

فقلت: يابن رسول اللَّه، ولم كان ينزل هناك فيبول؟

قال: لأنّه أوّل موضع عبد فيه الأصنام، ومنه اخذ الحجر الّذی نُحت منه هبل الّذی رمى به علیّ من ظهر الكعبة، لمّا علا ظهر رسول اللَّه فأمر بدفنه عند باب بنی شيبة، فصار الدخول إلى المسجد من باب بنی شيبة سنّة لأجل ذلك.

قال سليمان: فقلت: فكيف صار التكبير يذهب بالضغاط هناك؟

قال: لأنّ قول العبد: اللَّه أكبر معناه اللَّه أكبر من أن يكون مثل الأصنام المنحوتة والآلهة المعبودة دونه، وأنّ إبليس فی شياطينه يضيق على الحاجّ مسلكهم فی ذلك الموضع، فإذا سمع التكبير طار مع شياطينه وتبعهم الملائكة حتّى يقعوا فی اللجّة الخضراء، فقلت: فكيف صار الصرورة يستحبّ له دخول الكعبة دون من قد حجّ؟

فقال: لأنّ الصرورة قاضی فرض مدعوّ إلى حجّ بيت اللَّه، فيجب أن يدخل البيت الذی دعی إليه ليكرم فيه.

۱- الضغاط: الزحام. «مجمع البحرين ۴: ۲۶۰- ضغط-».

۲- فی بعض المصادر: مستسرّاً. ولعلّ الاستسرار بالحجّ من قومه- مع أنّهم كانوا لا ينكرون الحجّ- للنسیء، لأنّهم كانوا يحجّون فی غير أوانه، أو لمخالفة أفعاله لأفعالهم للبدع التی ابتدعوها فی حجّهم.

۳- المأزمين: موضع بين عرفة والمشعر.

۴- روی صدر الحديث فی: الكافی ۴: ۲۴۴ ح ۲ و: ۲۵۱ ح ۱۲، من لا يحضره الفقيه ۲: ۲۳۷ ح ۲۲۹۱، تهذيب الأحكام ۵: ۴۴۳ ح ۱۵۴۲ و: ۴۵۸ ح ۱۵۹۰، وسائل الشيعة ۱۴: ۹ ح ۲.

ص: ۲۲۵

قلت: فکیف صار الحلق علیه واجباً دون من قد حجّ؟

فقال: لیصیر بذلک موسماً بسمة الآمنین، ألا تسمع اللَّه تعالی یقول: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِینَ مُحَلِّقِینَ رُءُوسَکُمْ وَمُقَصِّرِینَ لَاتَخَافُونَ (۱)؟

قلت: فکیف صار وطء المشعر (۲) علیه واجباً؟

قال: لیستوجب بذلک وطیء بحبوحة الجنّة (۳).

۵۵- باب علّة کون أیّام منی ثلاثة

۱- عن محمد بن أبی عمیر، عن بعض أصحابه، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال:

قال لی: أتدری لِمَ جعلت أیّام منی ثلاثاً؟

قال: قلت: لأیّ شیء- جعلت فداک- ولماذا؟

قال لی: من أدرک شیئاً منها أدرک الحجّ (۴). (۵)

۱- سورة الفتح: ۲۷.

۲- الظاهر أنّ المراد بالمشعر: المسجد الّذی علی قزح، أو أصل جبل قزح، والمراد بوطئه أن یکون راجلًا وإن لم یکن حافیاً، فإن لم یمکنه فراکباً ببعیره.

۳- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۳۸ ح ۲۲۹۲، علل الشرائع: ۴۴۹ ب ۲۰۳ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۱۲۳، وسائل الشیعة ۱۴: ۸ ح ۱، بحار الأنوار ۲۱: ۳۹۸ ح ۲۲، و ۹۹: ۴۰ ح ۲۲.

۴- أی ثوابه.

قال الشیخ الصدوق رحمه الله: جاء هذا الحدیث هکذا فأوردته فی هذا الموضع لما فیه من ذکر العلّة، وتفرّد بروایته إبراهیم بن هاشم، وأخرجه فی نوادره، والّذی افتی به، واعتمده فی هذا المعنی، ما حدّثنا به شیخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الولید رضی الله عنه، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن یعقوب بن یزید، عن محمد ابن أبی عمیر، عن جمیل بن درّاج، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: من أدرک المشعر الحرام یوم النحر قبل زوال الشمس فقد أدرک الحجّ، ومن أدرکه یوم عرفة قبل زوال الشمس فقد أدرک المتعة.

[الکافی ۴: ۴۷۶ ح ۳، من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۸۶ ح ۲۷۷۳ و ۲۷۷۴، تهذیب الأحکام ۵: ۲۹۱ ح ۹۸۸، الاستبصار ۲: ۳۰۴ ح ۱۰۸۷، وسائل الشیعة ۱۴: ۴۰ ح ۸ و ۹، بحار الأنوار ۹۹: ۹۶ ح ۸ و: ۳۲۴ ح ۲].

۵- الکافی ۴: ۴۷۶ ح ۶، علل الشرائع: ۴۵۰ ب ۲۰۴ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۴۸۱ ح ۱۷۰۶، وسائل الشیعة ۱۴: ۳۹ ح ۷ و: ۴۱ ح ۱۲، بحار الأنوار ۹۹: ۳۰۶ ح ۴، مرآة العقول ۱۸: ۱۴۰ ح ۶، ملاذ الأخیار ۸: ۵۵۵ ح ۳۵۲.

ص: ۲۲۶

۵۶- باب علّة عدم جواز ادّهان الرجل حین یرید الإحرام بدهنٍ فیه مسک أو عنبر

۱- عن عبیداللَّه بن علیّ الحلبی، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: لاتدهن حین ترید أن تحرم بدهن فیه مسک ولا عنبر، من أجل أنّ ریحه تبقی فی رأسک من بعدما تحرم، وادّهن بما شئت من الدهن حین ترید أن تحرم، فإذا أحرمت فقد حرم علیک الدهن حتّی تحلّ (۱).

۵۷- باب علّة عدم أخذ الطیر الأهلی إذا دخل الحرم

۱- عن معاویة بن عمّار، عن أبی عبداللَّه علیه السلام أنّه سُئل عن طیر أهلی أقبل فدخل الحرم.

قال علیه السلام: لا یمسّ، لأنّ اللَّه تعالی یقول: وَمَنْ دَخَلَهُ کَانَ آمِناً (۲)

. (۳) ۵۸- باب علّة إذن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله للعبّاس أن یلبث بمکّة لیالی منی

۱- عن مالک بن أعین، عن أبی جعفر علیه السلام أنّ العبّاس استأذن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أن یلبث (۴) بمکّة لیالی منی، فأذن له رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من أجل سقایة الحاجّ (۵).

۱- الکافی ۴: ۳۲۹ ح ۲، من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۱۰ ح ۲۵۴۰، علل الشرائع: ۴۵۱ ب ۲۰۵ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۳۰۲ ح ۱۰۳۱ و: ۳۰۳ ح ۱۰۳۲، الاستبصار ۲: ۱۸۱ ح ۶۰۲ و ۶۰۳، روضة المتّقین ۴: ۳۰۲، وسائل الشیعة ۱۲: ۴۵۸ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۱۶۸ ح ۴، مرآة العقول ۱۷: ۲۵۴ ح ۲، ملاذ الأخیار ۸: ۱۹۴ ح ۲۹ و: ۱۹۵ ح ۳۰.

۲- سورة آل عمران: ۹۷.

۳- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۶۲ ح ۲۳۶۷، علل الشرائع: ۴۵۱ ب ۲۰۶ ح ۱ و: ۴۵۴ ح ۷، تهذیب الأحکام ۵: ۳۴۸ ح ۱۱۹، روضة المتّقین ۴: ۱۷۹، وسائل الشیعة ۱۳: ۷۵ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۲ ح ۲۴ و ۲۵، ملاذ الأخیار ۸: ۲۸۵ ح ۱۱۹. ویأتی الحدیث فی الباب ۷۱ ح ۷.

۴- فی بعض المصادر: یبیت.

۵- من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۹ ضمن ح ۲۱۳۴، علل الشرائع: ۴۵۱ ب ۲۰۷ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۳۷، وسائل الشیعة ۱۴: ۲۵۸ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۳۰۶ ح ۳.

ص: ۲۲۷

۵۹- باب علّة عدم مبیت أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام بمکّة بعد أن هاجر منها حتّی قُبض

۱- عن جعفر بن عقبة، عن أبی الحسن علیه السلام قال: إنّ علیّاً علیه السلام لم یبت بمکّة بعد إذ هاجر منها حتّی قبضه اللّه عزّوجلّ إلیه.

قال: قلت له: ولِمَ ذاک؟

قال: یکره أن یبیت بأرضٍ قد هاجر منها رسول اللّه صلی الله علیه و آله فکان یصلّی العصر ویخرج منها ویبیت بغیرها (۱).

۶۰- باب علّة عدم جواز إظلال المحرم علی نفسه من غیر علّةٍ

۱- عن عبداللّه بن المغیرة، قال: قلت لأبی الحسن الأوّل علیه السلام: اظلل وأنا محرم؟

قال: لا.

قلت: فاظلّل واکفّر؟

قال: لا.

قلت: فإن مرضت؟

قال: ظلّل وکفّر، ثمّ قال: أما علمت أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: ما من حاجّ یضحّی ملبّیاً حتّی تغیب الشمس إلّاغابت ذنوبه معها (۲)؟

۶۱- باب علّة وجوب الدنوّ من الهضبات بعرفات

۱- عن عبیداللّه بن علیّ الحلبیّ، قال: قال أبو عبداللّه علیه السلام: إذا وقفت بعرفات

۱- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۰۱ ذیل ح ۲۱۳۶، عیون أخبار الرضا علیه السلام ۲: ۸۴ ح ۲۴، علل الشرائع: ۴۵۲ ب ۲۰۸ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۴۲، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۳۵ ح ۱۰، بحار الأنوار ۴۱: ۱۰۷ ح ۱۱، و ۹۹: ۸۲ ح ۳۲.

۲- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۲۲ ح ۲۲۳۸ و: ۳۵۲ ح ۲۶۷۳، علل الشرائع: ۴۵۲ ب ۲۰۹ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۳۱۳ ح ۱۰۷۵، الاستبصار ۲: ۱۸۷ ح ۶۲۷، روضة المتّقین ۴: ۸۲ و ۴۳۰، وسائل الشیعة ۱۲: ۳۸۷ ح ۲ و: ۵۱۶ ح ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۱۷۸ ح ۷، ملاذ الأخیار ۸: ۲۱۵ ح ۷۳.

ص: ۲۲۸

فادن من الهضبات (۱) وهی الجبال، فإنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: أصحاب الأراک لا حجّ لهم- یعنی الّذین یقفون عند الأراک (۲)- (۳).

۶۲- باب علّة منع الصید

۱- عن الحلبیّ، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن قول اللّه تعالی: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لَیَبْلُوَنَّکُمْ اللَّهُ بِشَیْءٍ مِنَ الصَّیْدِ تَنَالُهُ أَیْدِیکُمْ وَرِمَاحُکُمْ (۴)

قال: حشر علیهم الصید من کلّ مکان حتّی دنا منهم لیبلوهم اللّه (۵).

۶۳- باب علّة کراهة الکحل للمرأة المحرمة

۱- عن الحلبیّ، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن المرأة تکتحل وهی محرمة.

قال: لا تکتحل.

قلت: بسوادٍ لیس فیه طیب.

قال: فکرهه من أجل أنّه زینة، وقال: إذا اضطرّت إلیه فلتکتحل (۶).

۲- عن حریز، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: لا تکتحل المرأة بالسواد، إنّ

۱- الهضبة: الجبل المنبسط علی الأرض، أو جبل خلق من صخرة واحدة.

۲- الأراک: القطعة من الأرض. وموضع بعرفة قرب نمرة. ولا خلاف فی أنّ الأراک من حدود عرفة ولیس بداخل فیها.

۳- الکافی ۴: ۴۶۳ ح ۲، علل الشرائع: ۴۵۵ ب ۲۱۱ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۲۸۷ ح ۹۷۵، الاستبصار ۲: ۳۰۲ ح ۱۰۷۸، وسائل الشیعة ۱۳: ۵۵۱ ح ۱۱، بحار الأنوار ۹۹: ۲۵۲ ح ۱۰، مرآة العقول ۱۸: ۱۲۰ ح ۲، ملاذ الأخیار ۸: ۱۶۶ ح ۱۲.

۴- سورة المائدة: ۹۴.

۵- تفسیر العیّاشی ۱: ۳۴۳ ح ۱۹۴، الکافی ۴: ۳۹۶ ح ۲، علل الشرائع: ۴۵۶ ب ۲۱۲ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۳۰۰ ح ۱۰۲۲، وسائل الشیعة ۱۲: ۴۱۶ ح ۶ و: ۴۱۸ ح ۱۰، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۴ ح ۳۱، مرآة العقول ۱۷: ۳۹۳ ح ۲، ملاذ الأخیار ۸: ۱۹۱ ح ۲۰.

۶- علل الشرائع: ۴۵۶ ب ۲۱۳ ح ۱، وسائل الشیعة ۱۲: ۴۷۱ ح ۱۴، بحار الأنوار ۹۹: ۱۶۸ ح ۵.

ص: ۲۲۹

السواد من الزینة (۱). (۲) ۶۴- باب علّة وجوب البدنة علی المحرم، الّذی ینظر إلی ساق امرأة أو إلی فرجها فیُمنی

۱- عن أبی بصیر، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن محرم نظر إلی ساق امرأة أو إلی فرجها حتّی أمنی.

قال: إن کان موسراً فعلیه بدنة، وإن کان متوسّطاً فعلیه بقرة، وإن کان فقیراً فشاة.

ثمّ قال: أما إنّی لم أجعلها علیه لمنیه إلّالنظره إلی ما لا یحلّ له النظر إلیه (۳).

۶۵- باب علّة کون الحجّ أفضل من الصلاة والصیام

۱- عن سیف التمّار، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: کان أبی یقول: الحجّ أفضل من الصلاة والصیام، إنّما المصلّی یشتغل عن أهله ساعة، وأنّ الصائم یشتغل عن أهله بیاض یوم، وأنّ الحاجّ یتعب بدنه ویضجر (۴) نفسه، وینفق ماله، ویطیل الغیبة عن

۱- قال المجلسیّ رحمه الله: إنّ مقتضی التعلیل التحریم مطلقاً سواء قصد الزینة أم لا. ولا خلاف أیضاً فی أنّ الرجل والمرأة مساویان فی الحکم. وأمّا الاکتحال بما لیس بسواد ولیس فیه طیب فهو جائز بلا خلاف.

۲- الکافی ۴: ۳۵۶ ح ۱، علل الشرائع: ۴۵۶ ب ۲۱۳ ح ۲، تهذیب الأحکام ۵: ۳۰۱ ح ۱۰۲۵، وسائل الشیعة ۱۲: ۴۶۹ ح ۴، بحار الأنوار ۹۹: ۱۶۸ ح ۶، مرآة العقول ۱۷: ۳۱۴ ح ۱، ملاذ الأخیار ۸: ۱۹۲ ح ۲۳.

وانظر تخریجات الحدیث ۱ فی الباب ۶۸.

۳- المحاسن ۲: ۳۸ ح ۵۱، الکافی ۴: ۳۷۷ ح ۷، من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۳۲ ح ۲۵۹۰، المقنع: ۷۶، علل الشرائع: ۴۵۶ ب ۲۱۴ ح ۱ و: ۴۵۸ ح ۱ و: ۵۹۰ ح ۳۹، تهذیب الأحکام ۵: ۳۲۵ ح ۱۱۱۵، روضة المتّقین ۴: ۳۸۵، وسائل الشیعة ۱۳: ۱۳۳ ح ۲ و: ۱۳۴ ح ۳ و: ۱۳۵ ح ۴، بحار الأنوار ۹۹: ۱۶۹ ح ۴ و: ۱۷۰ ح ۶ و ۷، ملاذ الأخیار ۸: ۲۳۹ ح ۲۸، مرآة العقول ۱۷: ۳۵۵ ح ۷.

ویأتی فی الباب ۶۹ ح ۱.

۴- فی بعض المصادر: ویضحی نفسه. أی یجعلها بارزة للشمس بالسیر والسلوک فی ضاحیة النهار.

ص: ۲۳۰

أهله، لا فی مال یرجوه، ولا إلی تجارة.

وکان أبی یقول: وما أفضل من رجل یجیء یقود بأهله والناس وقوف بعرفات یمیناً وشمالًا یأتی بهم الحجّ فیسأل بهم اللَّه تعالی (۱).

۲- عن الکاهلیّ، قال: سمعت أبا عبداللَّه علیه السلام یذکر الحجّ، فقال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: هو أحد الجهادین، هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء، أما إنّه لیس شیء أفضل من الحجّ إلّاالصلاة فی الحجّ، هاهنا صلاة ولیس فی الصلاة حجّ، لا تدع الحجّ وأنت تقدر علیه، أما تری أنّه یشعث فیه رأسک، ویقشف (۲) فیه جلدک، وتمتنع فیه من النظر إلی النساء؟ وإنّا نحن ها هنا، ونحن قریب ولنا میاه متّصلة ما نبلغ الحجّ حتّی یشقّ علینا فکیف أنت فی بعد البلاد وما من ملک ولا سوقة یصل إلی الحجّ إلّابمشقّة فی تغیّر مطعم ومشرب أو ریح أو شمس لا یستطیع ردّها وذلک لقوله تعالی: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَکُمْ إِلَی بَلَدٍ لَمْ تَکُونُوا بَالِغِیهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّکُمْ لَرَءُوفٌ رَحِیمٌ (۳)؟ (۴)

۶۶- باب علّة الإطلاق للمحرم أن یطرح عنه القُراد والحَلَم (۵)

۱- عن الحلبیّ، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: سأله رجل فقال: أرأیت إن کان علیَّ قراد أو حلمة أطرحهما عنّی؟

۱- من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۲۱ ح ۲۲۳۶، علل الشرائع: ۴۵۶ ب ۲۱۵ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۸۱، وسائل الشیعة ۱۱: ۱۱۲ ح ۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۸ ح ۶۷.

۲- القشف: قذر الجلد، ورثاثة الهیئة، وسوء الحال. «القاموس المحیط ۳: ۱۸۵- قشق-».

۳- سورة النحل: ۷.

۴- الکافی ۴: ۲۵۳ ح ۷، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۲۶ ح ۲۲۵۴، علل الشرائع: ۴۵۷ ب ۲۱۵ ح ۲، تهذیب الأحکام ۵: ۲۲ ح ۶۴، روضة المتّقین ۴: ۹۲، وسائل الشیعة ۱۱: ۱۰۲ ح ۲۸ و: ۱۰۷ ح ۴۴ و: ۱۱۰ ح ۲، بحار الأنوار ۹۹: ۱۹ ح ۶۸، مرآة العقول ۱۷: ۱۲۳ ح ۷، ملاذ الأخیار ۷: ۲۲۲ ح ۱۰.

۵- الحَلَم: هو القراد الکبار، واحدته حلمة. «حیاة الحیوان ۱: ۲۳۷».

ص: ۲۳۱

قال: نعم، وصَغار لهما، لأنّهما رقیا فی غیر مرقاهما (۱). (۲) ۶۷- باب علّة عدم الجدال فی بعض الأحیان

۱- عن أبی بصیر، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن المحرم یرید أن یعمل العمل فیقول له صاحبه: واللَّه لا تعمله، فیقول: واللَّه لأعملنّه، فیخالفه مراراً، أیلزم ما یلزم صاحب الجدال؟

قال: قال: لا، لأنّه أراد بهذا إکرام أخیه إنّما ذلک ما کان للّهمعصیة.

قال: وسأله عن محرم رمی ظبیاً فأصاب یده فعرج منها.

قال: إن کان الظبی مشی علیها ورعی فلیس علیه شیء، وإن کان ذهب علی وجهه فلم یدر ما یصنع فعلیه الفداء لأنّه لا یدری لعلّه هلک (۳).

۶۸- باب علّة عدم جواز نظر المحرم فی المرآة

۱- عن حریز، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: لا تنظر فی المرآة وأنت محرم، لأنّه من الزینة (۴).

۱- أی لیس مصعدهما الإنسان، بل الغنم والبعیر، وحاصله: أنّه لا ینبغی طرح دوابّ الإنسان کالقملة عن نفسه دون غیرها.

۲- الکافی ۴: ۳۶۲ ح ۴، من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۵۸ ح ۲۶۹۸، المقنع: ۷۵، علل الشرائع: ۴۵۷ ب ۲۱۶ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۳۳۷ ح ۱۱۶۲، روضة المتّقین ۴: ۴۴۶، وسائل الشیعة ۱۲: ۵۴۱ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۵ ح ۳۶، مرآة العقول ۱۷: ۳۲۴ ح ۴، ملاذ الأخیار ۸: ۲۶۳ ح ۷۵.

۳- الکافی ۴: ۳۳۸ ح ۵، من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۳۳ ح ۲۵۹۲، علل الشرائع: ۴۵۷ ب ۲۱۷ ح ۱، مستطرفات السرائر: ۳۲ ح ۳۰، روضة المتّقین ۴: ۳۸۹، وسائل الشیعة ۱۲: ۴۶۶ ح ۷، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۴ ح ۳۲ و: ۱۷۰ ح ۵ و: ۱۷۳ ح ۱۵، مرآة العقول ۱۷: ۲۷۷ ح ۵.

۴- من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۴۷ ح ۲۴۶۹، علل الشرائع: ۴۵۸ ب ۲۱۸ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۳۰۲ ح ۱۰۲۹، روضة المتّقین ۴: ۴۱۵، وسائل الشیعة ۱۲: ۴۷۲ ح ۱ و ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۱۶۸ ح ۷، ملاذ الأخیار ۸: ۱۹۳ ح ۲۷.

وانظر تخریجات الحدیث ۲ فی الباب ۶۳.

ص: ۲۳۲

۶۹- باب علّة قتل بعض الدواب

۱- عن معاویة، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: إذا أحرمت فاتّق قتل الدوابّ کلّها إلّا الأفعی والعقرب والفأرة، فأمّا الفأرة فإنّها توهی السقاء، وتحرق علی أهل البیت، وأمّا العقرب فإنّ نبیّ اللَّه صلی الله علیه و آله مدّ یده إلی جحر فلسعته عقرب، فقال: لعنک اللَّه لا برّاً تدعینه ولا فاجراً، والحیّة إذا أرادتک فاقتلها، وإن لم تردک فلا تردها، والکلب العقور والسبع إذا أرادک وإن لم یرداک فلا تردهما، والأسود الغدر (۱) فاقتله علی کلّ حال، وارم الغراب رمیاً عن ظهر بعیرک، وقال: إنّ القراد لیس من البعیر، والحلمة من البعیر (۲).

۷۰- باب علّة زیارة النبیّ صلی الله علیه و آله والأئمّة علیهم السلام بعد الحجّ

۱- عن إسماعیل بن مهران، عن جعفر بن محمد علیه السلام، قال: إذا حجّ أحدکم فلیختم حجّه بزیارتنا؛ لأنّ ذلک من تمام الحجّ (۳).

۲- عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام، قال: تمام الحجّ لقاء الإمام (۴).

۳- عن الحسن بن علیّ الوشّاء، قال: سمعت أبا الحسن الرضا علیه السلام یقول: إنّ لکلّ إمام عهداً فی عنق أولیائه وشیعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زیارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً فی زیارتهم وتصدیقاً بما رغبوا فیه کان أئمّتهم

۱- أی الحیّة العظیمة. «القاموس المحیط ۱: ۳۰۴- سود-».

۲- الکافی ۴: ۳۶۳ ح ۲، علل الشرائع: ۴۵۸ ب ۲۱۹ ح ۲، تهذیب الأحکام ۵: ۳۶۵ ح ۱۲۷۳، وسائل الشیعة ۱۲: ۵۴۵ ح ۲- ۴، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۴ ح ۳۳، مرآة العقول ۱۷: ۳۲۵ ح ۲، ملاذ الأخیار ۸: ۳۲۳ ح ۱۸۶.

۳- عیون أخبار الرضا علیه السلام ۲: ۲۶۲ ح ۲۸، علل الشرائع: ۴۵۹ ب ۲۲۱ ح ۱، وسائل الشیعة ۱۴: ۳۲۴ ح ۷، بحار الأنوار ۹۹: ۳۷۴ ح ۱، و ۱۰۰: ۱۳۹ ح ۱.

۴- الکافی ۴: ۵۴۹ ح ۲، عیون أخبار الرضا علیه السلام ۲: ۲۶۲ ح ۲۹، علل الشرائع: ۴۵۹ ح ۲، وسائل الشیعة ۱۴: ۳۲۴ ح ۸ و: ۳۲۵ ح ۱۲، بحار الأنوار ۹۹: ۳۷۴ ح ۲، مرآة العقول ۱۸: ۲۵۸ ح ۲.

ص: ۲۳۳

شفعاءَهم یوم القیامة (۱).

۴- عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السـلام قال: إنّما امر الناس أن یأتوا هـذه الأحجار، فیطوفوا بها، ثمّ یأتوا فیخبرونا بولایتهم، ویعرضوا علینا نصرتهم (۲). (۳) ۵- عن المعلّی بن شـهاب، عن أبی عبداللَّه علیه السـلام، قال: قال الحسن بن علیّ علیه السلام لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله: یا أبتاه، ما جزاء من زارک؟

فقـال رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله: یـا بنیّ، من زارنی حیّاً ومیّتاً، أو زار أباک أو زار أخاک أو زارک، کان حقّاً علیَّ أن أزوره یوم القیامة فاخلّصه من ذنوبه (۴).

۶- عن زید الشحّام، قال: قلت لأبی عبداللَّه علیه السلام: ما لمن زار واحداً منکم؟

قال: کمن زار رسول اللَّه صلی الله علیه و آله (۵).

۱- الکافی ۴: ۵۶۷ ح ۲، کامل الزیارات: ۲۳۶ ح ۲، من لا یحضره الفقیه ۲: ۵۷۷ ح ۳۱۶۰، عیون أخبار الرضا علیه السلام ۲: ۲۶۱ ح ۲۴، علل الشرائع: ۴۵۹ ب ۲۲۱ ح ۳، المقنعة: ۷۵، تهذیب الأحکام ۶: ۷۸ ح ۱۵۵ و: ۹۳ ح ۱۷۵، مناسک الحجّ للمحقّق الکرکی: ۳۱ المطبوع فی مجلّة میقات الحجّ، العدد ۹، روضة المتّقین ۵: ۳۶۰، وسائل الشیعة ۱۴: ۳۲۲ ح ۵، بحار الأنوار ۱۰۰: ۱۱۶ ح ۱ و: ۱۱۷ ح ۲- ۴، مرآة العقول ۱۸: ۲۸۵ ح ۲، ملاذ الأخیار ۹: ۱۹۸ ح ۳ و: ۲۴۱ ح ۲.

۲- قالالشیـخ الصـدوق رحمه الله: هـذه الأخبار إنّما وردت فیمن یملک الاختیار ویقـدر علی أن یبـدأ بأیّهما شاء من مکّة أو المدینة، فأمّا منیؤخـذ به علی أحـد الطریقین فاحتاج إلی الأخـذ فیه شاء أو أبی فلا خیار له فی ذلک، فإن اخذ به علی طریق المدینة بدأبها، و کـان ذلـک أفضـل له لأنّه لا یجوز له أن یـدع دخول المدینـة و زیارة قبر النبیّ صـلی الله علیه و آله والأئمـّة علیهم السـلام بها وإتیان المشاهد انتظاراً لرجوعه، فربّما لم یرجع أو اخترم دون ذلک، والأفضل له أن یبدأ بالمدینة.

۳- الکافی ۴: ۵۴۹ ح ۱، من لا یحضـره الفقیه ۲: ۵۵۸ ح ۳۱۳۹، عیون أخبار الرضا علیه السـلام ۲: ۲۶۲ ح ۳۰، علل الشرائع: ۴۵۹ ب ۲۲۱ ح ۴، مناسک الحجّ للمحقّق الکرکیّ: ۳۱، روضة المتّقین ۵: ۳۱۴، وسائل الشیعة ۱۴: ۳۲۰ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۳۷۴ ح ۳، مرآة العقول ۱۸: ۲۵۸ ح ۱.

۴- الکافی ۴: ۵۴۸ ح ۴، کامل الزیارات: ۴۰ ح ۲ و: ۴۱ ح ۵ و: ۴۷ ح ۱۸ و ۱۹، علل الشرائع: ۴۶۰ ح ۵، ثواب الأعمال: ۱۰۷ ح ۱، الأمالی للصدوق: ۱۱۴ ح ۴، بحار الأنوار ۹۹: ۳۷۳ ح ۸، و ۱۰۰: ۱۴۰ ح ۷ و: ۱۴۱ ح ۸- ۱۳، مرآة العقول ۱۸: ۲۵۷ ح ۴.

۵- الکافی ۴: ۵۷۹ ح ۱، کامـل الزیارات: ۲۸۳ ح ۳، علل الشـرائع: ۴۶۰ ح ۶، عیون أخبـار الرضا علیه السـلام ۲: ۲۶۲ ح ۳۱، بحار الأنوار ۱۰۰: ۱۱۷ ح ۵ و ۶، مرآة العقول ۱۸: ۳۰۶ ح ۱.

ص: ۲۳۴

۷- عن إبراهیم بن أبی حجر الأسلمیّ، عن أبی عبداللّه علیه السلام قال: قال رسول‌اللّه صلی الله علیه و آله: من أتی مکّة حاجّاً ولم یزرنی إلی المدینة جفانی، ومن جفانی جفوته یوم القیامة، ومن جاءنی زائراً وجبت له شفاعتی، ومن وجبت له شفاعتی وجبت له الجنّة (۱).

۷۱- باب نوادر العلل

۱- عن عبد الرحمان بن أبی عبداللّه، قال: قلت لأبی عبداللّه علیه السلام: إنّ ناساً من هؤلاء القصّاص یقولون: إذا حجّ رجل حجّة ثمّ تصدّق ووصل کان خیراً له.

فقال: کذبوا، لو فعل هذا الناس لعطّل هذا البیت، إنّ اللّه تعالی جعل هذا البیت قیاماً للناس (۲).

۲- عن عمر بن اذینة، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن قول اللّه تعالی: وَلِلَّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا (۳) یعنی به الحجّ دون العمرة؟

فقال: لا ولکنّه یعنی الحجّ والعمرة جمیعاً لأنّهما مفروضان (۴).

۳- عن أبی الربیع الشامیّ، قال: سئل أبو عبداللّه علیه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ:

وَلِلَّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا، قال: فما یقول الناس؟

قال: فقیل له: الزاد والراحلة.

۱- الکافی ۴: ۵۴۸ ح ۵، کامل الزیارات: ۴۴ ح ۹، من لا یحضره الفقیه ۲: ۵۶۵ ح ۳۳۸، علل الشرائع: ۴۶۰ ح ۷، تهذیب الأحکام ۶: ۴ ح ۵، مناسک الحجّ للمحقّق الکرکیّ: ۳۱، روضة المتّقین ۵: ۳۲۵، وسائل الشیعة ۱۴: ۳۳۳ ح ۳، بحار الأنوار ۱۰۰: ۱۴۰ ح ۵ و ۶، مرآة العقول ۱۸: ۲۵۸ ح ۵، ملاذ الأخیار ۹: ۱۱ ح ۵.

۲- علل الشرائع: ۴۵۲ ب ۲۱۰ ح ۱، وسائل الشیعة ۱۱: ۲۲ ح ۸، بحار الأنوار ۹۹: ۱۸ ح ۶۶.

۳- سورة آل عمران: ۹۷.

۴- تفسیر العیّاشی ۱: ۱۹۱ ح ۱۱۰، الکافی ۴: ۲۶۴ ح ۱، علل الشرائع: ۴۵۳ ب ۲۱ ح ۲، وسائل الشیعة ۱۴: ۲۹۷ ح ۷، بحار الأنوار ۹۹: ۳۳۱ ح ۳ و ۵، تفسیر البرهان ۱: ۶۶۲ ح ۲، مرآة العقول ۱۷: ۱۳۹ ح ۱.

ص: ۲۳۵

فقـال علیه السـلام: هلـک النـاس إذن، لئن کـان من کـان له زاد وراحلـة قـدر ما یقوت علی عیاله، ویسـتغنی به عن الناس، ینطلق إلیه فیسألهم إیّاه، لقد هلکوا إذن.

فقیل له: فما السبیل؟

قال: فقال: السعة فی المال إذا کان یحجّ ببعض ویُبقی بعضاً یقوت به عیاله، ألیس قد فرض اللّه الزکاة، فلم یجعلها إلّاعلی من یملک مائتی درهم؟ (۱) ۴- عن معاویة بن عمّار، عن أبی عبداللّه علیه السـلام قال: کان أبو عبداللّه علیه السلام فی المسجد الحرام، فقیل له: إنّ سبعاً من سباع الطیر علی الکعبة لیس یمرّ به شیء من حمام الحرم إلّاضربه.

فقال علیه السـلام: انصـبوا له واقتلوه، فإنّه قد ألحد فی الحرم (۲). (۳) ۵- عن محمـد بن أبی عمیر وفضالة قال: قلت لأبی عبداللّه علیه السلام: شجرة أصلها فی الحرم وفرعها فی الحلّ.

فقال علیه السلام: حرَّم فرعها لمکان أصلها (۴).

۶- عن إبراهیم بن میمون قـال: قلت لأبی عبـداللّه علیه السـلام: رجـل نتف ریش حمامـة من حمام الحرم، قال: یتصـدّق بصدقـة علی مسکین ویعطی بالید التی نتف

۱- تفسیر العیّاشی ۱: ۱۹۲ ح ۱۱۳، الکافی ۴: ۲۶۷ ح ۳، علل الشرائع: ۴۵۳ ح ۳، تهذیب الأحکام ۵: ۲ ح ۱، الاستبصار ۲: ۱۳۹ ح ۴۵۳، وسائل الشیعة ۱۱: ۳۷ ح ۱ و ۲، تفسیر البرهان ۱: ۶۶۳ ح ۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۰۷ ح ۳ و: ۱۰۸ ح ۴، مرآة العقول ۱۷: ۱۴۷ ح ۳، ملاذ الأخیار ۷: ۱۸۲ ح ۱.

۲- وهذا یدلّ علی أنّ الظلم فی الحرم حتّی من غیر ذوی العقول إلحاد وکفر أو بمنزلته.

۳- الکافی ۴: ۲۲۷ ح ۱، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۵۱ ح ۲۳۲۸، علل الشرائع: ۴۵۳ ح ۴، روضة المتّقین ۴: ۱۵۹، وسائل الشیعة ۱۳: ۸۳ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۲ ح ۲۶، مرآة العقول ۱۷: ۷۲ ح ۱.

۴- الکافی ۴: ۲۳۱ ح ۴، من لا یحضـره الفقیه ۲: ۲۵۴ ح ۲۳۴۱، علل الشرائع: ۴۵۳ ح ۵، تهذیب الأحکام ۵: ۳۷۹ ح ۱۳۲۱، روضة المتّقین ۴: ۱۶۴، وسائل الشیعة ۱۲: ۵۵۹ ح ۱ و: ۵۶۰ ح ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۳ ح ۲۷، مرآة العقول ۱۷: ۸۲ ح ۴، ملاذ الأخیار ۸: ۳۴۸ ح ۲۳۴.

ص: ۲۳۶

بها، فإنّه قد أوجعه بها (۱).

۷- عن معاویة، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن طیر أهلی أقبل فدخل الحرم، فقال: لا یمسّ إنّ اللَّه تعالی یقول: وَمَنْ دَخَلَهُ کَانَ آمِناً (۲)

(۳) .

۱- الکافی ۴: ۲۳۵ ح ۱۷، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۶۱ ح ۲۳۶۳، علل الشرائع: ۴۵۳ ح ۶، تهذیب الأحکام ۵: ۳۴۸ ح ۱۲۱۰، روضة المتّقین ۴: ۱۷۷، وسائل الشیعة ۱۳: ۳۶ ح ۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۳ ح ۲۸، مرآة العقول ۱۷: ۹۲ ح ۱۷، ملاذ الأخیار ۸: ۲۸۷ ح ۱۲۳.

۲- سورة آل عمران: ۹۷.

۳- تقدّمت تخریجاته فی الحدیث ۱ فی الباب ۵۷.

ص: ٢٣٧

تعريف بكتاب: الحرم المكّى.... (٢)

تعريف بكتاب: الحرم المكّى.... (٢)

تأليف: أ. د. عبد الملك بن دهيش

تقديم وتعريف: محسن الأسدى

الحرم المكّى الشريف والأعلام المحيطة به

بعد أن انتهينا من القسم الأوّل لتعريف هذا الكتاب القيّم والذى به انتهى الفصل الأوّل من الباب الأوّل للكتاب المذكور، وقد تحدث فيه المؤلف عن تاريخ أعلام الحرم المكّى الشريف، منهياً ذلك بجدول يضمّ مجددى أعلام الحرم مرتّبين حسب تاريخ التجديد، وقد قسّم جدوله هذا بالشكل الآتى:

اسم مجدد الأعلام، من قام بالتجديد، سنة التجديد، الأعلام التى تمّ تجديدها مبتدئاً جدوله هذا بنبىّ اللّه إسماعيل عليه السلام، مروراً بعدنان بن أدد، وقصى بن كلاب، ثمّ قريش، فرسول اللّه صلى الله عليه و آله ذاكراً الخلفاء والأمراء... حتى يصل إلى العصر الحالى، فيختم جدوله المذكور بالملك فهد بن عبدالعزيز سنة ١۴٠٧ ه. كلّ هذا ذكره المؤلف قبل أن ينتقل إلى الفصل الثانى من الباب نفسه، لننتقل معه إلى تعريفنا وقراءتنا، ولو بشكل مختصر جدّاً، للفصل الثانى وللآتى بعده حتى النهاية.

الفصل الثانى

جهود المؤرخين المكّيين فى ضبط مواضع حدود الحرم الشريف.

ص: ۲۳۸

وقد ابتدأ المؤلف بعد العنوان بعنوان صغیر «جهود الإمامیین الأزرقی والفاکهی»

ومن المعروف أنّ «أخبار مکة» للأزرقی، و «أخبار مکّة فی قدیم الدهر وحدیثه» للفاکهی، یعدّان من أقدم ما وصلنا من دراسات تأریخیة عن الحرم المکّی الشریف.

فقد عاش کلا المؤلفین فی قرن واحد، وإن توفّی الأزرقی قبل الفاکهی بعشرین سنة. وقد قام المؤلف الأزرقی بتحقیق کتاب الفاکهی وطبع فی خمسة مجلدات، فیما السادس وضع للملاحق والفهارس، وبسبب أنّهما أُولّفا فی قرن واحد، فقد تشابهت أبحاثهما، ونظراً لعدم وصول غیرهما، فقد عدّهما المؤلف أبحاثاً، وإلّا فهی مجرّد إشارات کما یذهب إلی ذلک المؤلف نفسه.

ثم راح المؤلف ابن دهیش یذکر مواضع الأعلام، التی ذکرها کلّ من الأزرقی والفاکهی، وهی وإن کانت قلیلة، إلّاأنّها کانت موضع اتفاق بینهما وموضع فائدة للمؤلف الدکتور فی کتابه هذا.

۱- جبل نمرة، وسمّاه الأزرقی (ذات السلیم) وکذا الفاکهی، وقد تفرّد الأخیر بأن ذکر أنّ علیه أعلام الحرم دون الأزرقی.

۲- طریق الطائف القدیم المارّ علی عرفة، وقال عنه الفاکهی: (ومن طریق الطائف علی عرفة من بطن نمرة علی أحد عشر میلًا).

۳- جبل المقطع، وهو منتهی الحرم من طریق العراق.

۴- ثنیة خلّ، بطرف المقطع، منتهی الحرم من طریق العراق.

۵- جبل الستار (ستار لحیان)، وسمّی بالستار؛ لأنّه ستر بین الحلّ والحرم.

۶- ثنیة المستوفرة وهی ثنیة علی حائط ثریر، وعلی رأسها أنصاب الحرم، فما سال علی ثریر حلّ، وما سال منها علی الشعب فهو حرام.

۷- ثنیة ذات الحنظل، أنصاب علی رأس الثنیة، وجهها حرم، ظهرها حلّ.

ص: ۲۳۹

۸- التخابر والأعشاش، بعضها فى الحلّ وبعضها فى الحرم...

۹- بشائم، وهى ردهة تمسك الماء، فيما بين أضاة لبن، بعضها فى الحل، وبعضها فى الحرم.

۱۰- ثنية لبن، وهى على سبعة أميال من طريق اليمن.

۱۱- جبل نعيلة، (كبش: الجبل الذى دون نعيلة فى طرف الحرم).

۱۲- جبل غراب، بأسفل مكّة بعضه فى الحلّ وبعضه فى الحرم.

۱۳- الضحاضح، ثنية ابن كرز من وراء السلفين، تصبّ فى النبعة، بعضها فى الحلّ وبعضها فى الحرم.

ثمّ ذكر كل من الأزرقى والفاكهى الأودية، وإن اختلفا فى مصبها فالفاكهى ذهب إلى أنّها تسكب من الحلّ فى أرض الحرم، فيما قرّر الأزرقى أنّ أودية الحرم تسكب فى الحلّ إلّامن التنعيم، وبعد تتبعٍ توصل الفاكهى إلى خلاف ما ذهب إليه الأزرقى ثم ذكر تلك المواضع. وقد نال ما ذهب إليه الفاكهى قبول الدكتور ابن دهيش بعد تقصيّه لما قاله، مخطئاً ما رآه الأزرقى.

ثم انتقل إلى مداخل مكّة الستة التى ذكرها الأزرقى والفاكهى، وأبعادها، وعليها أعلام الحرم، من طريق المدينة، واليمن، وجدة والطائف، والعراق، والجعرانة.

بعد هذا انتقل المؤلف إلى ما ذكره محبّ الدين الطبرى، وهكذا جهود الإمام تقى الدين الفاسى وضبطهما لمواضع من حدود الحرم، وهنا يمكن طرح سؤالين:

الأوّل: هل للقبائل دور فى تحديد أعلام الحرم ومواقعها؟

الثانى: ما هو سبب التعرجات فى الحرم؟

ويجيب عنهما المؤلف:

بإنّ حرمة مكّة المكرمة كانت يوم خلق السموات والأرض، وأعلام الحرم وجدت فى عهد إبراهيم، وهو أوّل من علم مواضعها بدلالة جبريل عليه السلام.

ص: ٢٤٠

وليس للقبائل دور فيها، فهى لم تسكن الحرم والأماكن الواقعة على حدوده إلّا بعد وضع أعلام الحرم بزمن طويل. إذ هى قبائل رُحَّل، ولا علاقة لها بتحديد الحدود، نعم كان لها دور فى تجديد هذه الأعلام وترميمها. هذاجواب السؤال الأوّل.

وأمّا الجواب عن السؤال الثانى، فإنّ المداخل التى تحدق بها الجبال الشامخة وتضيق مداخلها، يكون حدّها قريباً إلى الكعبة مثل التنعيم فهى منطقة أكثر جبالها متصلة بعضها ببعض وشاهقة فى الارتفاع فهى أقرب المداخل ولا يزيد اتساعه عن ٩٠٠ م، فيما تكون منطقة الأعشاش الواقعة على طريق جدّة وتُسمى بالحديبية أو الشميسى أبعد حدود الحرم من الكعبة. فالحد يبعد فيها عن الكعبة بحوالى عشرين كيلومتراً... وهكذا فكلّما ضاق المدخل قرب الحدّ، وكلّما اتسع المدخل بعد الحد تمشياً مع مظاهر السطح. هذا وأنّ حدود الحرم توقيفية، والأمر فيها للّه‌تعالى وحده وليس للاجتهاد نصيب فيه.

هذا وقد سكنت القبائل بالقرب من حدود الحرم:

الحدّ الشرقى: مساكن قبائل قريش.

الحدّ الغربى: مساكن قبائل لحيان.

الحدّ الشمالى: مساكن قبائل لحيان، ونزلت عليهم فى بعض المواقع الآن قبائل حرب.

الحدّ الجنوبى: مساكن قبائل خزاعة.

واستفيد من هذه القبائل فى إعادة بناء وترميم وتجديد أعلام الحرم الواقعة فى جهتها؛ لسابق معرفتهم بوضع الأعلام وأماكنها.

ومن واقع دراسته الميدانية تبيّن للدكتور ابن دهيش أنّ الأعلام المحيطة بالحرم تبلغ ٩٣٤ علماً على مداخل مكّة أو على جبالها، فهى تحيط بالحرم المكّى إحاطة تامّة، أقامها أسلافنا على هذه الجبال، أكثر من ثلثها كان مبنياً قائماً، وبعضها الآخر كان متهدماً، وأثر النورة لاصق بأحجارها أو يتخللها.

ص: ٢٤١

وأنّ دائرة الحرم (١٢٧ كم) بدءاً بقرن الأعفر الواقع فى أوّل الحدّ الشرقى من ناحية الجنوب، وانتهاءً به.

وكان قياسه لمسافة الحرم من واقع الخرائط الجويّة فوجدها خمسمائة وخمسين كيلومتراً وثلاثمائة متر مربع.

ثم ذكر المؤلف المسافات على الطرق القديمة، مبتدئاً من جدار المسجد الحرام حتى أعلام كلّ منطقة فى مداخل مكة. ثم ذكر المسافات من جدار المسجد الحرام حتى أعلام كل منطقة على الطرق الحديثة لمداخل مكّة المكرمة.

وقبل أن يدخل المؤلف فى تفاصيل مواضع حدود الحرم، نبّه إلى أمور يرى من الضرورى معرفتها قبل الخوض فى البحث الميدانى لتلك المواضع، مبيّناً فيها أنّ للحدود المذكورة فى هذا الباب الثانى من بحثه مسميات قديمة احتفظت بأسمائها القديمة إلى الآن، وهناك مسميات قديمة، تغيّر اسمها قليلًا مثل (يأجج) تُسمى الآن (ياج)، فيما هناك أسماء حديثة ذكرتها الخرائط الجويّة لمكّة المكرمة لم يقف المؤلف على مسمياتها القديمة، وأيضاً ذكر المؤلف أنّ هناك مواضع ليس لها ذكر فى الكتب ولا ـ فى الخرائط وهى مشهورة بأسمائها عند القاطنين بها أو حواليها. هذا بالنسبة للأسماء وما يتعلّق بها.

وأما بالنسبة للمسافات فكانت مقاساتها التى دوّنها تقريبية، بسبب وعورة الجبال والارتفاع والانخفاض ولانهدام غالبية الأعلام... وهذا لا ينطبق على الأعلام المهمة؛ لأنّها ما زالت قائمة ولسهولة طبيعة العمل فيها.

وأمّا بالنسبة إلى صور الأعلام فلكثرتها، وضع كلّ صورة فى المكان الذى له إحالة عليها فى ثنايا البحث. إضافةً إلى أنّه وضع ملحقاً للخرائط مبيناً فيها مواضع الأعلام على كل جبل أو ثنية أو سهل... (١)

١- انظر هذا فى ص ١٢۴- ١٢۵ من الكتاب المذكور.

ص: ۲۴۲

ثم ذكر بعد هذا القواعد العامّة فى تحديد حدود الحرم المكّى الأربعة، موضحاً المقصد (بالأعلام) وأنّها علامات وضعت على جهاته الأربع، وأنّها امور توقيفية لم ينقل أنّ أحداً أخّرها أو قدّمها، وكل عملهم كان ينصبّ على تحديدها... ذاكراً فى صفحات بحثه هذا الضابط فى وضع الأعلام، وهو أن يكون تابعاً لاتجاه سيل هذه الجبال والثنايا، فتوضع الأعلام فى النقطة القاسمة بين سيل الجبل والثنية يميناً ويساراً، إلّافى مواضع ذكرها العلماء... وذاكراً المسار الحقيقى لكلّ حدٍّ من الحدود الأربعة عبر ما يتضمنه كلّ حدٍّ من جبال وطرق وثنايا ابتداءً وانتهاءً... (۱) تمهيداً لتفصيل الحديث عنها فى الفصل الأوّل من الباب الثانى.

الباب الثانى: مواضع حدود الحرم المكّى الشريف

وفى الباب المذكور، بدأ المؤلف رحلته الميدانية مستفتحاً جهوده ب (جبل قرن الأعفر) وخاتماً به رحلته، ليشكّل بهذا رحلة دائرية إن صحّ التعبير، مدوّناً كلّ ما حصل عليه فى فصول أربعة يتضمنها هذا الباب.

الفصل الأوّل:

فى هذا- وكما قلنا- راح المؤلف يشرح بشكل مفصلٍ فى المتن وفى الهامش كلّ ما يتعلّق بأعلام الحدّ الشرقى حيث إنّ الحدّ الشرقى يبدأ جنوباً ب (جبل قرن الأعفر) وعدد أعلامه ۳ مروراً بجبل عارض الحصن وعدد أعلامه ۱۳، فجبل الخطم وعدد أعلامه ۳، فجبل الصفيراء وعدد أعلامه ۵، فجبل الستار (ستار قريش) وعدد أعلامه ۴، وجبل سُتيّر وعدد أعلامه ۷، وجبل أسلع، وشرفة أسلع وعدد أعلامه ۳ وجبل الطارقى (ثبير الأعرج) وعدد أعلامه ۲۱، وثنية خلّ

۱- انظر هذا و تفصيله فى ص: ۱۲۶- ۱۲۹ من الكتاب نفسه.

ص: ۲۴۳

وجبل المقطع وعدد أعلامه ۲، وجبل الستار (ستار لحیان) وعدد أعلامه ۷، وثنیة المستوفرة وعدد أعلامه ۲، وینتهی ب (ربع النقواء) والذی یحمل ۳۶ علماً.

ولیوضح المؤلف هذا الحدّ مساراً وجبالًا وأودیةً وسهولًا وثنایا وأعلاماً فقد هیّأ له ستة عشر مبحثاً، فیها تفاصیل دقیقة وواسعة، وقد توفّر هذا الحدّ علی (۱۱۰) أعلام، الکثیر منها مبنیّ بالنورة (۱).

الفصل الثانی:

وفی هذا الفصل، تناول الحدّ الشمالی، بدایة هذا الحدّ غرباً ب (ثنیة النقواء) وبعد أن یمرّ بجبل أم السَّلم وأعلامها ۱۶ علماً، وجبل بُغبغة وأعلامها ۲۵، وجبل یاج (یأجج) وأعلامه ۲۰، وجبل شرفة یاج وأعلامه ۲۰ أیضاً، وجبل حجلی وأعلامه ۲۳، وجبل أبو حیّة وأعلامه ۳۳، وجبل الوقیر (أبویسر) وأعلامه ۴۷، وجبل صایف وأعلامه ۱۴، وجبل نعمان (جبل العمرة) وأعلامه ۱۶، ووادی التنعیم وأعلامه ۴، وجبل نعیم وأعلامه ۱۵، وجبل الواتد أو (الجفر) وأعلامه ۲۹، وبعد شرفة اللفیفاء، جبل رحا وعدد أعلامه التی عثر علیها المؤلف ۴۷ علماً... ثمّ یصل الی ثنیة ذات الحنظل (ربع رحا) ثمّ جبل الرضیع وأعلامه ۴۸، وجبل أم القزاز وأعلامه ۷۱، وجبل أم الشبرم وأعلامه ۵۱، وجبل المریر (ام المرخ) وأعلامه ۴۰، وجبل أبو بقر (وادی الجوف) وأعلامه ۴۲، ونهایة هذا الحدّ ب (جبل الناصریة) وفی هذا الفصل اثنان وعشرون مبحثاً توضح هذا الحدّ مساراً وجبالًا وأودیةً وسهولًا وثنایا وأعلاماً...

وکما یقول المؤلف: إنّ هذا الحدّ نال من عنایة المجدّدین السابقین أکثر ممّا ناله غیره من الحدود الثلاثة من حیث کثرة أعلامه أوّلًا، ومن حیث إنّ هذه الأعلام بُنیت بالحجر المنحوت والنورة البیضاء ثانیاً، منتهیاً من بحثه هذا إلی أنّ جملة أعلام الحدّ الشمالی هذا هی (۵۷۴) علماً، فیما مجموعها فی الفهرس ص ۵۳۰

۱- انظر الصفحات من ۱۳۳- ۱۶۳.

ص: ۲۴۴

كان ۵۸۳ علماً كلّها بُنيت بالنورة، إلّاالقليل النادر منها لم يجد المؤلف عليه آثار النورة... (۱).

الفصل الثالث:

ذكر فيه أعلام الحدّ الغربى، ويبدأ هذا الحد ب (أعلام الأعشاش وعددها ۵ أعلام) من الناحية الشمالية الغربية بزاوية، مروراً بجبل أظلم، وعدد أعلامه ۲۰، فجبل النغيرات، أو الحشفان وأعلامه ۲۷، فأرض الرصيفة وعدد أعلامها ۱۷، وينتهى بجبل (الدومة السوداء)، وعدد أعلامه ۲۷، مشتملًا هذا الفصل على خمسة مباحث توضّح مسار هذا الحدّ وجباله وأوديته وسهوله وثناياه... منتهياً إلى أنّ جملة أعلام هذا الحدّ (۹۸ علماً)، بعضها مبنىّ بالنورة فيما البعض الآخر رضوم (۲).

الفصل الرابع:

وتناول المؤلف فيه الحدّ الجنوبى، الذى يبدأ ب (جبل نعيلة الغربى) وأعلامه ۱۳، من الناحية الجنوبية الغربية مروراً بجبل الدومة الحمراء وأعلامه ۱۰ فى المسار الأوّل، و ۱۹ فى المسار الثانى... فجبل بشيم (البشيمات) وأعلامه ۴، فريع السيّد وجبل الخشن الأوسط وأعلامه ۱۱ ثم جبل (أبو الصواعق) وأعلامه ۱۲، فجبل لبن وجبل (لُبين) وأعلامه ۲۳، فالبيبان (ثنية لبن) وأعلامه ۲، فجبل نعيلة الشرقى وأعلامه ۱۸ فجبل غراب وأعلامه ۵، فجبل مبعّر (الخاصرة) وأعلامه ۸، فريع مهجرة (ثنية ابن كرز) (ريع مبعّر) وأعلامه ۴، فجبل المظالف وأعلامه ۸، فجبل الصويفة (جبل أبو عشاش) وأعلامه ۷، فجبل صيفة- (جبل

۱- انظر الصفحات ۱۶۵- ۲۶۰.

۲- انظر الصفحات ۲۶۱- ۲۸۸.

ص: ٢٤٥

الأحمر) وأعلامه ٢۴، ولكن بنهاية العلم الثالث والعشرين ينتهى الحدّ الجنوبى، حيث انتهت أعلامه- كما يقول المؤلف- وبعده يتّجه شمالًا باتجاه (قرن الأعفر) الذى بدأنا ذكر الحدّ منه (أى الحدّ الشرقى من ناحية الجنوب) وقبل هذا القرن يوجد العلم الأخير لهذا الحد الجنوبى وهو الرابع والعشرون....، حيث تنتهى أعلام هذا الحدّ بنهاية جبل صفيه، وبهذا ينتهى هذا الفصل عبر أربعة عشر مبحثاً، وجملة أعلام هذا الحدّ (١٥٢ علماً) إلّاأنّ مجموعها فى الفهرس ص ۵٣٠- ۵٣١ كان ١۶٨ علماً، منتهياً بدراسته وبحثه هذا بقرن الأعفر وهو القرن الذى بدأ منه أوّل مرّة فى بحثه الميدانى هذا فى أعلام الحدّ الشرقى، وبهذا يكون المؤلف- وكما يقول- قد دُرنا دورة كاملة تبلغ مئة وسبعة وعشرين كيلومتراً، محيطة بمواضع حدود الحرم (١).

وبهذا الفصل من الباب ينتهى الباب الثانى وبانتهائه يتمّ البحث الميدانى القيّم هذا؛ لننتهى بعد ذلك إلى الخاتمة والنتائج.

الخاتمة والنتائج:

لقد خصّص المؤلف الكريم عدّة صفحات من كتابه هذا (٣۵٣- ٢۶٣) ذاكراً فيها أهم ما توصل اليه من نتائج لرحلته الطويلة حول حدود الحرم الشريف، وللأبحاث التى عرضها فى كتابه عن أعلام الحرم وتأريخها.

لنبدأ معه فى نتائجه هذه، حتى نصل إلى فقرة أخرى ذكرها أيضاً فى آخر هذا الفصل وهى الاقتراحات:

أمّا أهم نتائجه، التى تمدّدت على الصفحات ٣۵٣- ٣۵٩، عبر ١۵ فقرة فهى:

١) أنّ دراسته هذه تعدّ أوّل تقييد وتدوين شامل لمواضع الحرم وأعلامه،

١- انظر الصفحات ٢٨٩- ٣۵٠.

ص: ۲۴۶

فإنّ عِلْمَ (حدود الحرم الشریف)- والکلام للمؤلف- من العلوم، التی لم تکتب کتابة مستقلة، ولم تدوّن منذ أوّل وجودها علی الأرض تـدویناً قائماً بـذاته، إلی یوم الناس هذا، فقد کان هذا العلم یؤخذ مشافهةً من أصـحابه إذا احتیج إلیه... ولهذا بقی غالب هذا العلم فی صدور الرجال حتی الساعة (۱).

ومن هذا نالت هذه الدراسة القیّمة أهمیة کبیرة وهو ما ذکرناه عنها فی القسم الأوّل من تعریفنا لهذا الکتاب.

۲) حدود الحرم هی المداخل المؤدیة إلی مکّة، لا التی تحیط به إحاطة السوار بالمعصم، وهذه المداخل هی التی یریدها مؤرخو مکّة وغیرهم، وکـانوا یطلقونهـا علی مواضع حـدّ الحرم علی الطرق المؤدیـة إلی مکّـة، وکـان عـددها سـتة مـداخل، کما فی زمن الأزرقی والفاکهی، واختفی منها اثنان فی عهد الفاسی، وبها انحصر علم حدود الحرم.

۳) تحدید حدود الحرم ووجود الأعلام، إنّما هو أمر توقیفی وضعها إبراهیم علیه السلام بدلالة جبریل علیه السلام ولا اجتهاد فیه. والذین جدّدوا هذه الأعلام، لم یکن عملهم یتجاوز ذلک التجدید إلی تقدیم مواضعها أو تأخیرها.

۴) تجدیـد الأعلام والعنایـة بها، کان یعدّ من أعظم المهمّات وأشـرفها، وما إن وطأت قدما رسول اللّه صـلی الله علیه و آله أرض مکّة فاتحاً لها، حتی أمر أصـحابه بتجدیـد الأعلام، علی ضـیق وقته الـذی قضاه فی مکّة وکثرة مشاغله ومسؤولیاته، وعلی هذا سار غیره من الذین جاؤوا من بعده صلی الله علیه و آله.

۵) منذ اثنی عشر قرناً ونصف، لم تجدّد أعلام الحرم الواقعة علی الجبال، أی منذ سنة ۱۶۰ ه، فی عهد الخلیفة المهدی العباسی.

۱- انظر الصفحة ۳۵۳.

ص: ۲۴۷

۶) وهی نتیجة مهمة جدّاً، توصّل إلیها الدکتور فی رحلته العلمیة النافعة هذه، هی حصیلة الأعلام، وهی کالآتی: (۹۳۴) علماً، وقف علیها ووصفها وصوّرها. بقی منها: ثلاثة عشر علماً موجودة علی مداخل مکّة، والفضل فی بقائها یعود إلی المصلحین والمجدّدین. واثنان لازالا بقدرة اللَّه قائمین علی رؤوس الجبال.

ویوجد (۶۳۰) علماً من مجموع ۹۱۹ علماً متهدماً من زمن بعید علی رؤوس جبال یرتفع بعضها ۵۰۰ م فوق سطح البحر، علیها آثار النورة البیضاء القدیمة، أمّا بقیة الأعلام وعددها (۲۸۹) فهی عبارة عن رضوم متهدمة.

۷) حدّ الحرم یسیر علی خمسة وأربعین جبلًا، صغیراً وکبیراً، تکاد تحیط بمکّة إحاطة تامّة لیست بینها فواصل سهیلة طویلة إلّاقلیلًا.

۸) «۱۶» ثنیة وشرفة یمرّ بها حدّ الحرم، وعلیها طرق سالکة للسیارات.

۹) «۸» فواصل سهیلة بین جبال الحدّ، أکثرها لا یزید عن کیلومترین.

۱۰) ننقل هذه الفقرة کما ذکرها المؤلف: «من عادة المجدّدین القدماء «رحمهم اللَّه» أن یضعوا الأعلام علی الجبال والثنایا، والمرتفعات الأخری، أی علی موضع واضح مرتفع، ولم یکن من عادتهم وضع الأعلام فی الأرض السهلة الخالیة من المرتفعات؛ لأنّ هذه الأراضی السهلة (الثمانیة) غالبها أرض رملیة، ولا تحفظ ما یُرضم أو یبنی علیها من الأعلام، ولذلک تراهم یُهملون الأراضی الواطئة والسهلة من وضع الأعلام فیها».

هذا ما أراده المؤلف فی الفقرة العاشرة، إلّاأنّ کلامه فیها استوقفنی، فقد رأیت فیه تهافتاً واضحاً أو اختلافاً عمّا ذکره بخصوص الأعلام، فإضافة إلی کونه:

أوّلًا: ذکر علّة وضع الأعلام علی الجبال والمرتفعات والثنایا دون الأراضی السهلة...، وکأنّها هی العلّة الحقیقیة لا غیرها.

ص: ۲۴۸

ونقول: ذکر فی عدّة مواضع من کتابه هذا، کان آخرها الفقرة ۳ فی الصفحة ۳۵۳، قال فیها:

«إنّ تحدید حدود الحرم أمر توقیفی، لا مجال فیه للاجتهاد، فوجود الأعلام علی الجبال، إنّما کان من وضع نبیّ اللّه إبراهیم علیه السلام بدلالة جبریل علیه السلام...».

فهنا یتّضح لنا جلیّاً أنّ الأعلام أمر توقیفی، والأمر التوقیفی لا یمکننا الجزم بعلته، ولکن یمکننا أن نضعها تحت دائرة الاحتمال دون القطع.

ثانیاً: ذکر فی هذه الفقرة (۱۰) «من عادة المجدّدین القدماء «رحمهم اللّه» أن یضعوا الأعلام علی الجبال والثنایا والمرتفعات...».

ونقول: وقد أسند فیها وضع الأعلام إلی المجدّدین القدماء، فی حین قال فی أکثر من مکان منها فی القول ۳ صفحة ۳۵۳- ۳۵۴-، «إنّ تحدید حدود الحرم أمر توقیفی لا مجال فیه للاجتهاد [بمعنی أمر السماء الذی لا دخل للإنسان فیه] فوجود الأعلام علی الجبال، إنّما کان من وضع إبراهیم علیه السلام بدلالة جبریل علیه السلام».

وقال فی الصفحة ۲۹۲ قولًا جمیلًا: لو ترک مثل هذا الأمر للاجتهاد؛ لتغیّر اجتهاد اللّاحقین عن اجتهاد السابقین، وبالتالی تغیّرت حدود حرم اللّه وانهارت الحرمة والقدسیة لهذه الحدود التوقیفیة، وبالتالی صار الأمر لعبة بید الذین قد یسخرون بعض الاجتهاد لصالحهم... ونتّبع خطّ الحدّ حیث کان، قرب أو بعد من الحرم، سار بخط مستقیم أو بخط مائل...، فإنّما نتبع الحدّ، ونضع الأعلام علی مواضع الأعلام، والأمر فی هذا للّهوحده، ولیس للاجتهاد فیه نصیب...

اللّهمّ إلّاأن یرید بقوله «من عادة المجدّدین القدماء أن یضعوا الأعلام علی الجبال والثنایا والمرتفعات الاخری... هم أولئک الذین ذکرهم فی الفقرة ۱۱ و ۱۲ وهم «المهندسون لأعلام الحرم»، کما سمّاهم الذین منضمن مافعلوه، لیضمنوا لمن بعدهم صحة المسار... أنّهم زادوا من عدد الأعلام علی الجبل الواحد... وما فعله الأسلاف... وکان الأولی- دفعاً للالتباس- أن یسمّی ما فعلوه بالعلامات مثلًا لا

ص: ۲۴۹

بالأعلام، التی هی ۹۳۴ علماً وضعها نبیّ اللّه إبراهیم علیه السلام، حتی صارت خاصهٔ بها.

أو أنّه أراد بتعبیره شیئاً آخر غاب عن ذهنی... قد یکتشفه القارئ الکریم.

۱۱) إنّ مسار الأعلام علی الجبال مسارٌ واضح فی أغلب مواضعه، لا یشتبه أمره علی الباحث المتتبع... لأنّ أسلافنا- کما یقول المؤلف- لم یترکوا طریقهٔ علمیهٔ ناجحهٔ فی توضیح مسار الحدّ إلّافعلوها. وبهذا نستطیع أن نقول- وما زال القول للمؤلف-: إنّ الباحث عن حدود الحرم، قد لا یحتاج إلی من یدلّه علیها إذا سار بنفسه، فدلیله هی آثار هذه الأعلام الکثیرهٔ، وهی أحسن وأصدق من کثیر من الأدلاء.

۱۲) أغلب هذه الجبال، وعددها (۴۵) جبلًا تکون طویلهٔ، والضابط الذی علی ضوئه توضع الأعلام علی الجبال هو اتجاه السیل فی هذه الجبال؛ لأنّ کل جبل إذا تساقط علیه المطر بغزارهٔ سال منه الماء بعدهٔ اتجاهات، وقد وضعت علیها الأعلام، من قبل المختصّین ومن لهم خبرهٔ بذلک، وما وضعت- کما یقول المؤلف- إلّا لتضبط اتجاه السیل، وبالتالی یستطیع الباحث بنفسه أن یخمّن مواضع الأعلام، وقلّما یخونه هذا التخمین.

۱۳) اشتهر عند بعضهم أنّ سیل الحرم کلّه یخرج إلی الحلّ، وسیل الحلّ لا یدخل الحرم، إلّامن موضع واحد عند التنعیم، وعن هذا یقول المؤرخ ابن دهیش: وهذه المقولهٔ معترضهٔ ومنقوضهٔ بما قرره الفاکهی حیث أفرد مبحثاً عن (أودیهٔ الحلّ التی تسکب فی الحرم) وذکر فیه عدّهٔ مواضع. حیث إنّ کثیراً من سیل الحلّ یدخل الحرم مثل وادی عرنهٔ ووادی نعمان وغیرهما، وقد شاهدها المؤرخ ابن دهیش، وذکرها فی مواضعها.

۱۴) إنّ الحدّ الشمالی ینتقل من (ریع الرحا) غرباً إلی (ریع المصانیع) ثمّ غرباً إلی (ریع الغُمَیرْ) ثمّ جنوباً إلی (ریع المُرَیْر)، وما بین (ریع رحا) و (ریع المُرَیْر) أحد عشر کیلومتراً تقریباً. وهذا کلّه خطأ- کما یقوله المؤلف- استقرّ فی أذهان بعض

ص: ٢٥٠

الفضلاء المهتمين بهذا الأمر فى سير الحدّ الشمالى من (ريع رحا) إلى (ريع المُرَيْر).

ويحيل المؤلف سبب هذا الخطأ إلى مَن دلّ هؤلاء المهتمين على مواضع الحدّ.

أمّا الصحيح فهو ما وضحته هذه الدراسة كنتيجة من نتائجها، التى توصلت إليها. فمسار الحدّ الصحيح، هو بعد (ريع رحا) ينتقل إلى (جبل الرضيعة) غرباً، ثمّ إلى (جبل أم القُزاز) شرقاً، ثمّ إلى (جبل أم الشُبْرُم) شرقاً، ثمّ إلى (ريع المُرَير) غرباً.

وقد عثر المؤلف على مئة وسبعين علماً منبثة على هذه الجبال الثلاثة، وعليها آثار النورة البيضاء القديمة، بينما لا يوجد علم واحد، لا على (ريع المصانيع)، ولا على (ريع الغُمير)، ولا على الجبال المحيطة بها.

هذا وقد ردّ الدكتور ما توهمه بعض الفضلاء من أنّ حدود الحرم تبنى على المسامتة قياساً على المواقيت، بقوله: إنّ المواقيت ورد فيها نصّ بالمسامتة... أمّا حدود الحرم، فلا يحتاج فيها إلى المسامتة؛ لوجود الأعلام القائمة فيها بجميع الجهات.

١٥) من الأخطاء التى صححتها هذه الدراسة خطأ آخر استقرّ أيضاً فى أذهان بعض المهتمين بهذا الأمر وهو سير الحدّ الغربى من جبال (النُغيرات) أو (الحِشفان) إلى جبل (الدومة الحمراء). فعندهم أنّ الحدّ بعد جبال (النغيرات) يأخذ بالاتجاه جنوباً حتى يعبر (طريق الليث) إلى (جبال الموشّحات) حتى يحاذى أرض (أم هشيم) ثمّ بعد ذلك يأخذ بالانحراف شرقاً ليخترق (أم هشيم) حتى يصل جبل (الدومة الحمراء).

ويوعز المؤلف هذا الخطأ كسابقه إلى الدليل أيضاً، ثمّ يرسم المسار الصحيح للحدّ بقوله: إنّ الحدّ بعد (النغيرات) ينحرف نحو الشمال الشرقى قبل وصوله إلى طريق الليث بنصف كيلومتر، يسير بين المقرَح والرصيفة، يميل قليلًا إلى الرصيفة حتى يتصل بالرأس الجنوبى لجبل (الدومة السوداء)، ثمّ يسير الحدّ على (الدومة

ص: ٢٥١

السوداء) جنوباً حتى يقطع (طريق الليث)؛ ليصل إلى (جبل نُعيلة) القريب من حجز السيارات على طريق الليث، وبعد جبل (نُعيلة) يتجه شرقاً، ليصل إلى جبل (الدومة الحمراء).

هذا وقد وجد الدكتور فى مساره الصحيح هذا أربعين علماً تقع بين جبلى النغيرات والدومة الحمراء، وكاد الوهم المستقرّ فى أذهان المهتمين أن يلغيها كلّها كما يصرّح به.

إذن فهذه هى أهم نتائج البحوث التى أجراها ابن دهيش فى رحلته الميدانية.

وقد سجّلها فى كتابه هذا الذى بين أيدينا كدراسة ميدانية، تتصف بالفرادة فى اختصاصها.

وأنّ القارئ يجد فى ثنايا هذا الكتاب استنتاجات وتنبيهات لا أظنها تخفى على القارئ الكريم، والتى تعين القارئ على معرفة ما بذله الدكتور من جهود بدنية واخرى نفسية وثالثة فكرية فى سبيل إنجاز مشروعه الكبير هذا.

الاقتراحات: وتحت عنوان آخر سمّاه (الاقتراحات) راح الدكتور يسجل لنا أهم ما يراه من اقتراحات وتوصيات بشأن حدود الحرم الشريف وأعلامه، وقد دوّنها فى سبع فقرات:

١) نصب أعلام طريق جدّة السريع، على أن توضع على رأس (ريع الحمار)؛ لأنّها توضع على رؤوس الثنايا لا على مسايلها.

٢) وضع أعلام طريق الطائف السريع (طريق الهدة) بين جبلى عارض الحصن وقرن العابدية.

٣) وضع أعلام الليث بين جبلى الدومة السوداء وجبل نُعلية.

٤) التحقق من الموضع الصحيح لأعلام طريق الطائف السريع (طريق السيل) وهى (أعلام المجاهدين) بمراجعة السجلات والوثائق القديمة وكبار السن الذين أدركوا بناء هذه الأعلام. وهل وضعت هذه الأعلام فى موضع الأعلام

ص: ۲۵۲

القديمـة؟ فإن كانت فى موضع الأعلام القديمـة تركت بمكانها، وإلّا هـدمت ويجب إعادتها إلى رأس (ثنيـة خلّ الصـفاح). فنصوص الأزرقى والفاكهى وغيرهما تثبت أنّ حـدّ الحرم من هـذه الجهـة هو (ثنيـة خلّ الصـفاح) فى طرف جبل (المقطع) وهـذه الثنيـة معروفة اليوم وأعلامها قديمـة لا زالت فيها، وهى تبعد عن الأعلام القائمة خمسـمائة متر غرباً، فلماذا أخّرت هذه الأعلام عن رأس الثنية؟ الأمر يحتاج إلى تحقيق ورجوع إلى كبار السن.

۵) ومن اقتراحـاته أيضـاً، إعادة بناء جميع الأعلام المهدّمـة، التى كانت قائمـة على رؤوس الجبال والثنايا والمرتفعات، بناءً محكماً، مع الكتابـة على كل علم عبارة تفيد أنّ هذا حدّ الحرم، واسم الآمر بالبناء، وتأريخ البناء، وأن يقام كل علم إلى جنب العلم السابق المنهدم الذى يبقى على حاله...

۶) يوصـى أيضاً بإنشاء دائرة خاصـة لشؤون حـدود الحرم الشـريف، تضم أفراداً من أهل العلم والمعرفـة بكل ما يتعلّق بحـدود الحرم؛ لمتابعة أعلام الحرم وصيانتها وحمايتها من العبث والتلف.

۷) تقرير فصل من فصول الجغرافيـة فى المرحلـة الدراسـية المتوسـطة أو الثانويـة، موضوعه (حدود الحرم الشـريف)، يدرسـها الطلاب نظرياً وميـدانياً... (۱) ومن وصايـاه الاـخرى، الـتى راح يضـيفها الى كـلّ مـا قيّـده من معلومـات، ومـا بوّبه من مبـاحث، ومـا ذكره من ملاحظات، عبر رحلته هـذه، التى تعدّ الدراسة الاولى فى هذا الجانب، وقد أراد بها أن تكون خاتمة خير بين أيدى المهتمين والباحثين من أصحاب الدراسات الميدانية المنهجية العميقة.

فمن هذه الوصايا أنّ الأعلام نفسها يمكن أن تجيب عن كثير من الأسئلة، التى

۱- انظر الصفحتين ۳۶۰- ۳۶۲.

ص: ۲۵۳

تعرض للقراء والمتابعين، فيوصى بزيادة البحث عن الأعلام وعن النورة حولها، فالنورة تختلف لوناً وشكلًا من عَلم إلى عَلم، أو من جبل إلى جبل، فإذا ما حلّلت تحليلًا دقيقاً، تحصل منها معلومات اخرى.

وكذلك يوصى بتصوير جبال حدود الحرم وثناياه تصويراً تلفزيونياً، فهو ضرورى لنشر كثير من العلوم.

ويوصى أيضاً بضبط القياسات والمسافات بين مواضع حدود الحرم ودراسة حجارة الجبال وصفاً وتركيباً وشكلًا ولوناً، ومعرفة الكيفية التى بها تمّ بناء هذه الأعلام بالصخر المنحوت والنورة، وأين هى مصانع النورة التى كانت تزوّدهم بالنورة. وما هو الطاقم المهيئ لهذا العمل الشاق جدّاً؟ فهذا كلّه يحتاج إلى جهد علمى لدراسته، وبالاستعانة بأجهزة علمية دقيقة تجعل البحوث أكثر دقّة واطمئناناً فى نتائجها...

إذن فالبحث غزير ومتّسع، لابدّ له من لجنة علمية تقوم به، تضمّ بين صفوفها المحلّل الخبرى، والطيّار والمصوّر ورسّام الخرائط والخطّاط والمسّاح والجيولوجى والمؤرّخ...

ولهذا يتمنّى المؤلف أن تلتفت المؤسسات العلمية إلى هذا الأمر وتوليه بعض عنايتها، لأهميته الكبيرة.

ولهذا يؤكّد أنّ جهده هذه جهد فردى يضعه بين أيدى العلماء والباحثين، ولا يعتبر ما توصّل إليه شيئاً نهائياً وهو عمل يتّصف بالدقة والأمانة العلمية حقاً.

ومع أنّه يعدّ جهداً فردياً، إلّاأنّه أتى بثمارٍ نافعة وفوائد جمّة، وقطعاً لو كان جهداً مؤسساتياً لكان أكثر نفعاً وفائدةً وأكثر عطاءً.

ويضمّ هذا الباب أيضاً ملحقاً للخرائط، وعددها ثلاث وأربعون خارطة للجبال والثنايا والأعلام، تتمدّد على الصفحات ۳۶۷ حتى ۴۰۸ مع خارطة كبيرة مستقلة تحت عنوان (حدود وأعلام الحرم المكّى الشريف).

ص: ۲۵۴

ثمّ يبدأ بعدها ملحق الصور الملوّنة وعددها أربع وستون صورة للأعلام والرضوم، وهناك صور للمؤلف وهو ينتقل من جبل إلى جبل باحثاً عن الأعلام وبعض مواقع حدود الحرم، وصورة لبعض فريق البحث، وهم يتجوّلون لتحرى النورة بين حجارة الجبل فى منطقة المشيطية.

*** شُكر دائم ودعوة مخلصة!

وختاماً، ها أنذا قد انتهيتُ من تعريف كتاب الحرم المكّى الشريف والأعلام المحطية به، للدكتور عبد الملك بن دهيش، ومما أتمناه أن أكون قد وفّقت فى عملى هذا، وإلّا فإنّى ألتمس العذر من الدكتور ومن اخوتى المهتمّين بهذه البحوث ومن القُرّاء جميعاً، سائلًا المولى تعالى أن يمنّ علينا جميعاً بالتوفيق لمزيد من الجهود العلمية النافعة، ولا يسعنى إلّاأن أخصّ الشيخ ابن دهيش بالشكر والثناء على ما تفضّلت به يداه من جهد علمى وعملى ثمين ومبارك، وليس هذا الجهد مثيراً للغرابة والعجب، بعد أن عوّدنا مؤرّخو هذه البلاد الطيبة أبناء الحرمين الشريفين على عطاءٍ وفير وجهد فريد فيما كتبوه وأرّخوه من أمثال المرحوم الشيخ حمد بن جاسر، والشيخ عاتق بن غيث البلادى والشيخ عبدالرحمن خويلد... وغيرهم.

وكان لهم حضور مبارك فى مجلتنا هذه.

هذا وأرجو أن يسمحوا لى أن أبثّهم بما يختلج فى صدرى من زمن بعيد، وهو أنّى لم أجد- وطيلة هذه المدّة بالذات، التى واكبت فيها مجلة ميقات الحج محرراً، وهى المختصّة بالحج وبلاد الحرمين الشريفين وما يتعلّق بهما- فيما ألّفوه على كثرته وسعته شيئاً يذكر عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام أئمةً وعلماء وآثاراً، وكأنّ الأقلام قد جفّت، والأفكار قد نضبت، والجهود قد كلّت عن التعرّض لتاريخهم ومواقفهم الجليلة فى خدمة الإسلام والمسلمين، ومعارفهم الحافلة بألوان من العلوم فقهاً

ص: ٢٥٥

وتفسيراً وآداباً... وعلى عظمتها وثرائها، ولما تعرّضوا له من ظلم وتعسف، انصبّ عليهم وعلى اتباعهم.. وحتّى أنّى لم أعثر على إشارة أو إرجاع فضلًا عن التعريف بعلماء هذه المدرسة المباركة وبمؤلّفاتهم وكتبهم، على كثرتهم وغزارة إنتاجهم وكثرته وعمقه... متمنّياً أن لا يكون ذلك تغييباً لدورهم فهو أمر أربأ بأصحاب الكلمة المنصفة والفكر الواعى والقلم النزيه أن يتلبّسوا به.

إنّها دعوة صادقة مخلصة، ولا ريب فى أنّها نافعة فى الدنيا والآخرة بما فيها من تطييب القلوب وتقريبها، ولما فيها من وفاء لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام والصالحين والشهداء... وهو بالتالى ما يجعل علمنا وأقلامنا فى خدمة قرآننا العظيم وديننا الخالد وأمّتنا المجيدة ونصرة رجالها ورموزها، وينأى بنا وبأفكارنا وأقلامنا عن الانغلاق والتعصب وخذلان الحقّ، والحقيقة، التى يجب أن تبقى ضالّة المؤمن أينما وجدها التقطها.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّهربّ العالمين

ص: ۲۵۶

دور الحج فی الوحدة الإسلاميّة

دور الحج فی الوحدة الإسلاميّة

محمد ثمیر الدین الغازی (۱)

وأذِّنْ فی الناس بالحجّ یأتُوکَ رجالًا وعلی کلّ ضامِرٍ یأتینَ مِنْ کلّ فجٍّ عمیق لیشهدوا منافع لهم ویذکروا اسم اللّه فی أیّام معلوماتٍ علی ما رزقهم من بهیمة الأنعام فکُلوا منها وأطعموا البائس الفقیر (۲)

.

هذه هی الآیة التی ذکر فیها مقاصد الحج والزیارة: أوّلها: لیشهدوا منافع لهم والثانی: ویذکروا اسم اللّه والثالث: وأطعموا البائس الفقیر أعنی شهود منافع المسلمین، وذکر اللّه وإطعام المساکین والفقراء، وقدّم اللّه تعالی فی آیته الکریمة بیان شهود منافع المسلمین فبدأ بالقسم الأوّل أی شهود المنافع لأنفسهم والمسلمین، فیجب علی الحجّاج أن ینظروا منافع الدنیا والآخرة لهم وللمسلمین فی مؤتمر الحج العالمی الإسلامی، ومنافع المسلمین جمیعاً هی منافعهم فرادی أیضاً؛ لأنّ الجماعة تتألّف من آحاد الناس، فما ینفع الناس ینفع الفرد منهم.

وقد فسّر المفسّرون «المنافع» بأنها شاملة لمنافع الدنیا والآخرة جمیعاً،

۱- أستاذ علوم الحدیث والتفسیر بجامعة الإسلامیة- بنغلادش.

۲- الحجّ: ۲۷- ۲۸.

ص: ۲۵۷

فقال المفسِّر محمد بن جریر:

(المنافع لهم) جمیع ما یشهد له الموسم یأتی له مکهٔ أیام الحج من منافع الدنیا والآخرهٔ، ولم یخصّص من ذلک شیئاً من منافعهم بخبر ولا عقل فذلک علی العموم التی وصفت (۱).

فعمّم الإمام ابن جریر الطبری «المنافع» علی قسمین: منافع الدنیا والآخرهٔ وقال: إنّ العقل والنقل لم یخصصاها بإحدی المنافع الأخرویهٔ أو الدنیویهٔ، فالآیهٔ علی عمومها تدلّ علی القسمین لا مخصص لها من عقل ولا نقل.

وقال الإمام أبو بکر أحمد بن علی الرازی الجصاص المتوفی سنهٔ سبعین وثلاثمائهٔ فی توضیح الآیهٔ: قال اللَّه تعالی: لیشهدوا منافع لهم روی ابن أبی نجیح عن مجاهد قال: التجارهٔ وما یُرضی اللَّه من أمر الدنیا والآخرهٔ.

وروی عاصم بن أبی النجود عن أبی رزین عن ابن عبّاس قال: أسواق کانت، ما ذکر المنافع إلّاالدنیا (۲).

ففسّر ابن عباس «المنافع» بالأسواق التی تباع فیها الأمتعهٔ، وما یحتاج الناس إلیه فی الموسم من متاع الحیاهٔ الدنیا فهی مخصوصهٔ عنده بمنافع الدنیا، هذا ما رواه ابن عباس رضی الله عنه.

وهذا هو القول؛ لأنّ منافع الآخرهٔ ذکرت فی الآیهٔ مستقلّهٔ تحت عنوان ویذکروا اسم اللَّه فی أیّامٍ معلوماتٍ وفی وأطعموا البائس الفقیر فبقیت منافع الدنیا تحت عنوان: لیشهدوا منافع لهم وابن عباس ترجمان القرآن وحبر الامّهٔ، وهو إمام فی التأویل علی جمیع الناس، وعنده کان علم الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام ودعا له النبی صلی الله علیه و سلم بقوله علیه الصلاهٔ والسلام: «اللّهم فقهه فی الدین

۱- تفسیر ابن جریر ۱۷: ۱۰۱.

۲- أحکام القرآن للجصاص ۳: ۲۳۳.

ص: ۲۵۸

وعلمه التأويل» (۱) فمن ردّ عليه بأن الآية ليست مختصة بمنافع الدنيا فقوله في معرض الخطر والرد.

على أنّ جميع المفسِّرين أدخلوا فيها منافع الدنيا مع ما فيها منافع الآخرة داخلة فيها بلا خلاف، وعلى المنوالين يثبت المدّعا بأنّ المنافع شاملة على منفعة الدنيا والآخرة كلتيهما.

وعلى هذا قال الإمام أبو بكر الجصاص في أحكامه:

فاقتضى ذلك أنهم دعوا وأمروا بالحج ليشهدوا منافع لهم (۲).

وبعد ذكر أحكام الحج وآداب الحج وما يتعلق به قال اللَّه تعالى: ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلًا من ربِّكم (۳)

، ان ليس على الحجاج جناح إن استفادوا وانتفعوا بفضل اللَّه عليهم، والمراد من الفضل في الآية منفعة الدنيا وكسب الأموال وابتياع الأمتعة وكراء المراكب وغير ذلك، على أنّ الفضل قد استفيد منه المنافع المالية والاستخدامية في القرآن والحديث، وجاء في الحديث حين يخرج المصلّى من المسجد يدعو بدعاء فيه: «اللهمَّ وأسألك من فضلك».

وجاء في القرآن: فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل اللَّه (۴)

.

وقال الإمام إسماعيل بن كثير المتوفى ۵۷۴ من الهجرة في تفسير الآية: إنّ المراد من «فضل اللَّه» ابتغاء رزق اللَّه وطلبه، وما نصّه:

فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل اللَّه لما حجر

۱- راجع الاتقان في علوم القرآن، النوع الثمانون في طبقات المفسِّرين ۲: ۱۸۷ للإمام عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ۹۱۱ من الهجرة.

۲- أحكام القرآن للجصاص ۳: ۲۳۳.

۳- البقرة: ۱۹۸.

۴- الجمعة: ۱۰.

ص: ۲۵۹

عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل‌اللَّه، كما كان عراك بن‌مالك رضى الله عنه: إذا صلّى الجمعة انصرف فوقف‌على باب‌المسجد فقال: اللهمّ إنّى أجبت دعوتك وصلّيت فرضيت وانتشرت كما أمرتنى؛ فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين- رواه ابن أبى حاتم (۱).

فالمراد هنا من «فضل اللَّه» رزق اللَّه لعباده أمر بطلبه إذا قضوا صلواتهم والانتشار له فى أرض اللَّه.

وقال الإمام إسماعيل بن كثير: وعن بعض السلف انه قال: من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك اللَّه له سبعين مرّةً.. الخ (۲).

وقال الإمام ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: واذكروا اللَّه كثيراً لعلّكم تُفلحون (۳)

أى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا اللَّه كثيراً (۴).

فالمراد من «فضل اللَّه» هو البيع والشراء وإعطاء الأشياء لغيرهم والأخذ منهم.

فضلًا من ربّكم- على ضوء الرواية:

والآية التى ذكرناها من قبل واستشهدنا عليها بهذه الآية والحديث المزبور تدلّ على أنّ المراد من «فضل اللَّه» رزق اللَّه لعباده فى أطراف الدنيا، قال الإمام ابن كثير فى تفسيرها المبحوث عنها: إنّ المراد من ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلًا من ربِّكم أى من الفضل التجارة فى الأسواق فى موسم الحج، وذكر الإمام ضمن تفسير لفظة فضلًا من ربِّكم أحاديث عديدة قوية لامجال للإنكار عنها، هو يقول:

۱- تفسير ابن كثير ۴: ۲۶۷.

۲- ابن كثير ۴: ۲۶۷.

۳- الجمعة: ۱۰.

۴- ابن كثير ۴: ۲۶۷.

ص: ۲۶۰

(۱) قال البخارى: حدّثنا محمد، أخبرنى ابن عيينة عن عمر وابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً فى الجاهلية فتأثموا أن يتّجروا فى الموسم فنزلت: ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلًا من ربّكم- فى موسم الحج.

(۲) وهكذا رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وغير واحد عن سفيان بن عيينة به ولبعضهم: فلما جاء الإسلام تأثموا أن يتّجروا فسألوا رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم عن ذلك فأنزل اللَّه هذه الآية.

(۳) وكذا رواه ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: كان متجر الناس فى الجاهلية عكاظ ومجنة وذو المجاز، فلما كان الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت هذه الآية.

(۴) وروى أبو داود وغيره من حديث يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال: كانوا يتقون البيوع والتجارة فى الموسم والحج يقولون: أيام ذكر، فأنزل اللَّه: ليس عليكم جناحٌ أن تبتغوا فضلًا من ربّكم.

(۵) وقال ابن جرير: حدّثنى يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا هشام، أخبرنا حجّاج عن عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلًا من ربِّكم فى موسم الحج.

(۶) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية: لا حرج عليكم فى الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده.

أقول: فاستخرج ابن عباس من الآية أنّ إحرام الحج لا يحرم به البيع ولا الشراء بعده ولا قبله، ولا يحرم به اكتساب المنافع فى الموسم.

(۷) عن أبى أميمة قال: سمعت ابن عمر سئل عن الرجل يحجّ ومعه تجارة فقرأ ابن عمر: ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلًا من ربّكم.

(۸) عن أبى امامة التيمى قال: قلت لابن عمر: أنا نكرى فهل لنا من حجّ؟

قال: أليس تطوفون بالبيت وتأتون بالمعروف وترمون الجمار وتحلقون رؤوسكم؟

ص: ۲۶۱

قال: قلنا: بلی، فقال ابن عمر: جاء رجل إلی النبیّ صلی الله علیه و سلم فسأله عن الذی سألتنی، فلم یجبه حتی نزل علیه جبرئیل بهذه الآیة: لیس علیکم جُناح أن تبتغوا فضلًا من ربّکم فدعا النبیّ صلی الله علیه و سلم فقال: أنتم حجاج.

فهذه حجة قاطعة علی جواز الانتفاع واکتساب المنافع والتجارة فی الموسم علی ما نصّ علیه النبیّ صلی الله علیه و سلم ونزل به القرآن- وعلم من الروایات السابقة أن التأثم بالاستفادة والانتفاع بمنافع الدنیا بالتجارة والبیع والابتیاع وإکراء الدواب والمراکب فی الحج کان دأب الکفّار أیام الجاهلیة، وبأنّ الحج ذکر وعبادة لا ینبغی التجارة والاشتغال فیه بأمور الدنیا، کان ظنّ الکفرة الفجرة الجهلة لا یرضی به الإسلام فأبطله وردّ علیه وأوجب علی المسلمین؛ لیشهدوا فی الموسم منافع لهم فمن لم یشهد المنافع فی الحج فاته معظم مقاصد الحج والزیارة؛ لأن حجّه کان حج الجاهلیة وقتئذ، ومثل هذه الروایات جاءت روایة أخری کما تأتی الآن.

(۹) عن العلاء بن المسیب عن رجل من بنی تمیم قال: جاء رجل إلی عبداللّه ابن عمر فقال: یا أبا عبد الرحمن! إنّا قوم نکری، ویزعمون أنه لیس لنا حجّ، قال:

ألستم تحرمون وتطوفون کما یطوفون وترمون کما یرمون؟ قال: بلی، قال: فأنت حاج.

(۱۰) عن أبی صالح مولی عمر قال: قلت یا أمیر المؤمنین! کنتم تتجرون فی الحج؟ قال: وهل کانت معایشهم إلّافی الحجّ؟

تلک عشرة کاملة یکفی لمن أراد الحق والحق یتبع (فراجع المصادر من النمرة الأولی إلی العاشرة فی السورة ۲ الآیة ۱۹۸ فی تفسیر ابن کثیر ج ۱ ص من ۲۳۹ إلی ۲۴۰).

فلا مانع للُامة أن تنظر فی منافعها ومصالح المساکین والفقراء من المسلمین وفکّها من شبکة الظلم والاضطهاد بأیدی أعداء الإسلام والمسلمین، فإنّ المنافع المبحوث عنها تعمّ کلّ المنافع من منافع الدنیا والآخرة علی ما مرّ من الشواهد

ص: ۲۶۲

والحجج الباهرة لها، بل اكتساب منافع الدنيا هو المقصود المهم من إتيان مكة، كما قال ابن عباس فی تفسير الآية آنفاً.

وقد شاع فی أذهان المسلمين اليوم الفكرة الشنيعة وليدة أيام الجاهلية بأنّ الحج والزيارة، ذكر محض لا تلائمه التجارة واكتساب منافع الـدنيا، فكـأنهم يظنّون ظنّ الجاهليـة الاـولى وهم المسـلمون؛ ولأجل ذلك أطلنا الكلام فی تفسـير «المنافع» الواردة فی الآيـة، وسوف نوضّح بعض أنحائها فی المباحث الآتية.

وحدة المسلمين

ومن أهم منافع الحج أن نستفيد من الاحتفال السنوى طوال أيام الحج فی الموسم؛ لتوسيع وحدة المسلمين فی العالم، ونفتّش عن سُبل تقريب المذاهب الإسـلامية على ضوء مناسك الحج ومعالمه حتى نجتمع كما اجتمع المسـلمون فی صدر الإسلام الموسم، وانتفعوا به فی مصـالحهم الشخصـية ومنـافعهم المليـة. فـإنّ جمعـاً غفيراً منهم يحتفلون حول الكعبـة كـلّ سـنة وهم من أهل الثروة والقوّة ورُؤساء الناس؛ ولذا قال تعالى: ليشـهدوا منافع لهم بلفظ الجمع فی صيغة الفعل ليشهدوا من الشهود وبضمير الجمع فی لفظة لهم، والجمع ينبئ عن وحـدة الجميع ولفظ الشـهود المأخوذ منه ليشـهدوا ينبئ عن معنى الحضور متوجّهاً لأمر مهم؛ ولـذا قيل فی معنى الحج هو القصـد إلى معظم لا إلى شىء هيّن لا يعبأ به، بل راجع إلى معنى الحج لغةً كما مرّ.

ولعمرى إنّ الوحدة هى القوّة والعزّة والشـرف والنصـرة، والوحدة هى نعمة عظمى من المسـلمين لسائر العالم لا للمسـلمين خاصة على اختلاـف الجنس والـدين والمنطقـة، فإنّ المسـلم يسـلم وجهه لربّ العالمين، ويقيم أحكام اللَّه العادلـة على الناس متجانفاً عن العصبية الجنسية ومخالفة الملّة والدين، فقد قال اللَّه تعالى أمراً لمن آمن به وأسلم وجهه للَّه:

ص: ۲۶۳

یا أیّها الـذین آمنوا كونوا قوّامین للّهشـهداء بالقسط ولا یجرمنّكم شـنآن قومٍ علی ألّا تعدِلوا اعدلوا هو أقرب للتقوی واتقوا اللّه إنّ اللّه خبیرٌ بما تعملون (۱)

.

فهـذه هی صـفات المؤمن بـاللّه مسـلماً له وجهه، أمره اللّه تعـالی أن یقوم بالقسـط بین النـاس ویعـدل بینهم، وأن لا ـ یحیف علیهم ولا یجرمنه شنآن قوم علی أن لا یعدل وحضه علی العدل والإنصاف؛ لأنّ العدل أقرب للتقوی واللّه یحبّ المتّقین.

وأمرهم علی أداء الشهادة بالقسط ولو كانت علی أنفسهم والأقربین فقال تعالی: یا أیّها الذین آمنوا كونوا قوّامین بالقِسط شُهداء للّهولو علی أنفسكم أو الوالدین والأقربین (۲)

.

فاجتمـاع مثـل أولئك الناس ووحـدتهم فیما بینهم رحمـة ونعمـة عظمی للمجتمع الإنسانی لاشك فیها، ومثل هـذه الوحـدة العادلـة لا توجـد فی العالم الحالی الخالی من العدل والقسط حتی إنّ الامّة المسـلمة قد فقدت مزایاها بأنها العادلة المقسـطة فیما بین الناس وبین أنفسهم أیضاً، فیا للأسف! وقد قال اللّه تعالی موقظاً للُامّة المسلمة منبهاً لها لفرائضها:

مِلَّة أبیكم إبراهیم هو سمّاكم المسلمین من قبلُ وفی هذا لیكون الرّسولُ شهیداً علیكم وتكونوا شهداء علی الناس (۳)

.

فوحدة المسـلمین نعمة لسائر العالم؛ لأنّ أبناء الامّة المسلمة شهداء علی الناس بالقسط والعدل وفیما بینهم، وهذه الفریضة علیها وعلیها أن تقوم بها بین الناس، فمبنی وحـدة المسـلمین هو القسط والعـدل بین الناس، ولفقده فقدت الوحدة بین الامّة المسـلمة ونشأت الفرقة وولدت أمها الخبیثة مفاسد لا تحصی ولا تعدّ.

۱- المائدة: ۸.

۲- النساء: ۱۳۵.

۳- الحجّ: ۷۸.

ص: ۲۶۴

ونیران فقدان الوحدة تضطرم فی أکناف العالم الإسلامی الحالی، وقودها المسلمون المقتتلون بین أنفسهم، فی أفغانستان وباکستان ومصر والجزائر، وإخراج الامّة المسلمة کان الهدف منه فی بدء نشأتها أن یکون خیر الامم قاطبةً اخرجت للناس ونفعهم بأمرهم بالخیر ونهیهم عن المنکر وتؤمن باللَّه. قال اللَّه تعالی فی شأنها:

کنتم خیرَ امّة اخرجت للناس تأمُرون بالمعروف وتنهون عن المنکر وتؤمنون باللَّه... (۱)

.

وأیّما امّة تقوم لنفع الناس بأن تأمرهم بالخیر وتنهاهم عن المنکر وهی تؤمن باللَّه ربّ العالمین فهی خیر لهم جمیعاً، فإنّ إقامة الخیر وإنهاء المنکر عن الناس علیه مدار العالم وأمن مجتمع الامم والناس جمیعاً وهو مرسی السلامة والسکون. فلا ریب أن اتّحدت امة لإقامة تلک المقاصد العالیة فاتحادها ینفع الناس ویجعل حیاتهم طیبة مرضیة وکانت الامّة المسلمة المرحومة بصددها أن اتحدت وتوحّدت بصمیم القلب، فتهب ریح السلامة والعافیة علی العالم الکئیب المصاب بمصائب شتی، ولنیل هذا المرام العالی حضّ اللَّه تعالی المسلمین بقوله:

ولتکن منکم امّة یدعون إلی الخیر ویأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر واولئک هم المفلحون ولا تکونوا کالذین تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البیّنات واولئک لهم عذاب عظیم (۲)

.

وهذه الآیة الکریمة ترشدنا إلی سبیل الرشاد والنجاة والوحدة والاخوة وإلی اجتناب الفرقة والخلاف فیما بیننا، وتحضّنا علی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر فتصل بنا إلی الفوز والفلاح الموعود بقوله واولئک هم المفلحون وحذّرنا اللَّه تعالی من الخلاف والفرقة بعدما جاءنا البیّنات فیصیبنا عذابٌ عظیم فیاللعجب: إنّ

۱- آل عمرآن: ۱۱۰.

۲- آل‌عمران: ۱۰۴- ۱۴۵.

ص: ۲۶۵

الامّهٔ وقعت فیما حذّر اللَّه عنه وانتحلت نحلهٔ الغیّ والضلال وتفرّقت کلّ التفرّق فاستحقّت عذاباً عظیماً، وفاتت الفوز والفلاح الموعود، وترکت الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر الواجب المؤکّد علیها فذاقت وبال أمرها عذاباً عظیماً کما حذّر اللَّه عنه، وأی عذاب أعظم من عذاب الرقهٔ والضعهٔ تحت سیطرهٔ الیهود والنصاری والهنود والبوذیین فی فلسطین وکشمیر...؟ ولیس الملجأ منها إلّابوحدهٔ المسلمین فی سائر العالم والتماسک یداً بیدٍ متشابکین متناصرین کأنهم بنیانٌ مرصوص.

اسس الوحدة بین المسلمین

المبنی الأوّل: وقد ذکرنا فیما مضی من بحوثنا المبنی العظیم من مبانی الوحدهٔ هو العدل والقسط والعمل بهما، فإذا فات عنک العدل والقسط یعود حمیمک عدوّاً لک، وإذا عدلت وقسطت فعدوّک کأنّه ولیّ حمیم؛ ولذا قال اللَّه تعالی: وإن حکمت فاحکم بینهم بالقسط إنّ اللَّه یحبّ المقسطین (۱)

.

وقال تعالی: ولا تستوی الحسنةُ ولا السیّئهٔ ادفع بالتی هی أحسن فإذا الّذی بینک وبینه عداوهٔ کأنّه ولیٌّ حمیم (۲)

.

ونری الخلاف بل الشقاق بین المسلمین والمحاربهٔ فیما بینهم کما فی افغانستان ومصر والجزائر من المنافسات والمنازعات التی وصلت إلی المحاربهٔ والمقاتلهٔ، وقد قال لهم نبیّهم صلی الله علیه و سلم: «لا ترجعوا بعدی کفّاراً یضرب بعضکم رقاب بعض.» وفی روایهٔ: «لا ترجعنّ بعدی ضُلّالًا یضرب بعضکم رقاب بعض» (۳).

وهذا هو أمر نبیّهم وقد خالفوه. وقد عجز المسلمون عن منع إطلاق النیران

۱- المائدهٔ: ۴۲.

۲- فصّلت: ۳۴.

۳- مسلم ۱: ۵۸ باب معنی قول النبی صلی الله علیه و سلم: لا ترجعوا بعدی کفّاراً یضرب بعضکم رقاب بعض. مسلم ۲: ۶۰ باب تغلیظ تحریم الدماء والأعراض والأموال.

ص: ۲۶۶

فیما شجر بینهم وما هو السبب؟ لعل السبب التجنّب أو عدم إقامهٔ القسط والعدل بین الفریقین المتحاربین أو عدم وحدهٔ المسلمین ضد طائفـهٔ باغیـهٔ بغت علی الاخری، فقـد قال اللَّه تعالی فی الصـلح بین الفریقین المتحاربین أن یسـلک المصـلحون طریق العـدل والقسـط حینما أرادوا الإصلاح بینهما فقال تعالی:

وإن طائفتـان من المؤمنین اقتتلوا فأصـلحوا بینهمـا فإن بغت إحـداهما علی الاخری فقاتلوا التی تبغی حتّی تَفِیء إلی أمر اللَّه فإن فاءت فأصلحوا بینهما بالعدل وأقسِطوا إنّ اللَّه یحبّ المقسطین إنّما المؤمنون إخوةٌ فأصلحوا بین أخویکم واتّقوا اللَّه لعلّکم تُرحمون (۱)

.

فـإذا نظرنـا فی تلـک الآیـات نری أنّ رفع النزاع وإیقـاف النیران والإصـلاح بین المسـلمین واجب علی الامّـهٔ، وعلیها أن تقاتل الطائفهٔ الباغیـهٔ التی بغت علی الاخری حتی تفیء إلی أمر اللَّه، فإذا فاءت فعلی الامّـهٔ أن تصـلح بین الطائفتین المتحاربتین بالعدل والقسط لأن المؤمنین کلّهم إخوهٔ. فنهتـدی من هنا إلی أنّ العـدل والقسط أمر واجب ولازم للإصـلاح بین الناس وعلی المصـلحین أن ینحازوا إلی الطائفهٔ المظلومهٔ ویقاتلوا التی تبغی وتجبرها حتی تفیء إلی أمر اللَّه أی الصـلح ومنع إطلاق النار، وإلی ما یراه المصلحون المقسطون، فیجب علی الامّـهٔ أن تکون یـداً واحـدهً ضد الطائفهٔ الباغیهٔ، ولعل هذا الشـرط معدوم فی مصالحهٔ الأعداء من الکفر المحاربین وهم لا یقسـطون ولا یعـدلون فی الإصـلاح بین المتحاربین، أو فقـدت الوحـدهٔ ضد الطائفهٔ الباغیهٔ العنیدهٔ الناشـزهٔ، فالقسط والعدل هو المبنی الأوّل للوحدهٔ والاتحاد بینهم.

والمبنی الثانی: الاعتصام والتمسّک بحبل اللَّه المتین، فإنّ الوحـدهٔ الجنسـیهٔ والشـعبیهٔ واللغویهٔ والنسـلیهٔ وحتی الاقلیمیهٔ فی طبعها تدعو الامّهٔ إلی عدم التفرقهٔ

۱- الحجرات: ۹- ۱۰.

ص: ۲۶۷

والشقاق والتشتّت على ما تقتضيه النزعة القومية والعصبية والحمية حتى إنّ العصبية إلى فئة تلقى عصا الوحدة والتوحيد والتوحّد فی الامّة، فلا يقبل الإسلام عصبية إلّاالعصبية الدينية المحضة حينما تضرب العصبية المذهبية والحزبية بوحدة الامّة على الجدار، وتنقض عصا الوحدة عنها فيقتل التحدّی الوهابی أهل التسنّن وأهل التسنّن يقتلهم (كما جاء فی فتاوى الشامی بن عابدين فی باب البغاة ص ۲۶۳).

وطالما قتل الحنفی شافعياً أو مالكياً أو حنبلياً وعكس ذلك كما ينعته التاريخ تاريخ التفرقة بين المسلمين فی الغابر- وفی زماننا نرى التقاتل والأعمال الإرهابية بين الشيعة والتسنّن يقتل بعضهم بعضاً وهم مسلمون- قد هيّأ بعض منهم منظمة إرهابية فتّاكةً للقتل، يا للغوث على تلك المنظمة الفتّاكة المسمّاة باسم معصوم مثل «جند الصحابة» أی سپاه صحابه و «جند محمد» أی سپاه محمد، وهم يقتلون امّة محمّد ولا يشعرون، وذلك لعدم تمسّكهم بحبل اللَّه المتين وأمروا وفق قول نبيّهم: «لا ترجعوا بعدی كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

وقال: «من حمل علينا السلاح فليس منّا»، «القاتل والمقتول كلاهما فی النار» (۱).

ان ينفكوا عن القتل بعضهم بعضاً، كلّها حمية جاهلية أو عصبية لا يرضى به الإسلام ونبيّه صلى الله عليه و سلم.

وقال النبیّ صلى الله عليه و سلم فی العصبية والحمية الجاهلية ولدعوة السيف: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنّه من جثی جهنم. قال رجل: يا رسول اللَّه وإن صام وصلّى؟

قال: نعم وإن صام وصلّى. وفی رواية «وزعم أنه مسلم» (۲).

فكلّ الدعوات سوى دعوة الإسلام والدين دعوة الجاهلية والعصبية

۱- مسلم ۱: ۶۹، البخاری ۲: ۱۰۴۹.

۲- تفسير ابن كثير ۳: ۲۳۶.

ص: ۲۶۸

المحرّمـة. ولذا دعا القرآن إلی الاعتصام بحبل اللَّه لا غیر، فقال تعالی: واعتصـموا بحبل اللَّه جمیعاً ولا تفرّقوا واذکروا نعمة اللَّه علیکم إذ کنتم أعـداءً فـألّف بین قلوبکم فأصـبحتم بنعمته إخوانـاً وکنتم علی شـفا حفرة من النـار فأنقـذکم منها کـذلک یبیّن اللَّه لکم آیاته لعلّکم تهتدون (۱)

.

فالآیـات الکریمـة هـذه تهـدینا إلی مـا نعتصم ونتمسّک به وکیف نعتصم جمیعاً أو أشـتاتاً، ولیتنبّه القارئ أن الأخـذ والاعتصام بینهما فرق، الأخـذ بالقوّة بحیث لا انفصام له هو الاعتصام، فللأخـذ الموثق به هو المأمور بصـیغة الأمر واعتصـموا ولا یکفینا إن أخـذنا بحبل اللَّه فرادی، بل یلزم علینا أن نأخذ به بقوّة ومکنة جمیعاً لا فرادی وأشتاتاً.

وحبال الجنسـیة والشعبیة واللغویة حتی الاقلیمیة لیست بحبل اللَّه المتین، وحتی النزاعات المذهبیة والنزاع الفروعی الدینی لیست داخلة فی حبل اللَّه، بل هی حبال الفرق الإسـلامیة وسـبلها، وحبل اللَّه هو الآیات المحکمات والسـنّة المتواترة التی أجمعت الامّة علی قبولها، وما أخرجت من الأحکام المسـتنبطة فهی ثمرات الاجتهاد لایجب العمل بها علی جمیع الامّـة بل یجب علی مقلّـدی المجتهـد المعهود فقـط علی اعتقـاد وجوب التقلیـد الشخصـی المتکلّم فیه- ولیس لأحـد أن یجبر أحـداً علی العمل بالامور المجتهـدة فیها- فالمقلـدون أحرار فی تقلید أحد من الأئمة المجتهدین، وفیه بحث طویل لا مجال له فی المقالة الراهنة.

فـإذا تمسّـکت الامّـة بحبل اللَّه المتین نشأت فیها وحـدة وثیقـة واجتمعت علیه بحیث تنجیها من العراقیل فی داخلها وخارجها، وتقویها ضـدّ عـدوّها، ولإنشاء الوحـدة الإسـلامیة وحـدة الامّـة الاحتفال السـنوی احتفال الحـج یقدم بین أیدی الامّة فرصة ثمینة أن تشاور فی الامور السیاسیة والثقافیة والتجارة تدیر بینها،

۱- آل‌عمران: ۱۰۳.

ص: ۲۶۹

والامور الاستراتیجیة وإطفاء الفتن الداخلیة والخارجیة وإعداد القوّة الحربیة الجویة والبریة والبحریة علی منوال جدید یقتضیه العصر الحاضر وأن تتفکّر فی شؤون الوحدة وائتلاف الامّة، فاحتفال الحج السنوی احتفال عظیم حری لإنشاء الوحدة العالمیة للُامّة المسلمة.

المبنی الثالث: لوحدة الامّة المسلمة وإنشاء الاخوّة والمودّة بین المسلمین، قال اللَّه تعالی: إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بین أخویکم واتّقوا اللَّه لعلّکم تُرحمون (۱).

فالمؤمنون کلّهم إخوة والفریقان المتحاربان أخوا المصلحین علی السواء فینبغی أن یحکموا بینهما بالعدل والقسط علی السواء ظنّاً منهم بأنهما إخوان لهم فلا یمیلون میلةً إلی أحدهما دون الآخر زیغاً وظلماً، کما روی عن معاذ بن جبل أن النبیّ صلی الله علیه و سلم قال: «یکون فی آخر الزمان أقوام إخوان العلانیة أعداء السریرة، فقیل:

یا رسول اللَّه! کیف یکون ذلک؟ قال: ذلک برغبة بعضهم إلی بعض ورهبة بعضهم من بعض» (۲).

هذا الحدیث هو مرآة الامّة المسلمة المرحومة المفتونة فاقدة القسط والعدل فی زماننا الحاضر، هی تمیل إلی جانب إذا تحکم بین الفریقین المتحاربین القائمین علی شفا حفرة من النار. فلا تطیق تنقذ المسلمین من أزماتهم الحالقة الراهنة، کما نری هذا فی أزمة أفغانستان وفلسطین والجزائر وغیرها، هذا لرغبتهم إلی بعضهم ورهبتهم من بعض، وهم إخوان علانیة وأعداء سرّاً لا یحکمون بالعدل ولا یقیمون القسط وقد امروا به. فصدق اللَّه ورسوله بأنهم إخوان العلانیة وأعداء السریرة یمیلون إلی بعض ویرغبون عن بعض، فیاله من ضیاع!

۱- الحجرات: ۱۰.

۲- مشکاة المصابیح، باب الرؤیا والسمعة الفصل الثالث: ۴۵۵.

ص: ۲۷۰

معالم المحبّة فی صدر الإسلام:

وأعلن اللَّه تعالی معالم المودّة والمحبّة أسوة للأمّة المسلمة کما کانت الصحابة علیها، فمدحهم اللَّه تعالی فی القرآن العظیم، فقال تبارک وتعالی:

محمّدٌ رسول اللَّه والذین معه أشدّاء علی الکفّار رحماء بینهم... (۱)

.

فأصحاب الرسول علیه وآله وصحبه ألف ألف صلوات وسلام کانوا رحماء رفقاء بینهم لا یخذلون إخوانهم المسلمین تحت سیطرة الأعداء والکفرة الفجرة، ذوی مودّة صادقة ومحبّة صافیة، وکانوا أشداء علی الکفار عکس ما کنّا أحبّاء الکفار وبغضاء المؤمنین. وقال اللَّه تعالی فی معالمهم أیضاً:

والذین تبوءوا الدار والإیمان من قبلهم یحبّون من هاجر إلیهم ولا یجدون فی صدورهم حاجةً ممّا اوتوا ویؤثِرون علی أنفسهم ولو کان بهم خصاصة ومن یُوقَ شُحّ نفسه فاولئک هم المفلِحون (۲)

.

الأزمة الفظیعة هی فقدان معالم الصحابة الکرام رضوان اللَّه علیهم من الامّة، وهم کانوا یؤثرون علی أنفسهم ولو کان بهم خصاصة، وکانوا متحابّین لا یحسدون إخوانهم المسلمین بما اوتوا، ولا یجدون فی صدورهم حاجةً بما أعطاهم اللَّه من فضله وهم مفلحون، ونحن المسلمین المسلوبین تلک الأخلاق السنیة الخاسرین وخسراننا بین أیدینا الیوم وفی الآخرة یتزاید إلی ما لا نهایة له، فخسرنا فی الدنیا والآخرة وذلک هو الخسران المبین.

وبیّن النبی صلی الله علیه و سلم صفات الاخوة والمودّة بین المسلمین فقال:

«إیّاکم والظنّ فإنّ الظن أکذب الحدیث، ولا تجسسوا، ولا تنابزوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وکونوا عباد اللَّه إخواناً.

وفی روایة:

۱- الفتح: ۲۹.

۲- الحشر: ۹.

ص: ۲۷۱

ولا تنافسوا متفق عليه (۱).

إذا لاحظنا الصفات المسرودة فى الحديث نجدها كالآتى: اجتناب ظنّ السوء فإنّه أكذب الحديث، اجتناب التجسّس والتحسّس، اجتناب التناجش، اجتناب التحاسد، اجتناب التباغض، اجتناب التدابر، اجتناب التنافس، والأمر بكون المسلمين عباد اللّه اخواناً.

قد ذكر فى الحديث التحسس والتجسس، التجسس ظاهر المعنى وهو طلب الخبر خفيةً ومنه الجاسوس، والتحسس هو تطلب العلم بحاسة بأن يسترق السمع أو يبصر شيئاً بحاسة العين خفيةً، والتناجش هو عمل السمسرة- السمسار هو الساعى بين البائع والشارى- ربما يغلى الثمن أمام المشترى بأن يساومه بأغلى الثمن فيخدع الشارى بأن يشترى المتاع بثمن غالٍ، هذا العمل ينشئ الفرقة والشحناء بين الناس، الحسد تمنّى زوال نعمة الغير والبغض امتلاء النفس من العداوة والشحناء والتدابر، قال العينى: هو التقاطع والتنافس والمسابقة فى كسب النفيس لنفسه (۲).

فيالهفى على فوات الصفات الطيبة وحلول هذه الصفات المذكورة! فبعضنا يتحسس بعضاً ويتجسس المعايب ويتناجش ويتحاسد ويتباغض ويتدابر ويتنافس، فصرنا كأننا الأعداء البغضة لسنا إخواناً ولا عباد اللّه المخلصين، بل عباد الشياطين المردة من الجن والإنس، فيتحامل بعضنا على بعض كأننا حمر مستنفرة فرّت من طاعة اللّه المستنكرة فغضب اللّه علينا كأننا المغضوب عليهم والضالون سبيل السلام والعافية، وكأننا كلاب عاوية فى الطرق الضيقة المسالك والسلك القذرة، أو كأننا وحوش ينهش بعضنا بعضاً ويصول بعضنا على البعض

۱- مشكاة المصابيح باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات، الفصل الأوّل: ۲۷ طبع داكا

۲- مأخوذ من الطيبى شرح المشكاة ومن حواشى المشكاة المصابيح ومن لغات شتّى وابن كثير ۴: ۲۱۳.

ص: ۲۷۲

فیأکل لحمه وشحمه ویخمش الوجوه یسیل منها الدم، فجسد الامّة یتقاطر منه الدماء.

ثم الأسف کلّ الأسف أنّ هذا النزاع لا ینفع الامّة شیئاً بل هو فی نفع أعداء الامّة یلقون بیننا العداوة والبغضاء ویمزّقون به وحدة الامّة المسلمة تمزیقاً، فیفلحون بطرح برامجهم للاستثمار من أموال المسلمین فی حقّهم فهو الاستعمار المتسلّط علی بلدان المسلمین قاطبةً.

المبنی الرابع: الاجتناب عن سوء الظنّ.

الظنّ السیئ هو الداء العضال للُامّة ولید التنافس والتدابر والشحناء بینهم، وسوء الظن ینشأ منه صغار الدهاء وکباره، ومنها ما یضر الامّة بجرح لا یندمل حتی یصبح ناسوراً لا یعود برءاً ویشفی شفاءً فلذا قال النبی صلی الله علیه و سلم کما مرّ: «إیّاکم والظن فإن الظن أکذب الحدیث»، وقال تعالی: یا أیّها الذین آمنوا اجتنبوا کثیراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم ولا تجسّسوا... (۱)

.

فإن بعض الظنّ إثم فیلزم أن یجتنبوا کثیراً من الظن بلا برهان یقطع الشک والوهم کما یزعمون، فالظن واجب الاجتناب عنه مهما کان، حتی یصیر یقیناً برهاناً، وقال المفسِّر عماد الدین إسماعیل بن کثیر فی الظن: وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس غیر محله (۲).

وقد شاع سوء الظن فی المسلمین وکان علیهم حسن الظن بإخوانهم المسلمین، فصار سوء الظن عندهم أولی الأمر من حسن الظن المأمور به فعُکس الأمر بین المسلمین فنُکسوا رؤوساً وذُلّوا بأیدی أنفسهم، وجاء عمر بن الخطّاب

۱- الحجرات: ۱۲.

۲- ابن کثیر ۴: ۲۱۲.

ص: ۲۷۳

قال: ولا تظننّ بکلمة من أخیک المؤمن إلّاخیراً وأنت تجد لها محلّاً (۱).

وهذا هو الأصل الأصیل لسلوک المسلمین فیما بینهم من القول والفعل والنیّة والعمل علیها ولکن عکس الأمر فصار سوء الظن کأنه الأصیل المأمور به وحسن الظن بالمؤمنین مأثم لا یأتی به فی المعاملات والمناقشات إلّاقلیلًا، فمرضت الامّة بمرض سوء الظنّ بعضهم ببعض وانشقت عصا الوحدة منه، فیظن السنّی بأخیه الشیعیّ أنّ عمله وقوله مشوب بالکذب والخداع، وکذلک یظن الشیعة أن السنّی لا- یعتمد علیه فی القول والعمل ففشا الوهن والا-خن فی قلوب المؤمنین ظنّیاً ببعضهم ظن السوء بل ظن الجاهلیة، فهم متحاربون یسفکون دماء بعضهم بأدنی الظن منهم ویقتتلون.

فالمشتکی إلی اللَّه المتعالی وإلی رؤساء المسلمین وقادتهم وساسة الامّة المفتونة، وعلینا أن لا نظنّ السوء بعضنا ببعض ونحمل الأقوال والأعمال علی خیر محل احترازاً من سوء الظن بالمسلمین وأن نفتّش للأقوال والأفعال محتملًا حسناً، ولا نأخذ الأقوال فیما أراد به القائل والأعمال خلاف ما نوی به العامل، فهذه هی الجنایة أو الخدیعة المخذولة أعاذنا اللَّه منها- وکثیراً ما نری فی التحاور السیاسی والدبلوماسی یغلب علی التحاور سوء الظن وبطالة الیقین فتعود المحاورة فشلًا، کما نشاهد فی الطائفتین المتحاربتین فی افغانستان لا تکادان تعتمدان علی الفریق المخالف ففشلت المحاورة بینهم مراراً، وحبّ الرئاسة یزید فی البُعد والخذلان، فنشبت الحروب وکُبت الظروف لا- تکاد تمسک شیئاً، والمؤامرة الأمریکیة تدقّ وحدة الامّة بین الحجرین الثقیلین وتسفک الدماء دماء المسلمین، فمن إیحاءاتها الشیطانیة مرّة إلی هؤلاء ومرّة إلی هؤلاء، وما زادتهم

۱- تفسیر ابن کثیر ۴: ۲۱۲.

ص: ۲۷۴

إلّا خبالا.

مضرة العمل بالظنّ

لما أسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه النبىّ صلى الله عليه و سلم عاملًا على صدقات بنى المصطلق وكان النبى صلى الله عليه و سلم وقّت لهم وقتاً يبعث إليهم عاملًا عليهم ليأخذ صدقاتهم فتأخّر الأمر، وظن الحارث بن ضرار سيّد بنى المصطلق أنّ التعويق فى إرسال العامل إليهم حدث لأمر، فخرج هو وقومه يريدون المدينة ليلقوا رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم، وخرج الوليد بن عقبة من المدينة عاملًا على بنى المصطلق يريدهم، وقطع عليهم الطريق فلمّا رآهم مستقبلين إليه بأسلحتهم، ظن الوليد بأنهم خرجوا للقتال معه وما كان العتاد معه للقتال فرجع على الطريق وقال للنبى صلى الله عليه و سلم: إنّ بنى المصطلق ارتدّت عن الإسلام وخرجت تقاتله، فغضب النبى صلى الله عليه و سلم وغضب المسلمون وبعث إليهم بعثاً حتى جاء الحارث بن ضرار وقومه إلى النبى صلى الله عليه و سلم فوضّح الأمر بأنه نشأ من سوء الظن بهم، فكادت الحرب أن تقوم بين المسلمين لأجله، وأنزل اللَّه الوحى على النبى صلى الله عليه و سلم وحذّر المؤمنين أن يعملوا بالظنّ بلا تبيّن وتحقّق، قال تعالى: يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسِقٌ بنبأٍ فتبيّنوا أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصبحوا على ما فعلتم نادمين (۱)

.

الخرص والزعم قبل التبين لا يكون إلّاظنّاً وهو كثيراً ما لا يثبت فمن عمل علىالظنّ يندم ولا تنفعه الندامة إلّاحسرةً فتضرّر به القوم بجهالة و يندم من يصيبهم على ما فرط منه فى حق إخوانهم و نحن نشاهدها يوماً بعد يوم ولا شبهة له ياللغفلة!

وإليكمنصّ الحادثة التى حدثت بين الوليد والحارث بن ضرار على ضوء الرواية:

(۱) وأخرج الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده: أنّ الحارث بن ضرار الخزاعى يقول: قدمت على رسول اللَّه صلى الله عليه و سلم، فدعانى للإسلام فدخلت فيه

۱- الحجرات: ۶.

ص: ۲۷۵

وأقررت به، ودعانی إلی الزکاة فأقررت بها وقلت: یا رسول اللّه! أرجع إلیهم فأدعوهم إلی الإسلام وأداء الزکاة فمن استجاب لی دفعت زکاته وترسل إلیّ یا رسول اللّه رسولًا ابان کذا وکذا، لیأتیک بما جمعت من الزکاة.

فلمّا جمع الحارث الزکاة ممّن استجاب له وبلغ الابان الذی أراد رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله وصحبه وسلّم أن یبعث إلیه احتبس علیه الرسول ولم یأته، وظنّ الحارث أنه قد حدث فیه سخطة من اللّه تعالی ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه تعالی علیه وعلی آله وصحبه وسلم کان وقّت لی وقتاً یرسل إلیّ رسوله لیقبض ما کان عندی من الزکاة ولیس من رسول اللّه صلّی اللّه تعالی علیه وعلی آله وصحبه وسلم الخلف، ولا أری حبس رسول اللّه من سخطة، فانطلقوا بنا نأت رسول اللّه صلی الله علیه و سلم.

وبعث رسول اللّه صلی الله علیه و سلم الولید بن عقبة إلی الحارث؛ لیقبض ما کان عنده ممّا جمع من الزکاة، فلما أن سار الولید حتی بلغ بعض الطریق فرق أی خاف، فرجع حتی أتی رسول اللّه فقال: یارسول اللّه، إنّ الحارث قد منعنی الزکاة وأراد قتلی؛ فغضب رسول اللّه وبعث البعث إلی الحارث وأقبل الحارث بأصحابه حتی إذا استقبل البعث وفصل عن المدینة لقیهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشیهم قال: إلی من بعثتم؟ قالوا: إلیک، قال: ولِمَ؟ قالوا: إنّ رسول اللّه بعث إلیک الولید بن عقبة، فزعم أنک منعته الزکاة وأردت قتله، قال: لا، والذی بعث محمّداً بالحق ما رأیته بتة ولا أتانی، فلما دخل الحارث علی رسول اللّه قال: منعت الزکاة وأردت قتل رسولی؟ قال: لا-والذی بعثک بالحق ما رأیته ولا أتانی، وما أقبلت إلا حین احتبس علیّ رسول رسولاللّه صلی الله علیه و سلم خشیت أن یکون کانت سخطة مناللّه تعالی ورسوله فنزلتالحجرات: یا أیّها الذین آمنوا إن جاءکم فاسقٌ بنبإ ... إلیقوله حکیم (۱).

۱- تفسیر ابن کثیر ۴: ۲۰۹.

ص: ۲۷۶

فـانظروا أیّهـا القرّاء الكرام! فأین ظنّ الولیـد وأین الحارث منه؟ والحارث مؤمن صادق، وظنّ الولیـد ظنّ كاذب كاد أن یفتن المؤمنین المخلصـین لولاـ نزول الوحی وحضور الحـارث بن ضـرار المدینـة بقومه قـادمین؛ لقـامت الطامـة الكـبری بین المؤمنین، ومثـل هؤلاـء المصیبة الكبری نقیمها نحن بجهالة منّا فی ساحة الامّة.

خلو أننا اجتمعنا فی مؤتمر الحج كلّ سـنةٍ ففاحصنا أمورنا ونتبیّن أحوالنا ولا نعتمد علی الدعایة الأجنبیة والبوقة الصهیونیة المذیعة بیننا أنباءً تسود بها ظنوننا فیسطو علینا الجنون والشرّ یضـرّ بنا وبمنافعنا، ویغری العداوة والبغضاء بین المسلمین، كما فعل الحارث بن ضرار وقومه بعـد حضوره المدینـة مع قومه لإزالـة الشـبهات الناشـئة، فأطفأ نار الحرب المشـتعلة بعد كشف الواقع وانجلاء الواقع إلی الحرب لحفظنـا مصالحنـا ومـا تضـرّرنا بـالظن السوء وإثـارة الفتن من الأجـانب، فتیقّظوا أیّهـا الاخوة ولا تناموا عن الغیّ والغوایـة واجتنبوا عن الدعایة العادیة الأجنبیة.

(۲) وواقعة أخری هی واقعة خالد بن الولید فی بنی خزیمة كما ذكره محمد بن إسماعیل البخاری فی كتابه صحیح البخاری ما نصّه: عن ابن عمر قال: بعث النبی صـلی الله علیه و سـلم خالد بن الولید إلی بنی خزیمة فدعاهم إلی الإسلام فلم یحسنوا أن یقولوا: «أسلمنا» فجعلوا یقولون: «صبأنا صبأنا»، فجعل خالد یقتل ویأسر ودفع إلی كلّ رجل منّا أسیره حتی إذا كان یوم أمر خالد أن یقتل كلّ رجل منّا أسیره فقلت: واللَّه لا أقتل أسیری ولا یقتل رجل من أصحابی أسیره، حتی قدمنا علی رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم فذكرناه له فرفع النبی صلی الله علیه و سلم یده فقال: اللّهمّ إنی أبرأ إلیك ممّا صنع خالد مرّتین (۱).

فخالد بن الولید قد أخطأ حینما ظنّ أنّهم لم یقولوا: «أسلمنا» بل قالوا:

«أصبأنا» ومعناه أی تركنا دیننا، ولم یقولوا دخلنا فی دین الإسلام فهم لیسوا

۱- البخاری ۲: ۶۲۲ باب بعث النبی صلی الله علیه و سلم خالد بن الولید إلی بنی جذیمة.

ص: ۲۷۷

بمسلمین، وکان علیه أن یتبیّن منهم المراد من قولهم «صبأنا» ولم ینتظر التبیّن بل جعل یقتلهم ویأسرهم، فإذا بلغ الخبر إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم تبرّأ منه واستعاذ فقال رافعاً یدیه إلی السماء: اللّهمّ إنّی أبرأ إلیک ممّا صنع خالد وقال هذه الکلمة مرّتین، فظهر أنّ العمل بالظن خطأ حتی یتیقّن الأمر، ویجب البراءة منه والاستعاذة إلی اللَّه تعالی بالاستغفار والدعاء کما تبرأ النبیّ صلی الله علیه و سلم.

(۳) وأصرح منه قصة أسامة بن زید حبیب النبی صلی الله علیه و سلم حین قتل کافراً قال: لا إله إلّااللَّه خوفاً من سیفه، کما روی مسلم فی کتابه الصحیح عن أسامة بن زید قال:

بعثنا رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم فی سریة فصبحنا الحرفاف بن جهینة فأدرکت رجلًا فقال: لا إله إلّااللَّه، فطعنته فوقع فی نفسی من ذلک فذکرته لنبی اللَّه صلی الله علیه و سلم فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم:

أقال لا إله إلّااللَّه؟ وقتلت؟ قال: قلت: یا رسول اللَّه إنّما قالها خوفاً من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتی تعلم أقالها أم لا؟ فما زال یقرّرها علیّ حتی تمنیت أنّی أسلمت یومئذ (۱).

فعلم أن قتل الکافر بعد قوله لا إله إلّااللَّه حرام ولو قالها خوفاً من السلاح، فأین یحلّ قتل المسلم القائل من صمیم قلبه لا إله إلّااللَّه؟ وأما الشبهة لا مجال لها فی المسألة لأنّ النبی صلی الله علیه و سلم قال فی جواب اسامة رضی الله عنه: أفلا شققت عن قلبه حتی تعلم أقالها أم لا؟

فالأحکام تجری علی الظاهر ولا تجری علی الباطن، لا یکلّف اللَّه أحداً أن یفصح الأمر عن القلوب بعد شقّها، ونحن نقتل المسلم بأدنی ریب عصبیةً لمذهب أو حمیة لحزب سیاسی وقد قال اللَّه تعالی: ومن یقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فیها وغضب اللَّه علیه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظیماً (۲)

۱- مسلم ۱: ۶۸ باب تحریم قتل الکافر بعد قوله لا إله إلّااللَّه.

۲- النساء: ۹۳.

ص: ۲۷۸

فحرّم اللَّه قتل المؤمن عَمداً وأوجب لقاتله: أن يخلّد فى النار، وغضب اللَّه عليه ولعنه، وله عذاب عظيم فى الآخرة والآجلة كما نشاهده فى الـدنيا على صورة القصاص أو الدية إن عفى عنه، أو القتل بأيدى الأعداء وسيرى فى الآخرة جزاءه جهنّم خالداً فيها، فهذه نقمات خمس لمن قتل المؤمن متعمّداً بلا وجه شرعى.

المبنى الخـامس: التعـاون على البرّ والتقوى وعـدم التعـاون على الإـثم والعـدوان، ونحن المسـلمين يجب أن نكون عـاملين على ذلك الأساس السامى، إلّا أننا كثيراً ما نعاون على الإثم والعـدوان وقليلًا مّا نعاون على البر والتقوى الـذى أمرنا به، فعملنا اليوم على عكس ما امرنـا به، وضـد مـا قال اللَّه تعالى لنا أمراً لعباده المؤمنين حيث يقول: وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعـدوان واتّقوا اللَّه إنّ اللَّه شديد العقاب (۱)

.

عمّقوا النظر أيّها القرّاء الكرام! إننا امرنا بالتعاون على البر والتقوى وعـدم التعاون على الإثم والعـدوان، وامرنا أن نتّقى اللَّه بائتمار الأمر واجتناب المناهى، فمن خالف الأمر حذّره اللَّه تعالى بشديد العقاب والعقاب منه أشد من العذاب كأنه العذاب الغرام والعقاب يعمّ فى الدنيا فيعاقبنا فيها إذا خالفنا أمره كما أمر.

يقـال: «إنّ الحق مرّ ولو كـان درّاً» فـالحق أقول وبه أصول ولاـ نخـاف فى اللَّه لومـة لاـئم كائنـاً من كـان ولو كره المبطلون: إنّ العـالم الإسـلامى ورُؤساء المسـلمين فى العالم قد مسّـهم العقاب كما وعدوا فى الآية بمخالفتهم إيّاها، ومسّـتهم المذلّة والمسكنة والضعف؛ لأنهم يعاونون على الإثم والعـدوان وكان عليهم أن يعاونوا على البرّ والتقوى، ولا يتّقون، فهم ينصـرون الظالم على المظلوم ويخـذلون المظلوم تحت ضغطة الظلمة الطغاة.

بل يقال: «الدول المسلمة» لا تعامل على أسلوب البرّ والتقوى بل تسلك

۱- المائدة: ۲.

ص: ۲۷۹

علی منوال التجنّب أو الانحیاز فی میدان الشهوات والمیدان إلیها سیاسةً لا دیانةً فتفرّق السُبل بهم وتباعدوا بعضهم من بعض، فنشأ البعد بینهم بُعد المشرقین والمغربین تنقطع عنوق النوق فی سیره، فأصبحت الدول الإسلامیة کأنهنّ الضرّات لا هن الأخوات تعشن حیاةً طیّبةً مرضیة فازدادت المنافرة والمناقشة، ووصلت إلی النهایة وتبدّلت المودّة عداوةً والمعاونة مخالفةً، وتضرّرت الامّة مضرّةً لا یکافئها اسم الإسلام ورسم الامّیة الدبلوماسی، فعلی الدول المسلمة أن تتعاون عون الأخوات فی مصالح الامّیة المسلمة علی البرّ والتقوی، وأن تترک الإثم والعدوان، والعدوان هو عدوان بعض الدول علی الاخری والنصرة لفئة متحاربة نفاقاً تحت الأستار وظلماً وعدواناً وهو أشدّ إثماً وأزید معرةً لأزمات الامّة المفتونة، أنقذها اللّه تعالی منها وصانها من الفتن ووفّق قادة الامّة وسادتها أن یرجعوا عن الغیّ والضلال، ویفعلوا ما هو ینفعها وفیه منافع المسلمین ومنافع أنفسهم جمیعاً لو کانوا یعلمون.

المبنی السادس: هو عدم الانحیاز إلی الطغاة الظلمة.

الوحدة تقوم علی ساقها وتؤتی اکلها کل حین إذا کان الوضع موافقاً لها فتترعرع یوماً فیوماً فی البیئة المسلمة وتنشعب من جذورها إلی فروعها کالشجرة الطیبة المظلة علی اللاجئین تحت ظلّها الظلیل فإن فسد الوضع وانفسخ الجوّ تصیر الوحدة فیه ضئیلةً لا تستطیع أن تقوم علی ساقها وتؤتی اکلها حتی ضاقت علیها الحیاة فتموت مصفرة فقیدة الخضرة والطراوة وتعتریها الیبوسة والجفوف فتنعدم کأنها لم تکن، ولذا علینا أن لا ننحاز إلی الظلمة الطغاة من الساسة، فإنّ وحدة الامّة تذهب ضد الظلمة الطغاة فلا یحبونها ولا صبر لهم علیها، فمن أطاع الطغاة أعان علی هدم بناء الوحدة الإسلامیة، فعدم التعاون مع الطغاة أساس مهمّ لوحدة الامّة.

فلذا حذّر نبیّ الرحمة والوحدة علیه الصلاة والسلام عن التعاون ونصرة

ص: ۲۸۰

الطغاة، کما جاء فی الأحادیث مراراً.

فعن أوس بن شرحبیل أنه سمع رسول اللّه صلی الله علیه و سلم یقول: من مشی مع ظالم لیقویه وهو یعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام (۱).

وهذا الحدیث یدلّ صریحاً علی أنّ من یقوی الظالم علی ظلمه یخرج من الإسلام والدین والایمان، وهذا الحدیث مثل ما قال النبی صلی الله علیه و سلم: لا یزنی الزانی حین یزنی وهو مؤمن، فمن یقوی الظالم لا یبقی حین یقویه مسلماً. وبعبارة اخری: لا یقوی أحد ظالماً حین یقوّی وهو مسلم (۲).

المبنی السابع: هو عدم الانحیاز إلی القوی الأجنبیة.

الأجانب أجانب لیسوا کالأقارب والأنفس فی الواقع، ومنه یتفاوت المیلان طبعاً فیبکی الأقارب عند موت الأقارب، والأجانب لا تدمع عیونهم وإن کانوا أعداء یفرحون بموت أعدائهم، والأجانب للُامّة المسلمة هم الیهود والنصاری وغیرهم من الذین لا یؤمنون بالنبیّ الامّی العربی محمّد صلی الله علیه و سلم ولا یصدقون بدینه الحنیف.

والقوی الکبری تکوّنت بتلک الفرق الأجنبیة الکافرة علی رأسها أمریکا وفرنسا وبریطانیا وهم نصاری، ویتبعهم الیهود والقوّة الروسیة والصینیة وغیرها من القوی العالمیة الأجنبیة تابعة للقوی الکبری العالمیة والهنود غیر المسلمین فی الهند أجانب أعداء للمسلمین سیاسةً وعقیدةً، والبوذیة فرع من الهنود خلطوا التوحید معالشرک، وهم والهنود ینتحلون نحلة الشرک من عبادة الأوثان والمظاهر والهیاکل، وبعض الکفّار لا یقرّون بالإله والخالق للعالم فکلّهم أجانب عن الامّة المسلمة المؤمنة بالدین الحنیف ورسالة سیّد الکونین إمام المرسلین

۱- مشکاة المصابیح: ۴۳۶ باب الظلم، الفصل الثالث.

۲- راجع الترمذی ۲: ۹۰.

ص: ۲۸۱

رسول ربّ العالمین صلی الله علیه و سلم.

یدعو اللَّه تعالی المسلمین إلی عدم الانحیاز إلیهم فقال تعالی:

ولن ترضی عنک الیهود ولا النصاری حتی تتّبع ملّتهم قُل إنّ هدی اللَّه هو الهدی ولئن اتّبعت أهواءَهم بعد الذی جاءک من العلم مالَکَ من اللَّه من ولیّ ولا نصیر (۱)

.

فجذب الرضا من النصاری والیهود لا یدخر إلا بعدما نتبع ملّتهم کما قال اللَّه تعالی فی کتابه ومن اتبع ملّتهم بعدما جاءه الحق أیالعلم بأن الإسلام هو الحق، فلیس له من ولی یحفظه من عذاب اللَّه ولا من نصیر ینصره فی المصائب والبلایا النازلة منه تعالی.

والحمد للَّهربّ العالمین

۱- البقرة: ۱۲۰.

ص: ۲۸۲

معجم ما کتب فی الحجّ و الزیارة

معجم ما کتب فی الحجّ و الزیارة (۱۳)

۲۰۸۶- کتاب المزار

رضی الدین علی بن طاووس الحلّی ت ۶۶۴ ه.

ظ: الذریعة ۲۰/ ۳۱۹.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۰.

۲۰۸۷- المزار

کاظم الگلپایگانی، فرغ منه سنة ۱۲۸۳ ه

خ: الرضویة، فی ۶۶ ورقة

ظ: الذریعة ۲۰/ ۳۲۳.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۰.

۲۰۸۸- کتاب المزار

أبو جعفر محمّد بن أحمد بن یحیی بن عمران بن عبداللَّه بن سعد بن مالک الأشعری القمّی

ظ: رجال النجاشی ۳۴۹.

الذریعة ۱۲/ ۷۸، ۲۰/ ۳۲۰.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۰.

۲۰۸۹- کتاب المزار

أبو الحسن محمّد بن أحمد بن داود بن علی القمّی ت ۳۶۸ ه.

ظ: رجال النجاشی ۳۸۴.

فهرست الطوسی ۱۳۶.

الذریعة ۲۰/ ۳۲۰.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت

ص: ۲۸۳

صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۰.

۲۰۹۰- کتاب المزار

أبو جعفر محمّد بن اورمة القمّی

ظ: رجال النجاشی: ۳۳۰.

الذریعة ۲۰/ ۳۲۰.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۰.

۲۰۹۱- المزار

محمّد بن جعفر بن علی بن جعفر المشهدی المعروف بابن المشهدی

خ: مکتبة السیّد المرعشی، برقم ۴۹۰۳، فی ۴۸۲ ورقة.

ظ: الذریعة ۲۰/ ۳۲۳، ۳۲۴.

فهرس المرعشی ۱۳/ ۸۴.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۱.

۲۰۹۲- کتاب المزار

محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار ت ۲۹۰ ه

ظ: رجال النجاشی ۳۵۴.

الذریعة ۲۰/ ۳۲۰.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۱.

۲۰۹۳- کتاب المزار

أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسی ت ۴۶۰ ه.

ظ: الذریعة ۲۰/ ۳۲۰.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۱.

۲۰۹۴- کتاب المزار

أبو المفضّل محمّد بن عبداللَّه بن المطلب الشیبانی

ظ: فهرست الطوسی ۱۴۰.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۱.

۲۰۹۵- کتاب المزار

أبو الفرج محمّد بن علی بن محمّد بن محمّد بن أبی قرّة العیناتی.

ظ: الذریعة ۲۰/ ۳۱۷، ۳۲۰.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۱.

۲۰۹۶- کتاب المزار

محمّد بن محمّد بن النعمان الشیخ المفید ت ۴۱۳ ه.

تصحیح وتعلیق: مدرسة الإمام الهادی علیه السلام

قم: مدرسة الإمام الهادى عليه السلام ١۴٠٨ ه.

٢٠٩٧- كتاب المزار

ص: ۲۸۴

أبو النضر محمّد بن مسعود بن محمّد بن عیّاش السلمی السمرقندی

ظ: رجال النجاشی ۳۵۲.

الذریعة ۲۰/ ۳۲۱.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۱- ۹۲.

۲۰۹۸- المزار

(یشتمل علی بابین یضمّان آداب زیارة النبی صلی الله علیه و آله والصدِّیقة الزهراء البتول وأمیر المؤمنین والأئمّة الأحد عشر من ولدهما صلوات اللَّه وسلامه علیهم أجمعین).

للشهید الأول أبو عبداللَّه شمس الدین محمّد بن مکّی الجزینی العاملی المستشهد سنة ۷۸۶.

تحقیق ونشر: مدرسة الإمام المهدی علیه السلام.

قم: ۱۴۱۰ ه.

۲۰۹۹- کتاب المزار

أبو عبداللَّه الدبیلی محمّد بن وهبان بن محمّد بن حمّاد بن بشر الأزدی

ظ: رجال النجاشی ۳۹۷.

الذریعة ۲۰/ ۳۲۱.

إیضاح المکنون ۲/ ۳۳۱.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۲.

۲۱۰۰- کتاب المزار

محمّد باقر بن محمّد مؤمن السبزواری ت ۱۰۹۰ ه.

ظ: الذریعة ۲۰/ ۳۱۷.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۲.

۲۱۰۱- المزار

(فی زیارات الرسول صلی الله علیه و آله والأئمّة علیهم السلام).

محمّد الحسنی الطباطبائی، فرغ منه فی کربلاء سنة ۱۱۴۰ ه.

خ: المرعشی، ۳۳۳۱، ۱۵۱ ورقة، سنة ۱۳۵۱ ه.

ظ: فهرس المرعشی ۹/ ۱۰۸- ۱۰۹.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۲.

۲۱۰۲- کتاب المزار

محمّد صالح بن عبد الواسع الحسینی الخواتون آبادی الاصفهانی ت ۱۱۱۶ ه.

ظ: الذریعة ۲۰/ ۳۱۹.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۲.

ص: ٢٨٥

٢١٠٣- كتاب المزار

المير محمّد مهدى

خ: الرضوية

ظ: الذريعة ٢٠/ ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات اللّه عليهم ١٠/ ٩٢.

٢١٠٤- كتاب المزار

يونس الجبعى العاملى

ظ: الذريعة ٢٠/ ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات اللّه عليهم ١٠/ ٩٢- ٩٣.

٢١٠٥- كتاب المزار

يونس بن على القطّان

ظ: رجال النجاشى ٤٤٨.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات اللّه عليهم ١٠/ ٩٢.

٢١٠٦- مزار الآقا باقر

الوحيد البهبهانى بن محمّد أكمل ت ١٢٠٦ ه.

ظ: الذريعة ٢٠/ ٣٢١.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات اللّه عليهم ١٠/ ٩٣.

٢١٠٧- مزار بقيع

(بالفارسية)

على أكبر حسنى

ميقات حج س ١: ع ١ (پائيز ١٣٧١ ش) ص ١٥٣- ١٣٧.

٢١٠٨- مزار قديم

استظهر الكفعمى أنّه مجموع الدعوات لأبى محمّد هارون بن موسى التلعكبرى، تاريخ كتابته (٧٤٦ ه) وصرّح فى أوّل البحار أنّ كتابته سنة ٥٧٦ ه.

ظ: الذريعة ٢٠/ ٣٢٣.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات اللّه عليهم ١٠/ ٩٣.

٢١٠٩- مزار اللنباتى

(بالفارسية)

حسين بن حسن الجيلانى

الاصفهانى اللنباتى ت ١١٢٩ ه.

ظ: الذريعة ٢٠/ ٣٢٣.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات اللّه عليهم ١٠/ ٩٣.

٢١١٠- مزار المولى إسماعيل الطهرانى

(بالفارسية)

مطبوع

ظ: الذريعة ٢٠/ ٣٢١.

ص: ۲۸۶

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللّٰه علیهم ۱۰/ ۹۳.

۲۱۱۱- مزارات

(رسالة فی مراقد أبناء الأئمّة المعصومین فی العراق وخراسان ومازندران وآذربایجان، کُتبت أیّام عبّاس الأوّل الصفوی (۹۹۵- ۱۰۳۷ ه)، بالفارسیة).

نور الدین محمّد بن أبو القاسم حبیب اللّٰه واعظ خطیب مدرس اصفهانی

ظ: نشریه ۸/ ۱۲۵.

فهرستواره منزوی ۱/ ۲۴۸.

۲۱۱۲- مزارات الأئمّة

غلام حسین الهندی الموسوی

النجف الأشرف: ۲۱ ص.

النجف الأشرف: المطبعة المرتضویة، (د. ت)، ۲۱ ص، ۲۱ سم، حجریة.

۲۱۱۳- مزارات أهل البیت

محمّد حسین الحسینی الجلالی

بیروت: ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸ م.

۲۱۱۴- مزارات إمامان وإمام زادگان

(فی ذکر مراقد الأئمّة وأبنائهم، بالفارسیة)

معین الدین علی بن نصیر قاسم انوار

(۷۵۷- ۸۳۷ ه)

ظ: الذریعة ۹/ ۸۶۱ «دیوان قاسم انوار».

سنا ۱/ ۷۴ [فی مجموعة واحدة تشتمل علی رسائل عرفانیّة له ولنعمت اللّٰه کرمانی].

فهرستواره منزوی ۱/ ۲۴۸.

۲۱۱۵- مزارات خراسان

(بالفارسیة)

کاظم مدیر شانه‌چی

۱۳۴۵ ش.

۲۱۱۶- مزارات الطالبیین

شهاب الدین المرعشی النجفی

(۱۳۱۸- ۱۴۱۱ ه)

ظ: الموسم مج ۲: ع ۵ (۱۹۹۰ م- ۱۴۱۰ ه) ص ۲۱۴.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللّٰه علیهم ۱۰/ ۹۴.

۲۱۱۷- مزیح الاحتیاج فی حکم منسک المحاج

(ارجوزة فی الحج)

ميرزا علينقى بن حسن ابن السيد محمّد المجاهد الطباطبائى ت ۱۲۸۹ ه

ظ: الذريعة ۲۰/ ۳۲۸، ۲۲/ ۲۷۶.

ص: ٢٨٧

٢١١٨- مسألة فى زيارة القبور وقبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و سلم.

صالح بن عبداللَّه الغماس، كان حيّاً سنة ١٣۴٠ ه مخطوط، فى: جامعة الملك سعود برقم ۴٠٠١، فى ۵ ورقات، بخط المؤلّف، تاريخها سنة ١٣۴٠ ه.

٢١١٩- المسائل الاتّفاقية بين الأربعة من علماء الإمامية (قسم الحج)

منصور الحبشى

طهران؛ المؤلّف، ط ١، ١٣٧٢ ش، ٣٩٢ ص، ١٧ س.

٢١٢٠- مسائل اجرايى حج- گفتگو با محمّد حسين رضايى مسؤول سازمان حج و زيارت (بالفارسية)

ميقات حج س ١: ع ١ (بائيز ١٣٧١ ش)

ص ١٩١- ١٨۵.

٢١٢١- مسائل حج

(بالفارسية)

أحمد بن محمّد مهدى بن أبى ذر

خ: فرهنگ مشهد، (ش: ۵ ب).

٢١٢٢- مسائل حج

(بالفارسية)

الإمام الخمينى

طهران: انتشارات الزهراء، ط ١، ١٣۶١ ش.

٢١٢٣- مسائل الحج

الشيخ الصدوق محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمّى ت ٣٨١ ه

ظ: رجال النجاشى ٣٩٢.

٢١٢۴- مسائل وأجوبة فى أعمال عمرة وحج التمتّع الواجبة

محسن الطباطبائى الحكيم

النجف: مط النعمان، (١٩۶٣ م)، ۴٠ ص.

٢١٢۵- مسائل ورهنماى حج

(بالفارسية)

محمّد شفيع عثمانى، محمّد حسن بيجارزمى.

الحوزة العلمية المركزية، ط ١، ١٣۶۴ ش، ١۶٠ ص، ٢١ سم.

٢١٢۶- مساجد تاريخى مدينه منوره (بالفارسية)

عبد الرّحمن خويلد، يوسف غروى قوچانى

ميقات حج: ع ٢٠ (تابستان ١٣٧۶ ش) ص ١١۵- ١٣٠.

ص: ۲۸۸

۲۱۲۷- مساجد فی السیرة النبویة

سعاد ماهر محمّد

القاهرة: الهیئة المصریة العامّة للکتاب، ۱۹۸۷ م، ۱۲۱ ص، ۱۹ لوحة، ۲۴ سم

۲۱۲۸- المساجد المأثورة فی مکّة المکرّمة

حسین عرب

المنهل (جدّة) مج ۵۱: ۴۷۵ ع (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه.) ص ۵۲- ۵۵.

۲۱۲۹- مساجد مدینه منوره (بالفارسیة)

طهران: ۱۳۵۹ ش، ۴۰ ص (گروه بررسی و تحقیق مسایل حج، ۳)

۲۱۳۰- المساجد والأماکن الأثریة المجهولة لزائر المدینة المنوّرة المیمونة

عبد الرّحمن خویلد

میقات الحجّ ع ۳ (۱۴۱۶ ه.) ص ۲۷۱- ۲۸۰.

ع ۴ (۱۴۱۶ ه.) ص ۲۵۳- ۲۶۴.

ع ۵ (۱۴۱۷ ه.) ص ۲۲۸- ۲۳۶.

ع ۶ (۱۴۱۷ ه.) ص ۲۶۷- ۲۷۵.

ع ۷ (۱۴۱۸ ه.) ص ۲۶۷- ۲۸۰.

۲۱۳۱- المساجد والجوامع فی العالم الإسلامی:

المسجد الحرام والکعبة الشریفة.

شریف یوسف

العاملون فی النفط (بغداد) س ۹: ع ۹۴

(نیسان ۱۹۷۰ م) ص ۲- ۵.

۲۱۳۲- مساحت کعبة/ أوصاف مکة/ احوال مکّة

(رسالتان فی خصوص طول وعرض وارتفاع الکعبة وبیان مقام المسجد الحرام، بالفارسیة)

مجهول المؤلف

ظ:

نسخه‌ها ۶/ ۳۹۸۲ «مساحت کعبه»، مشترک ۱۰/ ۴۵، الذریعة ۳/ ۲۴۱ «تاریخ بناء الکعبة»، نشریه ۹/ ۷۷ «ذراع مکّة»، آصفیة ۱/ ۴۱۴ «رسالت مساحۀ طول وعرض وارتفاع خانه کعبه» الرقم ۸۲ ورقم ۸۳، ازبکستان طاشقند ۸/ ۶۳ «رساله در بیان فضایل مکّه مبارکه» بلوشه ۱/ ۳۱۷ «رساله در بیان فضایل مکه»، طاجیکستان دوشنبه ۱/ ۲۲۸ «ذراع مکّة» و ۲۲۹ «ذراع مکه» و ۲۳۱ «وصف الحرمین» و ۴/ ۱۵۵ «رساله

ص: ۲۸۹

فضایل مکه»، خضر نوشاهی ۳۸۵ «مکه: ذراع مکه معظم»، راجستان ۱/ ۲۶۴ «رساله در ذراع مکه»، گنج ۴/ ۱۹۳۹ «مکه: اوصاف ...»، فهوستواره منزوی ۱/ ۲۵۰ و ۲۵۵ العرب. س ۳۲، ج ۱، ۲ (۷، ۸/ ۱۴۱۷ ه./ ۱۲۰۷/ ۱۹۹۶ م) ص ۳۶.

۲۱۳۳- مساحة الکعبة والمسجد الحرام (رسالة)

حسین بن محمّد قاضی الدیار بکری ۹۶۶ ه ..

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه./ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۸

۲۱۳۴- مسارات السلوک فی الحج

جاد الحق علی جاد الحق

المجاهد (القاهرة) س: ع ۱۲۸ (۶/ ۱۹۹۱ م)

ص ۱۰- ۱۱.

۲۱۳۵- مسالک الحج (بالفارسیة)

ابو محمّد آیتی بروجردی

۱۳۵۲ ش، ۱۰۰ ص، ۲۱ سم.

۲۱۳۶- مستحبات الحرمین یا خلاصة المناسک (بالفارسیة)

محمّد دانشیار شوتشری، محمّد علم الهدی خراسانی

طهران: صدر، ۱۳۹۴ ه.، ۳۵۰ ص، ۱۷ سم.

۲۱۳۷- المُستشرقون والأماکن المقدّسة

محسن جمال الدین

بغداد: دار الثقافة الإسلامیة، ۱۹۶۲ م

بغداد: ط ۲، ۱۹۶۷ م.

۲۱۳۸- المُستطابة فی نسب طابة

بدر الدین الحسن بن علی بن شدقم الحسینی

ظ:

طبقات الناسبین ۱۶۶، العرب. س ۳۱: ج ۷، ۸ (۱، ۲/ ۱۴۱۷ ه.) ص ۴۶۶.

۲۱۳۹- المصباح الکبیر فی الزیارات والأدعیة

أحمد بن حبیب بن حمد آل زوین النجفی

ظ:

معارف الرجال ۱/ ۶۸.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۱۰/ ۱۰۳.

۲۱۴۰- مصباح الزائر وجناح

ص: ٢٩٠

المُسافر

ابن طاوس، رضى الدين أبى القاسم على بن موسى بن جعفر ت ۶۶۴ ه ..

(يشتمل على جملة كبيرة من آداب السفر ومستحباته، ثمّ آداب زيارة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، ذاكراً فضائل تلك الزيارات)

خ: مكتبة السيد المرعشى فى قم برقم ۴۹۴۶، تاريخها ١٠٢۴ ه. و ١۶٠، تاريخها ١٠٨٧ ه.، و ۵٩٧. تقوم مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بتحقيق الكتاب بالاعتماد على النسخ الخطية الثلاث الآنفة الذكر.

٢١۴١- مصباح الزائر

(فى جملة من الزيارات المطلقة والمخصوصة والجامعة وآدابها، والأخير فى زيارة أولاد الأئمة عليهم السلام وأعمال مسجد الكوفة)

مهدى اليزدى الحائرى النجفى

بمبى: ١٣٠٢ ه ..

٢١۴٢- مصباح الزائر

محمّد على اللواسانى

النجف الأشرف: مطبعة الغرى الحديثة، ١٣٨١ ه.، ٨١ ص، حجرية.

٢١۴٣- مصباح الحرمين فى تاريخ مكّة والمدينة ومناسكها

عبد الجبار بن زين العابدين الشكونى ت ١٣٢۶ ه.

ظ:

معجم مصنفى الكتب العربية ٢۴٣.

العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (٢٢١/ ١۴١٧ ه.) ص ۴۶۶.

٢١۴۴- المصادر العثمانية لتاريخ الجزيرة العربية

وليام ليو أوكسنوالد

فى: الندوة العالميّة الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ۵/ ١٣٩٧ ه./ ۴/ ١٩٧٧ م).

٢١۴۵- مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام

منذر البكر

مجلة كلية الآداب (البصرة) س ۵: ع ۶ (١٩٧٢ م) ص ١- ۵٧.

٢١۴۶- مصادر تاريخ الجزيرة العربية فى وثائق دار السجلات الحكومية فى بومباى

عبد الأمير محمّد الأمين

فى: الندوة العالمية الاولى لدراسات

ص: ٢٩١

تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ۵/ ١٣٩٧ ه.- ۴/ ١٩٧٧ م)

مصادر تاريخ الجزيرة العربية: ج ٢ (١٩٧٩ م) ص ١٨۵- ١٩۶.

٢١۴٧- مصادر تاريخ الجزيرة العربية فى المجلات المتخصصة

ميشال نبطى

فى: الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ۵/ ١٣٩٧ ه./ ۴/ ١٩٧٧ م).

٢١۴٨- مصادر تاريخ الجزيرة العربية: عرض وتقديم لدراسات عالمين عراقيين

محمّد بهجت الأثرى

فى: الندوة العالمية الاولى لدراسات الجزيرة العربية (الرياض: ۵/ ١٣٩٧ ه./ ۴/ ١٩٧٧ م).

٢١۴٩- مصادر الأخبار فى العصر النبوى فى المدينة

أحمد محمّد المزعنن

الرياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، المعهد العالى للدعوة الإسلامية، ١۴٠۴ ه. (رسالة ماجستير).

٢١۵٠- مشكاة الزائرين من كتاب المزار (بالفارسية)

ابراهيم بن أبى الحسن الحسينى

ظ:

الذريعة ٢١/ ۵٧.

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت صلوات اللّه عليهم ١٠/ ٩٩.

٢١۵١- مشعل المحمل (رسالة فى سير الحج المصرى من يوم خروجه من مصر الى يوم عودته)

محمّد صالح

القاهرة: مطبعة وادى النيل، ١٢٩٨ ه.، ۶٠ ص.

٢١۵٢- مشروع الافادة من لحوم الهدى والأضاحى

البنك الإسلامى للتنمية

جدة: دار الفنون للطباعة والنشر، ط ١، ١۴٠۴ ه ..

٢١۵٣- المستشسار، أم القرى

محمّد البسنوسى

المنهل (جدة) حج ١۶: ج ١ (١- ٢/ ١٣٧۵ ه./ ٨- ٩/ ١٩۵۵ م) ص ٧٨- ٨٠.

٢١۵۴- مشاهدات من مكّة القديمة

ص: ۲۹۲

ویوم الترویهٔ

عبد العزیز الرفاعی

المجلهٔ العربیهٔ (الریاض) س ۱۵: ع ۱۷۰ (۱۰/ ۱۹۹۱ م)، ص ۳۹- ۴۱، ع ۱۷۱ (۱۱/ ۱۹۹۱ م) ص ۲۴- ۲۶.

۲۱۵۵- المشاهدات المعصومیّهٔ عند قبر خیر البریّهٔ فی المدینهٔ الطیبهٔ

محمّد سلطان المعصومی الخجندی

القاهرهٔ: مکتبهٔ ومطبعهٔ مصطفی بابی الحلبی، ط ۱، ۱۳۶۸ ه.- ۱۹۴۹ م، ۴۸ ص.

۲۱۵۶- المشاهد المقدّسهٔ فی العراق

کاظم الدجیلی

ظ:

الذریعهٔ ۲۱/ ۴۹.

معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت صلوات اللَّه علیهم ۱۰/ ۹۷.

۲۱۵۷- مشاهد العترهٔ الطاهرهٔ وأعیان الصحابهٔ والتابعین

عبد الرزاق کمونهٔ الحسینی (۱۳۲۴- ۱۳۹۰ ه.)

النجف الأشرف: مطبعهٔ الآداب، ۱۳۸۷ ه./ ۱۹۶۸ م).

بیروت: مؤسسهٔ البلاغ، ۱۹۸۸ م، ۳۵۲ ص، افسیت علی طبعهٔ النجف (قدّم له ووضع فهارسه: محمّد سعید الطریحی).

۲۱۵۸- مسیرهٔ حیث سار رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بین مکّهٔ المکرّمهٔ والمدینهٔ المنورهٔ

محمّد طنطاوی

العربی ع ۱۵۸ (۱/ ۱۹۷۲ م) ص ۵۱.

۲۱۵۹- مسیر الحرمین یا حالات الحرمین (بالفارسیهٔ)

رفیع الدین بن فرید الدین مراد آبادی هندی

منزوی ظ ۳۹۹۹.

۲۱۶۰- المسیحیون فی مکّهٔ فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله

محمّد خلیفهٔ التونسی

العربی: ع ۱۹۹ (یونیو ۱۹۷۵ م) ص ۴۸.

۲۱۶۱- مسودهٔ تاریخ مکّهٔ

[قال صاحب الاعلام: إنّ هذه المسودهٔ تقع فی جزأین فی مجلد واحد وهی مجهولهٔ المؤلف رآها ضمن کتب ارامکو بالقاهرهٔ].

ص: ٢٩٣

ظ:

المنهل (جدة) س ٥۶: ع ۴٧۵ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه./ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م) ص ٢٠٧.

٢١۶٢- مسلك المحتاج إلى مناسك الحاج

على بن موسى بن طاووس الحسينى العلى (۵٨٩- ۶۶۴ ه.)

ظ

الذريعة ٢١/ ٢٢- ٢٣، ٢٢/ ٢٧۶.

٢١۶٣- المسح الإحصائى للأضاحى (تقرير مبدئى)

غازى عبد الواحد مكّى

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ١۴٠ ص.

٢١۶۴- المسجد النبوى عبر التاريخ

محمّد أحمد الوكيل

جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط ١، ١۴٠٩ ه.، ٢١۵ ص.

٢١۶۵- المسجد النبوى الشريف ومزارات أهل البيت

اسماعيل أحمد اسماعيل، والبنوى جبر سراج

القاهرة: دار الشعب، ١٩٧۴ م، ٢۴٠ ص.

٢١۶۶- مسجد نبوى در گذر تاريخ (بالفارسية)

محمّد باقر حجتى

ميقات حج: ع ٢۵ (پاييز ١٣٧٧ س) ص ١٢٠- ١٣٧. ع ٢۶ (زمستان ١٣٧٧ ش) ص ١۴٨- ١۵٨.

٢١۶٧- المسجد النبوى بعد التوسعة

الرابطة (مكّة المكرمة) س ٢۶: ع ٢٨١ (٧/ ١٩٨٨ م) ص ٩- ١٠.

٢١۶٨- المسجد النبوى أول عمارة فى الإسلام

عبد المجيد وافى

منار الإسلام س ۴: ع ٣ (٣/ ١٣٩٩ ه.

- ٢/ ١٩٧٩ م) ص ٣۴- ۵٨.

٢١۶٩- مسجد المدينة وأثره فى مساجد العراق

سليمة عبد الرسول

بغداد: جامعة بغداد، ١٩۶۵ م، ٢۵٠ ص (ماجستير).

٢١٧٠- مسجد المدينة فى حدائق الكتب الثمينة

رشيد بو روبية

ص: ۲۹۴

فى: الندوة العالميّة الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ۵/ ۱۳۹۸ ه./ ۴/ ۱۹۷۷ م).

دراسات تاريخ الجزيرة العربية: ج ۱ (۱۹۷۹ م) ص ۱۸۳- ۱۹۷.

۲۱۷۱- مسجد الرسول عليه السلام وداره

عبد الغنى عبد اللَّه

الوعى الإسلامى س ۱۲: ع ۱۳۵ (۱۳۹۶ ه.) ص ۴۵- ۵۱.

۲۱۷۲- مسجد الحرام و كعبه (بالفارسيه)

كاظم مدير شانه چى

مشهد: ط ۱، ۱۳۴۷ ش.

۲۱۷۳- المسجد الحرام فى ضوء الكتاب والسنّة

محمّد فريد الدين راشد

مكّة المكرّمة: جامعة ام القرى، كليّة الشريعة (رسالة ماجستير).

۲۱۷۴- المسجد الأوّل فى العالم الإسلامى: المسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة

شريف يوسف

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ۱۴۵ (۱۴۰۱ ه.) ص ۴۲- ۵۱.

۲۱۷۵- المستوطنات اليهوديّة على عهد الرسول صلى الله عليه و آله

أحمد على المجدوب

القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ۱۹۹۲ م، ۱۸۷ ص

۲۱۷۶- المشارق المنيرة فى ذكر بنى‌ظهيرة

ابن فهد القرشى، صاحب اتحاف‌الورى.

ظ المنهل (جدة)، مج ۵۱، ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه.)، ص ۱۹۹

۲۱۷۷- مصباح‌الناسكين فى أحكام الحجاج و المعتمرين

محمد ميرزا الخرسى

قم، ط ۳، ۱۳۷۳ ش، ۴۱۲ ص، ۲۱ سم

۲۱۷۸- مصباح الناسكين و مشكاة الحجاج و المعتمرين (بالفارسية)

شهاب الدين المرعشى النجفى

قم، ۱۳۵۵ ش، ۳۱۹ ص، ۲۱ سم

۲۱۷۹- مصحف مكة المكرمة

محمد طاهر الكردى

المنهل (جدة) مج ۱۰، ج ۲ (۲/ ۱۳۶۹ ه.

۱۰/ ۱۹۴۹ م) ص ۸۴- ۸۷

۲۱۸۰- مصنع كسوة الكعبة المشرفة

ص: ۲۹۵

(استطلاع)

جاسم على الجاسم

تصوير: عبداللَّه يوسف الدبيس

القافلة، مج ۴۰، ع ۱۲ (۱۲/ ۱۴۱۲ ه.

/۶ ۱۹۹۲ م) ص ۲- ۸

۲۱۸۱- مطلوب‌الزائر (بالفارسية)

طبع بايران منضماً إلى «تحفة الزائر» فى خمسة أبواب و فصول و خاتمة فى الزيارات و الأدعية

ظ: الذريعة، ۲۱: ۱۵۸. معجم ما كتب عن الرّسول و أهل البيت، ۱۰/ ۱۰۶

۲۱۸۲- مطلوب الزائرين

(فى الزيارات، بالفارسية)

جواد بن مجتبى الحسينى الموسوى الحائرى المعروف بروضه خوان

طبع عام، ۱۲۶۱ ه.

۲۱۸۳- مطلوب الناسک من أحكام المناسک

زيد بن مبارک بن رشود

جدة، رئاسة هيئات الأمر بالمعروف، ط ۱

۲۱۸۴- مظاهر التخفيف على العباد فى الصلاة و الحج فى الشريعة الاسلامية

سميرة بيومى

القاهره، دارالهدى للطباعة، ۱۹۸۶ م، ۱۴۳ ص

۲۱۸۵- المظاهر الحضرية للمدينة المنورة فى عصر النبوة

خليل إبراهيم السامرائى و ثاثر حامد محمد

الموصل- العراق، مكتبة بسام، ۱۴۰۵ ه.

۲۱۸۶- مع ابن السلام فى رحلته:

فى رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج

العرب، س ۱۰، ج ۱، ۲ (۸- ۹/ ۱۹۷۵ م)

ص ۴۴- ۷۰

۲۱۸۷- مع الأستعداد لأداء الحج الوقاية خير من العلاج

التوحيد (طهران) س ۹، ع ۹۱ (۷/ ۱۹۸۸ م)

ص ۴۲- ۴۳

۲۱۸۸- مع الرسول فى حجة الوداع

عطية محمد سالم

المدينة المنورة، مكتبة دارالتراث، ۱۹۸۸ م، ص ۱۱۲

۲۱۸۹- مع الرسول فى حجة الوداع

ص: ۲۹۶

على حامد عبدالرحيم

الأزهر، س ۶۳، ع ۱۲ (۶/ ۱۹۹۱ م)

ص ۱۳۵۴- ۱۳۵۷

۲۱۹۰- مع الرسول فى المدنية المنورة

عبدالعزيز غنيم

القاهرة، دارالإعتصام للطبع و النشر، ۱۹۷۳، ص ۱۳۲

۲۱۹۱- مع الفرزدق فى مشاعر الحج

أحمد على

المنهل (جدة)، مج ۲۲، ج ۱۲ (۱۲/ ۱۳۸۱ ه. ۵/ ۱۹۶۲ م) ص ۸۳۳- ۸۳۵

۲۱۹۲- معارف الحج و معالمه

عبدالصاحب الحسينى

بيروت، مطبعة دارالكتب، ط ۱، ۱۳۸۷ ه. ص ۴۰۸، سم ۲۴

۲۱۹۳- معالم دارالهجرة

يوسف عبدالرزاق

المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ۱۹۸۱ م، ص ۳۰۶، سم ۲۴

۲۱۹۴- معالم الدعوة الإسلامية فى عهدها الملكى

خليفة حسين العال

القاهرة، دارالطباعة المحمدية، ط ۱، ۱۹۸۸ م، ص ۴۵۸

۲۱۹۵- المعالم العمرانية فى مكة المكرمة فى القرنين الأول و الثانى

صالح أحمد العلى

مجلة المجمع العلمى العراقى، مج ۴۰، ج ۲، (۱۹۸۹ م)

۲۱۹۶- معالم مكة التاريخية و الأثرية (معجم جغرافى)

عاتق بن غيث البلادى

مكةالمكرمة، دار مكة للنشر، ۱۴۰۰ ه. ص ۳۸۸

مكةالمكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ط ۲، ۱۴۰۴ ه. ص ۴۰۰، سم ۲۱

۲۱۹۷- معالم الوحى أو الرحلة الحجازية المقدسة

محمد أحمد عساف

مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق، مج ۲۱، ص ۷۱ (عبدالقادر المغربى)

۲۱۹۸- المعانى الانسانية فى حج بيت اللَّه الحرام

أحمد عبدالستار الجوارى

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ۱۱۹- ۱۲۰ (۱۳۹۸ ه.) ص ۳- ۴

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.